



الموراد

قراءة فصلية محكمة

لها دار الشؤون الثقافية العامة - وزارة الثقافة والاعلام - جمهورية العراق

العدد الثامن والعشرون - العدد الثاني - ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م

رئيس التحرير

الدكتور محمد عبد المظفر البعاطي

في هذا العدد

اندلعت ثورة العشرين، الثورة القومية، العربية، الشعبية إثر إعلان بريطانيا عن نيتها فرض الانتداب تنفيذاً لمقررات مؤتمر سان ريمو، فقد نشبت الثورة ضد الاحتلال البريطاني، وضد سياسة التجزئة التي عمدت القوى الاستعمارية الكبرى إلى تنفيذها، وبذا تعد هذه الثورة واحدة من سلسلة الثورات التي شهدتها الوطن العربي ابتداءً من عام ١٩١٩ تعبيراً عن رفض الأمة العربية للاستعمار والتجزئة البغيضة والتي شكلت بمجملها انعكاسات إستراتيجية واضحة على الصعيدين العربي والعالمي بعد أن أثرت في الموقف العام للاستعمار البريطاني البغيض في المنطقة، وفي وضعه السياسي والعسكري في العالم..

إن إحدى أهم نتائج الثورة، هو ماظهر من وحدة صف وطني في الدفاع عن حرية العراق واستقلاله على الرغم من كل المحاولات البريطانية الخبيثة التي كانت تعمل جاهدة على تغذية ما من شأنه إحداث شرخ في صفوف أبناء الشعب الواحد الموحد.

وفي مواجهة الثورة، حشد المحتلون البريطانيون أعداداً ضخمة من الجنود المجهزين بأحدث الأسلحة، إلا أن ذلك لم يحل دون وقوع خسائر بشرية ومادية فادحة في صفوف المحتلين، فقد ذهبت بعض التقديرات

العربية إلى أن ثورة العشرين كلفت بريطانيا عشرات آلاف من القتلى والجرحى في حين قدر جورج انطونيوس في كتابه (يخطبة العرب) أنها كلفت بريطانيا، فضلاً عن الاصابات أربعمائة مليوناً من الجنيهات الاسترلينية.

ملف العدد: ثورة العشرين ص ٢٧ - ٦١.

الهيئة الاستشارية

الاستاذ هلال ناجي

أ. د. سامي مكي العاني

أ. د. محمود عبد الله الجادر

أ. د. عماد عيد السلام رؤوف

الاستاذ اسامة النقشبدي

مدير التحرير

د. هادي شوكت هنام

سكرتير التحرير

د. مي فاضل الجبوري

التصميم والخراج الفني

جنان عدنان

التصحيح اللغوي

نجلة محمد

□ عنوان المراسلة

□ دار الشؤون الثقافية العامة - الاعظمية

ص. ب. - ٤٠٣٢ - بغداد

جمهورية العراق

الاسعار: العراق ٥٠ ديناراً، الأردن: ديناران، الامارات: ٣٠ درهماً، اليمن: ٣٠ ريالاً، مصر: ٣ جنيهات، ليبيا: ثلاثة دنانير.

الجزائر: ١٠ ديناراً، تونس: ديناران، المغرب: ٣٠ درهماً.

المشاركة السنوية: ٥٥ دولاراً في الدول العربية، ٨٠ دولاراً في دول العالم الاخرى.

المحتوى

■ الموردة :

نصرنا ... حصة الامه د . محمد البكاء ٢ — ٤ .

■ بحوث ودراسات

- المرقبة في الشعر الجاهلي د . عبد الرزاق الدليمي ٥ — ١٦ .
- ظاهرة الاغتراب في شعر طرفة بن العبد د . عبد الفتاح نافع ١٧ — ٢٩ .
- علم المعاني بين النحو والبلاغة احلام موسى حيدر ٣٠ — ٣٦ .

■ ملف العدد

- ثورة العشرين وأهميتها في ضوء أصدائها الخارجية كمال مظهر ٢٨ — ٤١ .
- ركاب الشعر في ثورة العشرين د . محمد حسن علي ٤٢ — ٥٠ .
- ليجمن القائد الماء للصحراء عرض وترجمة : كاظم سعد الدين ٥١ — ٦١ .

■ نصوص محققة

• جزء فيه تعاليق من النحو واللغة

- واهيات ممان عن السباني د . هادي النكاش و د . فاضل الجبوري ٦٢ — ٩١ .
- فائت شعرا أبي عبد الله بن المعتز الاندلسي عبد العزيز الساوري ٩٢ — ١٠٠ .

■ نقد وتعليق

- مقابسات في الفلسفة الصوفية - القسم السابع عزيز جبار ١٠١ — ١٠٦ .
- ملاحظات حول مقدمة محقق كتاب لطائف الظرفاء د . محمود الجابر ١٠٩ — ١١٩ .

■ الجديد في المكتبة التراثية

• البيضا : حياته - ديوانه - رسائله - قصصه عرض وتقديم : سعد الحيدان ١٢٠ — ١٢١ .

■ اخبار التراث العربي احلام : حسن عربي ١٢٢ — ١٢٧ .

■ المحتوى ١٢٨ .

الموردية

نصرنا ... حصة الامة ومقام صحتها القومية

د. محمد البكاء

قبل اكثر من ثمانين عاماً ، وفي الحادي عشر من آذار ١٩١٧ ، دخل جيش الاحتلال البريطاني بغداد ، بعد ان بدأت بريطانيا عملياتها الحربية ضد الدولة العثمانية ، واحتلالها البصرة في (٥ ت ١٩١٤) بمساعدة اذنابها وعملائها الذين قاموا بمهمة حصار مراكز القوات التركية في (سفوان) و (ام قصر) والقوات التركية التي كانت في الجنوب من جزيرة (بوبيان) . كما كان مقرراً لهؤلاء العملاء تهديد البصرة من جهة الارض ، او الاستيلاء عليها للمحافظة على ارواح الاجانب الموجودين فيها وممتلكاتهم الخاصة .

وهذا ما اوضحته رسالة المعتمد البريطاني السياسي وقنصلها العام في الخليج العربي (سي . اج . نوكس) الى مبارك الصباح في ٣ ت ١٩١٤ التي جاء فيها : (امرتني الحكومة البريطانية ان انقل شكرها على اخلاصكم وما بذلتموه من مساعدة ... وان اطلب اليكم ان تهاجموا (ام قصر) و (سفوان) و (بوبيان) وتحتلوا ، وان تسعوا بعد ذلك بمعاونة عبد العزيز بن سعود والشيوخ المخلصين الاخرين في تحرير البصرة من الحكم التركي) .

وعلى الرغم من ان مبارك الصباح لم يطلع في الاستيلاء على البصرة ، الا ان حضوره اليها مع عدد من ازماله كان عاملاً مساعداً للجنرال ارثر بارت وجنوده في التقدم باتجاه احتلال البصرة ، بعد ان تكبدت القوات البريطانية خسائر فادحة في الانفس والاموال نتيجة المقاومة الباسلة التي ابداهها البصريون في الدفاع عن مدينتهم ومن قبلها معركة (الشعيبة) التي تطوع للجهاد فيها اكثر من عشرة الاف مقاتل عراقي .

وغداة احتلال بغداد نظمت الدوائر السياسية البريطانية في الهند ولندن بياناً يذاع باسم الجنرال (ستانلي مود) على اهل بغداد ، جاء فيه : (يا اهالي بغداد : تذكروا با ثم تألمتم مدة ستة وعشرين جيلاً ، اذاكم الظلمة (الغرباء) الذين سعوا دائماً وابدأ الى الايقاع بين البيت والبيت كي يستفيدوا من انشقاقكم ، فهذه السياسة مكروهة عند بريطانيا وحلفائها) .

لقد اثار احتلال بغداد ، ومن قبلها محافظات الجنوب العراقي من قبل الجيش البريطاني بهجة وسرور خدمة بريطانيا من آل صباح ، فقد بعث سالم بن مبارك الصباح الذي تسلم ادارة شؤون (الكويت) بعد وفاة اخيه (جابر بن مبارك) برقية تهنئة الى الحاكم السياسي البريطاني (برسي كوكس) جاء فيها : (بشرتنا الاخبار بتقدم الجيوش البريطانية بالعراق ، فصرنا جداً مسرورين ومستبشرين بهذه الموفقية السارة ، فاني من صميم قلبي اقدم لسعادتكم فائق التهاني والتبريك) . وبعد وفاة (مود) اثر اصابته بالهيبضة ... اجتمع اهل بغداد ليستمعوا الى خطاب جديد من (مارشال) الذي تولى القيادة العامة للجيوش البريطانية بعد وفاة (مود) وفي هذا الخطاب كرر

مارشال ما ذكره سلفه ، ومن ثم ليختمه بالقول : (اطلب منكم ان تشاركوني بتحية هذا العلم البريطاني المرفوع امامكم ، وان تهتفوا ثلاثاً لجلالة الملك الشفوق المحبوب جورج الخامس) . وما بين الخطابين ، وبعدهما كان العراقيون يعرفون جيداً اية لعبة قذرة تدبرها بريطانيا لاحكام سيطرتها لا على العراق فحسب ، وانما على المنطقة باكملها بمعاونة ازمائها ، واستنزاف خيراتها ، ونهب ثرواتها ، وما تضمه ارضها من كنوز اثارية ، ومعالم حضارية ، ولم تخذعهم عبارات المجاملة الرنانة التي تضمنتها خطبتنا (مود) و (مارشال) ولم يقدموا فروض الطاعة والتحية للعلم الذي رفعتة بريطانيا في غزوها فوق ارضهم ، بل كبد العراقيون بريطانيا خسائر تقدر بمئة الف اصابة في الانفس ويمتلي مليون باون استرليني . فاذا كان الاتراك (غرياء) فرقوا بين البيت والبيت ، فان البريطانيين (غرياء) جدد لم ترضهم الا فرقة (البيت الواحد) وبق اسفين العداوة بين اهله ، وان السياسة القائمة على زرع الفرقة والتناحر ليست مكروهة عند البريطانيين - كما اشار مود - لانهم هم الذين ابتدعوها من خلال شعارهم سييء الذكر (فرق تسد) ... ثم جاء الرد العراقي الذي عبر عن وعي وطني متجذر في النفوس التي تحمل ارث حضارة عمرها اكثر من ثمانية الاف سنة ، اذ هبت جماهير شعبنا العراقي في ثورة العشرين مكبدة البريطانيين خسائر فادحة قدرت بنحو الفين وخمسمائة قتيل وجريح وبما يزيد على اربعين مليون باون استرليني ... ولتكون هذه الثورة الدليل الساطع على وحدة العراقيين ورفضهم المطلق لاي شكل من اشكال انسيطرة ، بعد ان ابى البريطانيون ان يصغوا جيداً لصوت العراق الموحد الرافض لاحتلالهم ، فكان الجواب الفصل لما اسموه بالسلاح الاسود : (القالة) و (المكوار) اللذين اجبرا بريطانيا على الانزعان لارادة العراقيين .

واليوم ، وبعد مرور اثنين وثلاثين عاماً على امتلاك شعب العراق المجاهد ، الصبور ارادته الوطنية الحرة ، بقيام ثورة ١٧ - ٣٠ تموز ١٩٦٨ المجيدة ، وبناء صرح حضارته التي ضحى من اجلها (عراقاً دماً) ، واصبح سيد نفسه بات يدرك اكثر من اي وقت مضى ، ان الاتراك اذا فرقوا بين البيت والبيت ، وان بريطانيا قد فرقت بين اهل البيت الواحد ، فان اميركا تسعى جاهدة لنسف هذا البيت من اساسه ، واحالته الى ركام . وهذا ما سعت اليه عندما جيشت جيوش اكثر من ثمانية وعشرين دولة تحت ذريعة واهية ، وحجج اوهن من بيت العنكبوت ، ارادت من خلالها هدم البيت العراقي ، واعادته الى القرون الوسطى ، وحرمانه من ايسر حقوقه المشروعة في الحياة الحرة الكريمة واختيار نهجه السياسي والاقتصادي الذي آمن به .

وحين وقف العراق صامداً ، مجاهداً لحماية بيته ، وامنه ، وإعادة اعمار ما دمره الاشرار في عدوانهم الغادر ، كان (الحصار) السلاح الذي استغلته اميركا لتدمير العراق وايذاء شعبه ، وذلك بالعمل على اطالة أمده من خلال عناصرها المخبراتية التي زادت نسبتها على الثلث من مجموع اعضاء لجان التفتيش المكلفة بتطبيق قرارات مجلس الامن المتعلقة بنزع الاسلحة ، والتي بدأت تأخذ طابعاً آخر بضغط اميركي وتأييد بريطاني ، لم يعد خافياً على أحد .

لقد ادرك العراقيون منذ زمن مدى الحقد الذي تكنه اميركا على بلدهم وشعبهم ، وانها لم تدخر جهداً للذيل منه ، ومن قيادته التاريخية ، وانها في ظل الاوضاع التي يعيشها عالم اليوم ... والسطوة التي تمارسها على مجلس الامن . فان الحصار لن يرفع ما دامت اميركا متحكمة بقراراته برغم ان العراق قد اوفى بجميع التزاماته التي نص عليها القرار ٦٨٧ واصبح من حقه المشروع تطبيق الفقرة (٢٢) من القرار المذكور بدون اي نقصان ، بعد التضحية والمعاناة التي قدمها شعبه ، ومن دون اية

شروط اضافية .

ان تصرف اميركا طوال السنوات المنصرمة من فرض الحصار يؤكد عدم وجود نية اميركية او دليل يشعر ان رفع الحصار بات قريباً بل ان ما حصل كان على العكس من ذلك تماماً ، وفي هذا يقول السيد الرئيس القائد صدام حسين حفظه الله ورعاه : (لقد تصرفوا مع العراق باقصى ما يحصل من التصرف مع بلد محتل ومستعمر ... في حين ان العراق بلد غير محتل وغير مستعمر ، وحر الارادة ، وحر في سيادته ، ويجب ان يفهم العالم هذه الحقائق ، ويجب ان يفهم تفاصيل الظلم الذي وقع على العراق) . ان اميركا وتابعها الذليل بريطانيا يجب ان يدركا ، ان ارادة العراقيين لم تقهر يوم كانوا عزلاً الا من حرارة الايمان بوطنيتهم ، وعدالة نضالهم ومشروعيتهم ، ولم يكن لهم من سلاح غير (الفالة) (المذكر) . فكيف اليوم ، والعراقيون يمتلكون ارادتهم ، واعدوا عدتهم لقهر عدوهم وسوروا بيتهم (الشامي) . ويرسور المحبة والالفة خلف القيادة التاريخية للسيد الرئيس القائد صدام حسين ، قائد جمع المجاهدين ، الصابرين ، وان ارادتهم الحرة ، المستقلة قادرة على كبح جماح عدوهم الذي يسعى اليوم باهدأ لفرض عقوبات جديدة على العراق من خلال القرار « ١٢٨٤ » السيء الذكر ، في الوقت الذي تتعالى فيه اصوات المجتمع الدولي بضرورة سماع صوت الحق المنطلق من عراق القائد صدام حسين ورفع الحصار الجائر عن شعبه . ودفع مجلس الامن الى تنفيذ الالتزامات المتقابلة المتعلقة بعمله ، وخصوصاً تنفيذ الفقرة (٢٢) من القرار (٦٨٧) وتطبيقها (تطبيقاً كاملاً) من دون زيادة ومن دون تلاعب او تسويق .

وفي غياب ذلك ، وعجز مجلس الامن في ان ينتصر لنفسه ، وهذا ما انزلنا في وقت ليس بقليل ، وعمل في ضوئه لتفتيت الحصار ، وخلق آلية عمل - على مختلف المستويات - لتخفيف وطأته ، والحد من اثاره الخطيرة ، يبقى السؤال قائماً ، ما الذي يمكن ان يفعله الاخوة العرب لنرفع الاذى عن العراق وشعبه ، وماذا ينتظر منهم لاييقاف نزع المعاناة التي اضرت بأخوتهم ؟ بعد ان نأكدت حقيقة : ان استهداف العراق (عدواناً وحصاراً) هو استهداف للامة في ماضيها ، وحاضرها ، ومستقبلها ، ودفعها الى نفق مظلم بعد ان تغدو حصص وغنائم في ظل الهيمنة الاميركية التي اعدت اميركا مسرحها منذ ان بشرت بـ (نظامها الدولي الجديد) .

ان رفع الحصار عربياً الان ، بقدر ما اضحى مهمة قومية عاجلة ، فإنه في الوقت ذاته يمثل انتصار الامة لنفسها ، بعد ان انتصر العراق لها عبر تاريخه المجيد ، وقدم من التضحيات السخية التي لا ينكرها جاحدٌ او متآمر ، بعد ان اختار العراق امته ، ووظف طاقاته المادية والبشرية من اجل نصره قضايها ، والدفاع عنها ، وعن حريتها وسيادتها ، وكرامتها في ضوء انتمائه المصري ، وبعد ان - كما قال السيد الرئيس القائد صدام حسين - : « غاب قرار الاغلبية الوطنية والقومية الشريفة ، وتأثيرها القيادي عن الحياة العربية ، وحل محله قرار الاقلية المدنسة الفاسدة التابعة للاجنبي ، فأصبحت الامة في الصميم ، ولحق بها سوء ، ليس اقل من حيث نتائجه من الحكم الاجنبي المباشر » .

ان الحقائق التي اسفر عنها العدوان الذي ما زال مستمراً ، ومن ثم الحصار ، بقدر ما كشفت حقيقة العراق الذي تجلّى بابنائهِ صوراً مشرقة في الصبر الجميل ، وفي الصمود والمطاولة التي قل نظيرها ، وفي الايمان بعدالة قضيته التي هي قضية امته ، بل والانسانية جمعاء ، تتطلب بالقدر ذاته وقفة عربية جادة في كسر طوق الحصار الجائر ، فالتضحية التي قدمها العراقيون ليست (عراقية) فحسب ، لانها (عربية) أولاً واخيراً ، كما ان (النصر) الذي حققوه هو حصة الامة ، ومهماز صحتها القومية ورسالتها الجهادية .

المراقبة

في الشعر الجاهلي

د. عبد الرزاق خليفة محمود الدليمي

كلية اللغات - جامعة بغداد

■ المقدمة :

المَرْقَبَةُ : الموضع المُشْرِفُ ، يَرتَفِعُ عَلَيهِ الرَّقِيبُ وَمَا أُوفِيتْ عَلَيْهِ مِنْ عِلْمٍ أَوْ رَابِيَةٍ لَتَنْتَظِرُ مِنْ بَعْدِ . وَهِيَ الْمُنْتَظَرَةُ فِي رَأْسِ جَبَلٍ أَوْ حَصْنٍ وَجَمْعُهُ مَرَاقِبٌ . وَالتَّرْقَبُ : تَوَقُّعُ شَيْءٍ وَتَنْتَظَرُهُ^(١) . وَمِمَّا يَتَّصِلُ بِالْمَرْقَبَةِ صَلَةٌ وَثِيقَةٌ مَا نَجِدُهُ تَحْتَ مَادَّةِ « رِبَا » فَالرَّيْبُ وَالرَّيْبَةُ : الطَّلِيعَةُ ، وَالْجَمْعُ الرِّبَايَا وَلَا يَكُونُ إِلَّا عَلَى جَبَلٍ أَوْ شَرْفٍ يَنْظُرُ مِنْهُ . وَمِنْ الْمَجَازِ رِبَاً فَلَانِ عَلَى شَرْفٍ إِذَا « عَلَا وَارْتَفَعَ » لِيَنْظُرَ لِلْقَوْمِ كَيْلًا يَدُهُمُ غَدُوً^(٢) .

وَرِبَاتُ الْأَرْضِ : رِبَتْ وَارْتَفَعَتْ ، قَالَ تَعَالَى « فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ »^(٣) . أَيِ ارْتَفَعَتْ . وَقَدْ ارْتَبَطَتِ الْمَرْقَبَةُ بِالْجَبَلِ وَالْجَبَلُ صِفَاتٌ طَبِيعِيَّةٌ مَعْرُوقَةٌ هَذَا إِلَى جَانِبٍ مَا يَسْتَوِجِيهِ مِنْهُ الْإِنْسَانُ مِنْ صِفَاتٍ مَعْنَوِيَّةٍ تَدُلُّ كُلُّهَا عَلَى الشَّمُوحِ وَالْعِظَمَةِ وَالْعُلُوِّ وَالسِّيَادَةِ ، فَضْلاً عَنْ ارْتِبَاطِهِ بِالْعِزِّ وَالْمَنْعَةِ وَالْحِصَانَةِ ، يَقُولُ دِثَارُ بْنُ سَنَانٍ :

کسانی اذا حلت بـ طـریـداً

حَلَّتْ عَلَى الْمَعْنَى مِنْ أَبْسَاسٍ^(٤)

والصلة بين الشعر والبيئة صلة وثيقة لا ينكرها منكر ومن هنا كان للجبال وما يتصل بها وما تكتنفه من تفاصيل سفوحها وكهوفها وقممها موضع في شعر الجاهليين الذين تناولوا ذلك كله في حديث وصفهم ومغامراتهم وغزواتهم وسلمهم وحربهم فضلا عن اتخاذهم الجبال رموزا للشموخ والعظمة والخلود ، والذي يعيننا من ذلك كله أن المرقبة احتلت قدرا صالحا من شعر الشعراء على اختلاف شرائحهم وكان لها في شعر كل شريحة موضع ودلالة مما لم تفصل فيه دراسات سابقة ولم تستبطن مضامينه نظرات تحليلية ، وذلك ما يطمح هذا البحث الى تحقيقه متابعا صور المراقب في شعر كل شريحة محلا لطبيعة تناولها ودلالات توظيفها وصولا الى تقديم تصور شمولي لظاهرة مهمة من الظواهر التي عالجها الشعر الجاهلي .

المراقبة في شعر الصعاليك :

حتى ارتبطت المراقبة بهذا الجبل ، يقول الزبيدي « والمراقبة جبل كان فيه رقباء هذيل »^(١) يجدون فيه مامنهم وينجزون مهماتهم في التردد ومراقبة الاعداء « فالوقوف على المراقبة يزدوج فيه معنى الهرب والمواجهة »^(٢) . ولقد تحدث الشعراء الصعاليك عن مغامراتهم ، وتحدثوا عن تربصهم بضحاياهم ، وارتقابهم الفرصة

لقد شغلته المرقية جانباً كبيراً من شعر الصعاليك خاصة ، ومن هؤلاء الصعاليك ، صعاليك هذيل الذين جعلوا من الاماكن العالية حصناً وممتعاً لهم ، فقد اشتهر جبل هذيل بمرقباته^(٥) ،

الملائمة لهاجمتهم ، فوق المرتفعات العالية التي يشرفون منها على الطريق بحيث يرون الناس ولا يرونهم .

ومن أشهر مناطق تربصهم - فضلا عما سبق - منطقة جبال السراة فيما بين مكة والطائف ، ولعلها المنطقة التي شهدت وجود أكبر عدد من صعاليك العرب ، فيذكر الاصمعي أن بالحجاز والسراة من هؤلاء العدائين الذين يعدون على أرجلهم ويختلسون أكثر من ثلاثين^(٨) ، وإن في هذيل وحدها منهم أربعين^(٩) وهذه المنطقة بحكم طبيعتها الجبلية تيسر وسائل المراقبة والترصد فضلا عن وسائل الهرب والاختفاء والنجاة ، فما أيسر ما يجدون في دروبها المتوتية الكثيرة ، وطرقها الصاعدة الهابطة فرصاً طيبة تساعد على الهرب ، أكثر ما يجدون في كهوفها المتعددة ، وتنايها الغامضة المحجبة وصخورها العالية المتناثرة أماكن صالحة للاختفاء والمراقبة^(١٠) . ففي أخبار تأبط شراً أنه أغار ومعه ابن بركة على بجيلة ، فلما خرجت في آثارهما « مضيا هارين في جبال السراة ، وركبا الحزن »^(١١) .

وأشهر الصعاليك الذين انتشروا في هذه المنطقة الجبلية صعاليك فهم وصعاليك هذيل ، فضلا عن انضم إلى أولئك وهؤلاء من خلعاء القبائل وشذاذها .

لقد احتشد كثير من صعاليك هذيل وذويانهم يراقبون ويسطون على الأمنين الوادعين أو يروعون القوافل التي كانت تقطع الطريق بين مكة والطائف ، متربصين بمن يريد العمرة أو الوافدين على الحرم ، والخارجين منه في تجارة ، يشجعهم على الفرار طبيعة الاقليم ذي الشعاب والخابد العميقة وأشهر الأماكن هنا جبل غزوان^(١٢) . إن طبيعة الجبل والحياة فيه أضفت على الهذلي شيئاً كبيراً من التوحش والحذر ومن هنا كان يقظاً جريئاً لا يهاب شيئاً ، وهو ما يفسر الكثرة الملحوظة من الشذاذ فيهم ، والذين يكثر بينهم الفرار العداؤون ، تشد أزهم طبيعة صلبة وعرة تمنح سوقهم عضلات قوية^(١٣) نتيجة لطبيعة الأرض وما تستلزمه من صعود وهبوط دائمين ، وتسلق للمرتفعات ومنها مراقب الرصد .

لقد اتخذ هؤلاء الغزو والسطو « مهنة » حين حيل بينهم وبين ما يريدون على أن هذه الطبقة المتمردة لم تستقل بنفسها عن الطبقة الفقيرة كلها ، ولم تخلعها القبيلة بدورها وإنما اكتفت بخلع بعضها ممن كانت وطأتهم شديدة كصخر الغي وأبي جندب .. إن أصحاب هذا النوع من الغزو - أعني الصعاليك - يجمعهم وجدان طبقي واحد عمل على تكافئهم فإذا هم طبقة ظاهرة مستقلة لها شخصيتها وأسلوبها المعين في الحياة وإن كثيراً من شعراء هذيل كانوا من المتمردين الذين يعيشون مع الصعاليك الآخرين في توافق اجتماعي في أكثر الأحيان ، وبعض هؤلاء طلبتهم القبائل الأخرى فأنطلقوا يختبئون في الصحراء ، أو في شعاب الجبال ومراقبها ، يعيشون بها مشردين متوحشين مطلوبين للثأر والقصاص ممن آذوهم وأغاروا عليهم ونهبوهم ، ومن هؤلاء - مثلاً - أبو جندب^(١٤) .

وطبيعي أن ترتبط حياة بعض هذيل بهذه الناحية ، يتعرضون من أجلها لأنواع شتى من المشقة حيث يتربص بهم

الناس ، وهم يتربصون بهم وهو ما نجده في غزوات تأبط شراً المستديمة لأحد جبال بني لحيان المفردة^(١٥) . وفي أخبار بعض الصعاليك الهذليين أنهم كانوا يغيبون على خزاعة^(١٦) ، وكانت خزاعة تقيم بمكة^(١٧) ، وكان بين هذيل وفهم ثارات^(١٨) ، فكان صعاليك كل من القبيلتين يغيبون على الأخرى ، فيتربص بهم صعاليكها ، وهكذا يبدو أن للمسألة جانباً اقتصادياً آخر هو سر المسألة والذي يرجع إلى الصراع بين الطائفتين على أهداف واحدة هو السيطرة المطلقة على هذه المنطقة الخصبة^(١٩) .

لقد وقف الصعاليك موقفاً اجتماعياً رافضاً واعتمدوا على القوة في كسب رزقهم ووجدوا في القوافل التجارية المارة سبيلاً لكسب هذا الرزق ، ففي مرور هذه القوافل في المناطق المقفرة الموحشة فرصة صالحة للغارة والغزو ، وصيد مواتٍ للسلب والنهب فاجتمعوا في عصابات ، وانضم إليهم خلعاء القبائل وشذاذ الأحياء ، يتربصون مترصدين لينتهبوا ما يقدرون على انتهابه^(٢٠) . والمراقبة التي يتربص فوقها الشاعر الصعلوك دائماً منيعة ابية على سواء وأكثر ما يتحدثون عن تربصهم فوقها والليل مقبل يغشى الكون ، بدياجيه الكثيفة ليكون هذا أمعن في التخفي ، وأقرب إلى موأاة الفرصة وأبل على أناتهم وقوة قلوبهم ، « والليل أخفى للويل »^(٢١) . يقول الشاعر أمثالهم . و « الصعاليك نومهم قليل » كما يقول الشاعر عمرو بن بركة^(٢٢) .

ويرسم الشنفرى في إحدى قصائده شعره لوحة رائعة لمزقته ، فهي منيعة عالية يعجز دونهما الشبان الماهر الخفيف الذي يخرج بكلايه المضرة للصيد ، ويصف لنا كيف صعد إليها وقد أقبل الليل بظلامه الحالك الشديد الذي يلف الكون ، وكيف قضى الليل فوقها متربصاً ، محدباً على ذراعيه مبالغاً في تخفيه كما يتطوى الأنعوان المتكسر ، ولا شيء معه سوى نعلين باليتين مفتخرأ بذلك وبأصحابه الذين لا يئارقونه ، سيفه وقوسه وسهامه^(٢٣) :

ومزقبة عيطاء يقصر دونها
أخو الضرة الرجل الخفيف المشفق

نميئاً إلى أعلى ذراها وقد دنا
من الليل ملتف الحديقة أسد

فبت على حد السداعين محدباً
كما يتطوى الأرقش المنقصف

قليل جهازى غير نعلين أسخقت
صدوزهم مخصورة لا تخصف

وملحفة برس وجرد ملاءة
إذا أنجمت من جانب لا تكفف^(٢٤)

وهذا ما نجده في مراقبة تأبط شراً التي تملو سائر المراقب وهي إلى جانب هذا معقدة ذات أخاديد كأنها عجوز شطاء بتياب خلقة ، ولكنه مع ذلك كله ما إن ينتصف الليل حتى ينهض إليها :

ومراقبة يأم عمرو طمرة
مذبذبة فوق المراقب غيطل

نهضت إليها من جثوم كأنها
عجوز عليها هذمل ذات خيمل^(٢٥)

صُعُوداً بنعلٍ بالية ممزقة قد شدّها بسيور بعد أن جعل تحتها نعلاً أخرى :

بشِرتة خَلَقِي، يُوقِي البنان بها

شَدَدْتُ فيها سَريحاً بَعْدَ اطراق^(٢٦)
وتبدو مرقبة ابي خراش قليلة الارتفاع في الليل لانها في الواقع اعلام شامخة يتقطع عند صعودها النعل فيصير اشلاء تشبه اشلاء طائر السماني :

ونعل كاشلاء السُماني نبذتها

خلاف نَدِي من آخر الليل أورهم
إذا لم يَنَازِ جاهلُ القومِ ذَا النُهي

وَبَلَدَتِ الاعلامُ بالليلِ كالآلِمِ
تَراها صِغاراً يَخبرُ الطُرفُ دونها

ولو كان طُوداً فوقه فِرْقُ الغُصم^(٢٧)
وفي صورة اخرى لمرقية يرسمها بشكل اشمل واكثر تفصيلاً ويضع نفسه امام شرط قاس وهو الانسلاخ من قبيلة « مرة » إن اخفق في ارتقاء هذه المرقبة التي هي نتوء مشرف من الجبل كانه حد الفاس ، يشرف على طريق ضيق كانه الذفق ، يتسرب فيه الناس ، وقد اقيم فوق هذا النتوء عرش يستظل المتريص تحته ويختفي فيه ، ولكن هذا العرش قديم متهدم لم يبق منه الا عودان أحدهما قائم والاخر ملقى على الارض :

لستُ كَمَرَةً إن لم أوفِ مَرقبةً

يسود لي الحِث منها والمقاضي
في ذات ريب كَنَلُ الفاس مشرفةً

طريقها شَرَبَ بالناسِ بَعَثُوتُ
لم يبق من عرشها الا بَعِاثُها

جَذلان مُنهدِم منها ومنصوب^(٢٨)
ولم يكن ابو خراش وحيداً فوق مرقبته وانما كان معه صاحب عزيز قوي النفس لم يرض بحياة الدعة وأبى أن يكون عبداً او خائماً للناس ، انما أثر أن يكون صعلوكاً عاملاً يروصد فريسته من فوق المراقب والدنيا ظلام والليل موغل ، فهو يرفض الراحة والدفء اللذين ينعم بهما الضعاف الذين لا خير فيهم :

بصاحب لا تُنال الدهر غِرَّة

إذا افتلَى الهدف القَن الممازيب
بمته بسواد الليل يزقيني

إذْ أثر النوم والدفء المناجيب^(٢٩)
ويمضي ابو خراش « بعد تلك مضيقاً الى صورة صاحبه خطوين آخرين فهو قائم فوق هذه المرقبة كانه السهم ، او قدح كثير الفوز قد جعل صاحبه فيه علامة لشدة اعتزازه به وحرصه عليه ثم هو سَمُخُ النفس على نحافته وقلة لحمه »^(٣٠) .

يظل في رأسها كانه زَلَم

من القداح به ضرُس وتعقيب
سَمَح من القوم عريان اشاجعه

خَفَ النواشر منه والظنابيبي^(٣١)

إن ظاهر الصورة التي رسمها ابو خراش لمرقبته والتي بدت مهترئة توشك على السقوط يختلف عن باطنها الذي يشكل رمزاً للقوة فالارتقاء اليها ومراقبة السابلة منها يحتاج الى بطولة منقطعة النظير لهذا تراه يحشد الوان صورته الصادقة البارعة محدداً ابعادها في ابراز صفات صاحبه من نحول ونواشر بارزة . وهو ما نجده في الصعلوك العامل الذي يمدحه عروة ، والذي يظل مصدر تهديد لاعدائه مطلاً عليهم وهم يزعرونه كما يزعج المقامرون بعض قداحهم الخاسرة اذا ضربوا بها وهو بذلك يتحدى اعداءه ويقهروهم :

مُطلاً على اعدائه يزعرونه

بساحتهم زجر المتيج المشهر^(٣٢)

لقد كان الذعبان لا يقرون ابداً ، لان الحياة عندهم عمل مستديم ، وكانوا حذرين في كل خطوة يخطونها ، ولقد وجدوا في المناطق الجبلية ومرتفعاتها ما يعينهم على اتمام مغامراتهم ، ففي قممها العالية مراقبهم منها يروصدون اعداءهم ، حتى يستطيعوا أن يوجهوا اليهم ضربتهم في الفرصة الملائمة ، ولا يقتصر الرصد فيها على الليل بل يشمل النهار ايضاً فهذا عمرو نو الكلب يفتخر بالمرقية التي يتربص فوقها ، فهي بعيدة واسعة عالية ملساء ، منحدره الحرف ، وقد أمن في موضعه ذاك طوال يومه مخفياً شخصه ، حتى اذا حانت الفرصة تحدر من فوقها وهو ما يزال متخفياً كما يتحدر الماء الصافي الذي يهتدي لمنحدره :

ومرقبة يحار الطرف فيها
تزل الطير مشرفة القذال

ولم يشخص بها شرفي ولكن
دنوت تحذر الماء الزلال

اقمت بزئدها يوماً طويلاً
ولم أشرف بها قتل الخيال

ومقعد كربة قد كنت فيها
مكان الإشبعين من القبائل^(٣٣)

فالشاعر بطل علينا في هذه الابيات مصوراً حاداً لهذه المرقبة ولحالته فيها فهو قد عرفها جيداً بعد أن اقام فيها طويلاً . وهو ما نجده في ابيات تايبط شراً الذي يفخر بنفسه وبقوته وصبره لانه سبق اصحابه الذين يرتقون معه اعلى القمم وادقها ، لا يمنعهم من ذلك حر الصيف وشمس المحرقة ، ولان في الوصول اليها الامن والعلو والمنعة :

وَقلة كسان الزُجج بارزة
ضحيانة في شهور الصيف مخراق

بانزث قلتها صحبي وما كسلوا
حتى نميث اليها بعد إشراق

لا شيء في زئدها ، إلا نعامتها
فَناها فزيم ، ومنها قائم باقي^(٣٤)

فالصماليك يتربصون فوق المراقب ينفقون فيها كل يومهم وهم راقدون على الارض كالخيال حتى لا يراهم احد ، ففي رصد حركات الاعداء وفي الدفاع عن المجموع يلقون العنت والمشقة

فضلاً عن ذلك انهم يجدون في هذه المراقب اماكن آمنة ، فيها يدفعون الاخطار ومن خلالها يتربصون الاعداء ، وهو ما يبدو في مجمل النصوص الشعرية السابقة ، فاذا مات احد الذويان ، يكون مما يرى به صعوده في المرقبة ويقاؤه عليها ليمنع الشر عن اخوانه ، قال ابو المثلّم في رثاء صخر الغي .

لو كان للذهر مال عند مُتَلَدِهِ
لكان للدهر صخرُ مال قُنْيَانِ

رِثَاءُ مَرْقَبَةٍ مَنَاعُ مَغْلِبَةٍ
رِثَاءُ مَرْقَبَةٍ مَنَاعُ مَغْلِبَةٍ
فارتقاء هذه المراقب يُعد من المفارح التي تمدحوا بها ، وهذا ما نجده - ايضاً - في رثاء تابط شراً لصاحبه الشنفرى الذي لم ينس بطولته في ارتقاء تلك المراقب السماء التي طالما ريص فوقها في انتظار فرائسه ، فرائس الغزو وفرائس الثار : منبهاً اصحابه على احوالهم من غفلة عنهم اودارية بهم ، فيقول فيه :
ومَرْقَبَةٍ سَمَاءُ أَقْعَيْتُ فَوْقَهَا
لِيَنعَمَ غَازٌ أَوْ لِيَذَرَ نَائِزٌ
وَأَمْرٌ كَسَدُ الْمُنْخَرِينَ اعْتَلَيْتُهُ

فَنَفُسْتُ فَنَهُ وَالْمَنَايَا حَوَاضُ (٢٧)
ويتحدث عروة كثيراً عن اصحابه ولكن حديث القائد لا حديث الرفيق ، فهو يدعوهم للغزو والغارة (٢٨) ، حتى اذا ما انتهت الغارة ، واخذوا طريق العودة ، ونزلوا عند بعض المياه لينحروا مما نهبوه ، تحول القائد الهمام الى قائد حذر ، لا تفارقه صفة الزعامة ، « فهو لا يقف ربيعاً لاصحابه ، وانما يبعث احدثهم ليرقب لهم الطريق فوق المرتفعات ، وهو يرسم في بعض شعره صورة لهذا الربيع ، وقد وقف فوق مرقبته ثابتاً لا يتحرك كأنما غرس فوقها ، ولكن عينيه لا تستقران ، فهو يقلبهما دائماً في الفضاء الذي يحيط بهم ، حيث اناخوا ابلهم ، واوقدوا مواقدهم يهيئون لا نفسهم طعاماً » (٢٩) فيقول :

لَعَلَّ انْطَلَاقِي فِي الْبِلَادِ وَرَحَلْتِي
وَشَدِي حَيَازِيمَ الْمَطِيَةِ بِالرُّحْلِ
سَيَدْفَعْنِي يَوْمًا إِلَى رَبِّ هَجْمَةٍ
يَدَافِعُ عَنْهَا بِالْعُقُوقِ وَبِالْبَخْلِ
قَلِيلٌ تَوَالِيهَا وَطَالِبٌ وَثَرُهَا
إِذَا صَحَّتْ فِيهَا بِالْفَوَارِسِ وَالرَّجْلِ
يَقْلُبُ فِي الْأَرْضِ الْفَضَاءَ بِطَرَفِهِ
وَهُنَّ مَنَاخَاتُ ، وَمَزْجَلُنَا يَغْلِي (٣٠)

وبعد .. فلقد عبر الشعراء الصعاليك عن قوتهم وشجاعتهم الفردية من خلال صورة المفارقات التي اجتازوها او المراقب الشم التي ارتقوها ، وقد طال الحديث عن هذه المراقب التي لم يجرؤ غيرهم على ارتقانها . لما في ذينك المسرحيين المفاوز والمراقب من الاخطار والمخاوف ولا سيما المخاطر الطبيعية ، فضلاً عن المفاجآت المجهولة التي تحملها الطبيعة مما يجعل ارتياد تلك الاماكن مبعثاً على الفخر والشجاعة ، هذا الى جانب صفتي

الارتقاء والمنعة ، التي وجدها في ارتقاء المراقب والتي تحول التربص فيها والرصد منها الى موقع آمن من الاعداء كافة . وعزز امانهم في هذه المراقب ، السلاح الذي رافقهم في رحلتي الصعود والهبوط ، وفي الليل الشديد الظلام ، او في حر الظهيرة اللافت وفي المراقب المكشوفة لشمس الصيف القاسية والهجير الحارق اللاهب .

وحفل شعر الصعاليك بقصص واحاديث عن تشردهم وفقرهم وابائهم امام تجبر الموسرين ، واحاديث عن مفاخراتهم الجريئة فرادي وجماعات بما فيها من صراع وفراور وعدو وتربص فوق المراقب في انتظار الضحايا من الاغنياء والموسوين ، عارضين كل ذلك بأسلوب قصصي فيه الكثير من الاثارة والتشويق وتسلسل الاحداث حتى الغاية الطبيعية المحتملة . وكان للمرقبة في هذه القصص الشعرية واحداثها دور مؤثر وبارز لما لها من مكانة في نفوس الشعراء الجاهليين عامة والشعراء الصعاليك خاصة .

المرقبة عند شعراء القبائل :

يكاد يتفق شعراء القبائل في وصفهم للمراقب التي ارتقوها مع ما وجدناه عند الشعراء الصعاليك فيأتي الحديث عن المراقب عندهم تجسيدا للبطولة الفردية والجماعة مقرونة بحديثهم عن التربص لاعدائهم ، والترصد فوق المرتفعات العالية والجبال ، التي هي رمز للشموخ والمظمة والعلو والتمنع ، فضلاً عن الخلود الذي يعلو على مستوى الحياة الاعتيادية ، فيما انه شامخ فهو خالد ، وقد اقترن الجبل بذكر العظماء ، وبافعالهم ومن هذه الافعال ارتقاء الجبال العالية والوصول الى مراقبها الصعبة ، قال كعب بن سعد الغنوي يرثي أخاه ابا المغوار :

كَانَ أَبَا الْمَغَوَّرِ لَمْ يُؤَفِّ مَرْقَبًا
إِذَا رَآهُ الْقَوْمُ الْغَزَاةَ رَقِيبًا (٣١)
وجمع امرؤ القيس بين الجبل والشمس ، في وصفه لمرقبته العالية الصعبة الارتقاء ، التي اشرف فوقها نهاره كله يقلب الطرف ويرقب العدو من كل ناحية حتى الغروب :
وَمَرْقَبَةٍ كَالرُّجِّ أَشْرَفْتُ فَوْقَهَا
أَقْلَبُ طَرَفِي فِي فَضَاءٍ غَرِيضٍ
فَطَلْتُ وَظَلُّ الْجَوْنِ عِنْدِي بَلْبِدِهِ
كَأَنِّي أُعْدِي عَنْ جَنَاحٍ مَهِيضٍ
فَلَمَّا أَجُنَّ الشَّمْسُ عَنِّي غَيَاظَهَا
نَزَلْتُ إِلَيْهِ قَائِمًا بِالْحَضِيضِ (٣٢)

ومن الغريب أن تذكر المرقبة في شعر امرئ القيس (٣٣) د الذي تحدث عن ترصده فوقها حتى غروب الشمس وهو ابن ملك ، ويوضح هذا الامر نص للأصمعي يروي ابن دريد عن ابي حاتم عنه ، يقول فيه « ويقال ان كثيراً من شعر امرئ القيس لصعاليك كانوا معه » (٣٤) . فان لم نوافق الاصمعي على : ان كثيراً من شعر امرئ القيس لصعاليك كانوا معه ، فاننا نستطيع ان نقول ان هناك اثراً للصعاليك في شعر امرئ القيس من هذا الجانب حيث

بدت المرقبة واضحة جداً في شعر الصعاليك ، ومن المعروف ان امرأ القيس في بعض مراحل شبابه كان يتبع صعاليك العرب « ومن الطبيعي ان النفس الفنية في هذه السن المبكرة تكون قابلة للتأثير لأن نضجها الفني لم يكتمل »^(١٤) بعد . وأذن فليس من البعيد أن يكون امرؤ القيس قد تأثر بهم في هذا الجانب . وتبدو الصورة نفسها والاتجاه ، ذاته الذي وجدناه عند امرئ القيس - الجبل والشمس - عند لبيد ، فهو يعلو المرقبة ويظل فيها حتى غروب الشمس ، وكان المرقبة لا يصلح المكوث فيها الا للرقابة والنظر فهي مرتبطة - على نحو ما - بالشمس^(١٥) .

وقد يرتبط الجبل بالليل ، وبمظاهر الطبيعة الاخرى ، فهو موطن الريثة ، وعلى الريثة يحاول الشاعر التغلب على الخوف الذي سببته وحشة الصحراء في بهيم الليل وما يسمعه من اصوات وغيرها بان يجعل هذا المجهول الخوف مما يستأنس به فيلبسه ثوب الانسان في شكله وكلامه ، بل في معلوماته ولغته ، فهذا الاستئناس يخفف بلا شك من حدة الخوف لدى الشاعر العربي طارق الدياجي ، فيجد في المرقبة وعلوها موقع أمان ، قال زهير :

وَمَرْقَبَةٌ عَزَفَاءُ أَوْفَيْتُ مُقْصِراً
لِاسْتَأْنَسِ الْأَشْبَاحَ مِنْهَا وَأَنْظُرَا^(١٦)

فالاصوات الغريبة والاشباح المختلفة والجان الجوال وسط الظلام ، مما يتقلب الشاعر عليها في شعره لا بالهروب منها بل بالاستئناس بها ، وهذا التقرب والاستئناس يتم بالمراقبة والترصد من موقع الامان الذي وصل اليه في حضن المرقبة بقمة الجبل ، ونجد ذلك ايضاً في ابيات لكعب بن زهير يذكر فيها القفر الموحش والجبل والمرقبة التي ارتقاها فيقول :

وَمَرْقَبَةٌ عِطَاءٌ بَادَرْتُ مُقْصِراً
لِاسْتَأْنَسِ الْأَشْبَاحَ أَوْ أَتَنُورَا
عَلَى عَجَلٍ مَنِي غَشَاشاً وَقَدْ بَدَا
دُرَا النُّحْلُ وَأَخْمَرُ النَّهَارُ فَادْبَرَا^(١٧)

فهو يصف المرقبة وقد اتاها على خوف اخر النهار ، وذلك كما يقول الشارح « اشد لخوفه ، لان البصر لا يصدق في آخر النهار كما يصدق في اوله وفي وسطه ، وانما يخمُر عند سقوط الشمس ومغيبها »^(١٧) . وهو ما يقرره الاسود بن يعفر الذي يفخر بالصعود الى مرقبته المرتفعة جداً التي لا تبلغها الا الصقور وقد استقر فوقها مترصداً مع غروب الشمس :

وَمَرِيأُ كَالرُّجْ أَشْرَفَتْهُ
وَالشَّمْسُ قَدْ كَادَتْ وَلَمْ تَغْرِبْ
تَلْفَنِي الرِّيحُ عَلَى رَأْسِهِ
كَأَنِّي صَفَرْتُ عَلَى مَرْقَبِ^(١٨)

وتجد الارتقاء والمنعة واضحين في مرقبة امرئ القيس فهي مرقبة عالية صعبة الارتقاء لا تصل اليها الا الطيور^(١٩) ،

وهذا ما يؤكد المتنخل الهذلي الذي يفخر بمرقبته التي ارتقاها ، والتي لا تستتر عليها الا الطيور القوية لشدة ارتفاعها ومنعتها وصعوبة الوصول اليها :

وَمَرْقَبَةٌ نَمِيتَ إِلَى دَرَاها
تُرْلُ نَوَارِجَ الْحِجْلِ الْقَوَاطِي^(٢٠)

مما تقدم نجد ان المادة الشعرية للمرقبة قد استقت صورها مما وفرته الطبيعة - الجامدة والمتحركة - للشاعر معبراً من خلالها عن قوته في الصمود امامها وفخره الذاتي في ارتقاء مراقبها الخطرة المسالك ، التي تتوافق مع صفات الشاعر المتمثلة بالفتوة والشجاعة وتحدي الصعاب . وهذا ما رسمه ابو كبير الهذلي لمرقبته التي خالط الوانها فخر الشاعر بنفسه لانه ارتقى مرقبته حين احجم الرجال « عن صعودها خوفاً وتقاعسا لانها في رأس جبل شاهق تحيط به الاخطار لا نبت حولها ، ولا انيس فيها »^(٢١) ، الا الحمام الاخضر الذي لا ياكله احد لانه ابعد من ان يصل اليه انسان :

وَلَقَدْ رَيَاتُ إِذَا الرُّجَالُ تَوَاكَلُوا
خُمُ الظَّهِيرَةِ فِي الْيَفَاعِ الْأَطُولِ
فِي رَأْسِ مَشْرِفَةِ الْقَذَالِ كَأَنَّمَا
أَطْرُ السَّحَابِ بِهَا بَيَاضُ الْمَجْدِلِ
وَعُلُوْتُ مَرْتَبِئاً عَلَى مَزْهَوَةٍ
حِصْبَاءَ لَيْسَ رَقِيئِهَا فِي مُثْقَلِ
عِطَاءٍ مُعْنَقَةٍ يَكُونُ أَنْيْسُهَا

وَزَقَّ الْحَمَامُ جَمِيعَهَا لَمْ يُوَكِّلْ^(٢٢)

والمرقبة عند ابي ذؤيب تأخذ حيزاً كبيراً وتقدم معنى جديداً فهي للمراقبة ولحماية الديار من مباغطة الاعداء ، وليست للسطو والاستلاب ، انها مرصد القبيلة لذلك فهي مرتفعة ومشرفة ، ويتحمل الراصد فيها الحر الشديد لان مهمة حماية القبيلة تتطلب هذه التضحية منه :

هَذَا وَمَرْقَبَةٌ عِطَاءٌ قَلَّتْهَا
شَمَاءُ ضَاحِيَةٍ لِلشَّمْسِ قِرْوَاخُ
قَدْ ظَلَّتْ فِيهَا مَعِيَ شَعَثُ كَأَنَّهُمْ
إِذَا يُشْبُ سَعِيرُ الْحَزْبِ أَرْمَاحُ
لَا يَسْتَظِلُّ أَخُوها وَهُوَ مُفْتَجِرُ
لِرَيْدِهَا مِنْ سُمُومِ الصَّيْفِ مُلْتَاحُ^(٢٣)

وهو ما يتحملة لبيد بن ربيعة الذي يحمي قومه ويكون في المظنة والخوف ، يرقب لهم عند ثغور الاعداء ، وهو بكامل عدته متهاجياً للنزال حتى اذا أجنه الظلام نزل من مرقبته الى السهل ، وامتنى جواده القوى السريع :

وَلَقَدْ حَمِيْتُ الْحَيَّ تَحْمِلُ شِكَّتِي
فَرُطُ وَشَاحِي إِذْ غَدَوْتُ لِحَامِهَا
فَعُلُوْتُ مَرْتَبِئاً عَلَى ذِي هَبْوَةٍ
خَرَجَ إِلَى أَعْلَاهُمْ قَتَامِهَا
حَتَّى إِذَا أَلْقَتْ يَدَا فِي كَافِرٍ
وَأَجَنَ غَوْرَاتِ الثُّغُورِ ظَلَامِهَا

أَسْهَلْتُ وانتصبت كجذع منيفة
جُرْدَاءَ يَخْصُرُ بونها جُرَامُهَا^(٥٤)

وهو ما يؤكد في موضع آخر وموقعة أخرى يكون فيها على رأس حامية من قومه بني جعفر يحميهم ويرى لهم ويرقب عدوهم ، بجنان ثابت وقلب قوي ، يفخر من خلاله بشجاعته وهمته بالارتقاء الى المرقب العالي الذي فيه المنعة والسجى والارتفاع : وَلَقَدْ يَغْلُمُ صَخْبِي كُلُّهُمْ

بِعِذَانِ السَّيْفِ صَبْرِي وَنَقْلُ رَابِطِ الْجَاشِ عَلَى فَرْجِهِمْ
أَغْطِفُ الْجَوْنَ بِمَزْجِوعٍ مِثْلُ

فَتَدُلُّنِي عَلَيْهِ قَافِلًا
وَعَلَى الْأَرْضِ غَيَابَاتِ الطُّفْلِ
وَتَأْتِيَنِي عَلَيْهِ ثَانِيًا

لَمْ أَقِلْ إِلَّا غَلِيَّةً أَوْ يَتَّقِنِي بِتَلِيلِ ذِي خُصْلٍ
مَرْقَبٍ يَفْرَعُ أَطْرَافِ الْجَبَلِ
وَمَعِي حَامِيَةٌ مِنْ جَفْرِ الْجَلَلِ^(٥٥)

وهذا ما نجده في المرقب الذي وصفه كعب بن زهير والذي يفخر بالوصول اليه ، فهو مرقب شامخ قاهر الارتفاع لا يسلك طريقه الا القوي الشجاع ، حيث يجد فيه الامان والمنعة له ولمن يحميهم من الاصحاب ، فضلاً عن انذاره المبكر لقبيلته من أي اعتداء خارجي :

وَنَارُ قُبَيْلٍ الصُّبْحِ بَادَرَتْ قَدْخَهَا
خَيْلُ النَّارِ قَدْ أَوْقَدَتْهَا لِلسَّافِرِ
فَلَوْحٌ فِيهَا زَانَةٌ وَزِيَّاتُهُ
عَلَى مَرْقَبٍ يَغْلُو الْأَحْزَةَ قَاهِرِ
وَلَمَّا أَجَنُ اللَّئِيلُ نَقْبًا وَلَمْ أَخَفْ
عَلَى أَثَرٍ مَنِي وَلَا غَيْنَ نَاضِرِ
أَخَذْتُ سِلَاحِي وَأَنْحَدَرْتُ إِلَى أَمْرِي
قَلِيلٍ أَذَاهُ صَدْرُهُ غَيْرُ وَاعِرِ^(٥٦)

وهذا ما يقرره ابو نوءيب الهذلي الذي يعين في رسم الصورة القاسية الموحشة لهذه المراقب فطرقها ملتوية لا يسلكها الا القوي الذي لا يخاف الوحدة ، ولا يخشى لظى الشمس ، ويقرن هذه الصورة بذاته التي تصجد البطولة الفردية المسخرة لخدمة القبيلة ، وهو يجازف بنفسه في اختراق المسالك الموحشة منفرداً من اجلها^(٥٧) . وكما يتحرك ويترصده منفرداً نجده يترصده الاعداء مع المجموع ، بشكل نفيسة يبحثون في الارض والمرتفعات لينظروا اعداءهم ، فهم رجال استطلاع متقدم في راياء تراقب العدو وترسل اشارات التحذير بطريقة يتفقون عليها ، وهذا ما نستشفه من قوله :

عَلَى طُرُقٍ كَنَحُورِ الرُّكَا
بِ تَحْسَبُ أَرَامَهُنَّ الصُّرُوحَا

بِهِنَّ نَعَامُ بَنَاهَا الرُّجَا
لُ تَبْقَى الثَّفَائِضُ فِيهَا الشَّرِيحَا^(٥٨)

وهو ما نجده عند خفاف بن ندبه الذي يربا لقومه مقتحراً : ومراقبة طَيَّرْتُ عَنْهَا حَمَامَهَا
نَعَامَتَهَا مِنْهَا بَضَاحُ مُزَلِّقِ
تَبَيَّتْ عِتَاقُ الطَّيْرِ فِي رَقَبَاتِهَا
كَطَرَةٍ بَيْتِ الْفَارَسِيِّ الْمُغْلِيِّ^(٥٩)

وهذه الخنساء تمدح أخاها صخراً ، بأنه يحمي ديارهم من مباغطة الاعداء ويرقب تغور تقرهم :

إِنَّكَ رَاغٍ لَجَمِيعٍ فَإِنْ
أَوْفَيْتَ أَعْلَى مَرْقَبٍ فَانْظُرِ^(٦٠)
وهذه من واجبات سيد القوم الذي يكون حافظاً لاهله ورعيته لكي لا تتفشاهم خيل اعدائهم بغتة ، او ترقبهم عيون جواسيسهم^(٦١) ، فكما كانوا يراقبون الاعداء ويتربصون بهم ، كان الاعداء يقابلونهم بالمثل ، وهو ما تكشفه لنا دورية الاستطلاع التي يتقدمها ابو نوءيب الهذلي حين يقول :

وَأَصْبَحْتُ أَمْشِي فِي دِيَارِ كَانَهَا
خَلَّافَ دِيَارِ الْكَاهِلِيَةِ عَوْرُ
أَتَادَى إِذَا أَوْفَى مِنَ الْأَرْضِ مَرْقَبًا
وَإِنِّي سَمِعْتُ لَوْ أَجَابَ بَصِيرُ^(٦٢)

وهذا ما نستشفه أيضاً من قول امرئ القيس الذي ابصر اعداءه متحصنين في مراقب عالية منيعة^(٦٣) ، وذلك في اثناء غارته عليهم ، وأكد ذلك مالك بن خالد الهذلي الذي رأى الرجال مستمكنين لهم في المراقب ، فيقول :

كَانَ بِيْطُنُ الشَّعْبِ غَرِيْبَانِ غِيْلَةً
وَمِنْ فَوْقِنَا مِنْهُمْ رِجَالٌ عَصَائِبُ
وَكَانَ لَهُمْ فِي رَأْسِ شَيْبٍ رَقِيبُهُمْ
وَهَلْ تُؤَخِّشُنْ مِنَ الرُّجَالِ الْمَرَاقِبِ^(٦٤)
وكما قدم لنا الشعر الجاهلي صورة للبطولة الفردية والجماعية في ارتقاء هذه المراقب والفخر بالتغلب على الاخطار والمخاوف ان كانت طبيعية او غيرها ، من أجل حماية القبيلة من الاعداء ، قدم لنا صورة أخرى هي رثاء ابطال هذه المراقب من الذين منعوا الشر عن اخوانهم وقبيلتهم ، ومن ذلك رثاء المتنخل الهذلي لابنه ائيلة ، الذي يمدحه بأنه كان يرتقي الريايا ويرصد الاعداء منها ، يقول :

أَقُولُ لَمَّا أَتَانِي النَّاعِيَانِ بِهِ
لَا يَبْعِدُ الرَّمْحُ نُوَ النَّصْلَيْنِ وَالرُّجُلُ
دُمُحٌ لَنَا كَانَ لَمْ يُغْلَلْ تَنَوُّبُهُ
تَوَفَى بِهِ الْحَرْبُ وَالْغَرَاءُ وَالْجُلُ
رِثَاءُ شَقَاءٍ لَا يَأْوِي لِقَلْبَتِهَا
إِلَّا الشُّحَابُ وَالْإِ الْأُوْبُ الشَّبَلُ^(٦٥)

وهذا ما نجده في رثاء مالك بن خالد لابنائه^(٦٦) ، ورثاء الخنساء لاختها صخر^(٦٧) . وبعد ..
فالمراقبة اذن عند شعراء القبائل رمز للقوة الجسدية والمنعة

والبطولة ، وقد تأتي ذلك كله من كونها ترضى في قلب الجبل
الازللي الشموخ . وقد امكنوا في وصف علوها فذهبوا الى ان
الصقور وحدها من يستطيع بلوغها . فجسدوا بذلك شجاعته
وبسالتهم وجلدهم وتحديهم للموت . وشاعر القبيلة يذكر المراقبة
بوصفها مكاناً تبدأ منه حماية القبيلة وحفظ امنها وسلامة ابنائها
ومقدراتها ، هذا الى جانب ذكرها مكاناً يستكشف منه المقاتلون
شؤون اعدائهم واستعداداتهم لمواجهة الاخطار فيضمون في
ضوئها خططهم القتالية .

وقد رأينا ان صورة المراقبة تسلمت الى موضوعاتهم الشعرية
المختلفة من فخر ومديح وحماسة وتهديد وثناء بيد انها - في كل
الاحوال - كانت مفردة من مفردات القوة والشموخ يوظفها
الشعراء في الموضوع الملانم الذي يرون توظيفها فيه يمنح
الموضوع الشعري قدرة الاداء الفني المطلوب .

مراقبة الصيد - للانسان :-

لقد عرف العربي الصيد والطرد ، وعرف كيف يطارد الحيوان
ويقنصه ، فهو يراقبه طويلاً ويصبر عليه في مراقبته^(٧٨) ، متربصاً
به طوال الليل منتظراً اول خيوط الفجر حين ينساب القطيع الى
موارد الماء ليروى ظمائه ، وهو ما ينتظره الصياد الذي غارت عيناه
وهناً وهزالاً ، وشغقت سموم الصيف جلده ، فاستحال اسود جافاً ،
وبرزت عظامه وغلظت انامله لشدة جهده وطول مراقبته^(٧٩) .

لقد سن امرؤ القيس اوقات الخروج الى الصيد ، فتيهه
الشعراء وتخاطفوها جيلاً بعد جيل^(٨٠) ، حتى امست لازمة لا تكاد
تفارق مطلع اي شعر يتناول وصف الحيوان ، ومراقبته واصطياده :
وقد اغتدي ومعي القانصان

وكُلُّ بمرية مُقْتَفِر^(٨١)

لقد استقى الشعراء صور الصياد المراقب من الطبيعة ، وهو
ما نجده عند بشر بن ابي حازم الذي تقترب شياة الصياد في نهمة
بهية الذنب فكلهما سريع ، يبغي فريسته ، فينطلق باحثاً عنها
مع الشروق وقد علت غيرة ، وواضح أن غيرة الذنب حقيقية ، اما
غيرة الصياد فطارئة ، اكتسبها من القفار ومراقبة الوحش :
وياكره عند الشروق مكث

أزل كسرحان القصيمة أغبر^(٨٢)

ولا يختلف الاعشى بتشبيهه الصائد بالذنب ، وقد قعد في
مراقبته يرصد منها الوحش صبيحة كل يوم^(٨٣) ، وكان الوحش قد
ادركت ما يضمره الرماة لها فباتت تحذرهم وتتحاشى مواطنهم ،
وفطن الصياد لذلك لذا وجدناه يستتر عن الوحش ويخفي
رائحته^(٨٤) مخبئاً في ربيته ، يراقب مورد الماء قال زهير :
وعلى الشريعة رابيء متحلس

رام بعينيه الحظيرة شيزب^(٨٥)

ويسهر الصائد في تلك المراقبة ، طاوياً ليله أملاً في أن يظفر
بصيد^(٨٦) ، وربما يترك الصياد مراقبته ، فيبدأ رويداً ولا سيما
حين يدنو لصيد ، فيحني قامته ، ويمشي ببطل وحذر ، ليخفي

نفسه ، وبهذا الصياد شبه عدي بن زيد نفسه ، وهو يخطو نحو
الشيخوخة ، وقد حنت الايام ظهره :

حنقني حانبات الدهر حتى
كأنني خائل يدنو لصيد^(٨٧)

واحياناً يرسلون غلاماً ، يتشوف لهم من مكان مرتفع مسالك
الوحش كما فعل امرؤ القيس ، ان استتر رقبته في مراقبته باوراق
الشجر لنلا يراه الصيد فيذعر ، وكان الرقيب حاذقاً في مهمته ،
فهو يمشي على اربعته كالخشف ، لاصقاً بالارض ليحمل لامرء
القيس وصحبه بشرى صيد وفير :

بعثنا ربيباً قبل ذاك مخملاً
كذئب الغضي يمشي الضراء ويتقي
فظل كمئل الخشف يرفع رأسه
وسائرته مثل الثراب المدققي
وجاء خفياً يسفن الارض بطنه

تري القرب منه لاصقاً كل ملصق
وخيطة نعام يرتسمي متفرق^(٨٨)

فقال الاهذا صوازي وعاتة
وتتخذ الوعول مثلاً للقوة ، وموضوعاً للناسي ، ولكنها على
قوتها لا تندجو من الدهر ونكباته ، فهي تجعل شوامخ الجبال
مساكن لها ، ومراقبها مواضع امان الا ان هذه المراقب لا تعصمها
من الموت^(٨٩) ، فصائد هذه الوعول يختبيء في مكان ، يراقب منه
الوحش ، واسهمه في كفه ، حريص ان ينال منه بها مقتلاً ،
فيرسله فيصيب نواحي الوعل والفم :

اتاح له الدهر ذا وفضة
يقلب في كفه أسهما
يراقبه وهو في قفرة

وما كان يزهب أن يكلما
فارسا سهماً له امزعا
فشك نواحقه والغما^(٩٠)

وقد يطول ترقب الصياد مخفياً ، يطوي نهاره حتى يقترب
الظلام :

فظل يرقبه حتى إذا نمست
ذات العشاء بأسداف من الغسم
ثم يئوش إذا أد النهار له

بعد الترقب من نيم ومن كتم^(٩١)
ويرسم ابو خراش في قصيدة له صورة طبيعية صادقة لحمار
الوحش وقد امتلات نفسه زعراً وهما ، خشية من الصيادين ، فقد
اعتلى مرتفعاً من الارض يشرف على الافاق خائفاً يترقب^(٩٢) ،
واليوم شديد الحر ، وعندما تؤذن الشمس بالمغيب ، ويحين موعد
الايوة الى المنازل ، يترك حمار الوحش مراقبته ، ويهيج اتنه التي
تسرع امامه مثيرة غباراً كأنه الخيوط التي لم تبرم :

أرى الدهر لا يبقى على حدثانه
أقرب تباريه جدائد حوّل

يضل على البرز اليفاع كانه
من الفار والخوف المَجْمُ ونيلُ

فلما رأين الشمس صارت كانه
فوبق البضيح في الشعاع خميلُ
فهيجها وانشام نفعاً كانه
إذا لفها ثم استمر سحيلُ^(٨٢)
وتحس الاتن الخطر المتريص بها من الصياد فتسرع الخطوه
بعيدة عن الخطر، ويرسل الصياد سهامه فتدجو الاتن لتقدمها ،
ويسقط حمار الوحش بسهم عريض النصل^(٨٤) .

مرقبة الصيد - للحيوان :

مرقبة الطير :

لم يقف الشعر الجاهلي من الطيور المترقبة للصيد موقفاً
يفصح عن نواحي العناية والتدريب والتضرية ، فأكثراً ما ورد كانت
صوراً أوحى بها المشاهدات العابرة^(٨٥) ولم نجد محاولة شعرية
تسجل أسلوب استخدامهم لهذه الطيور غير أن عينهم الفاحصة لم
تغفلها ، فقد عثوها في جملة عناصر الطبيعة المختلفة التي
اثارت اهتمامهم فوجب عليهم تسجيلها ضمن ما سجلوا^(٨٦) .
وينطلق حديثهم عنها في العادة من « مرقبة » يترصدها فيها
الجراح فريسته فإذا ابصرها انقضض عليها وأنشبت فيها مخالبه ،
وقد يستمر الصراع بين المطارد والمطارذ زمناً ، تختلف فيه
النهايات ، فقد يكن الموت مصير الفريسة ، وقد يلوذ الطير الهلوع
بالصخر منتظراً ظلام الليل وزوال الخطر^(٨٧) .

ومن هذه الجوارح العقاب الذي يعد من جوارح الطير
المعمرة ، ان شاعت كانت فوق كل شيء وان شاعت تقرب كل
شيء ، وهي اسمع الحيوانات لذلك قالوا في المثل اسمع من
عقاب^(٨٨) . ويقال للعقاب صومعة لانها ابدأ مرتفعة على اشرف
مكان تقدر عليه ، ولا تراها ابدأ إلا منتصبه ولا تكاد تراوغ صيداً ،
ولا تزال على مرقب عال فاذا رأت بعض سباع الطير صاد شيئاً
انقضضت عليه فحين يبصرها يهرب ويترك لها الصيدفان جاءت لم
يمتنع عليها الذئب فما دونه^(٨٩) . لهذا كان مسكنها مضرراً للمثل
في العلو والاشراف والمنعة قال امرؤ القيس :

وبرقب تسكن العقبان قلته
اشرفته مسفراً والنفس مهتابة
عمداً لا رقب مبالجو من نعم
فناظر رانحاً منه وعزابه^(٩٠)

وشان الشعراء في اوصافهم لها شأنهم في اوصاف غيرها
من الحيوانات فهم يذكرونها من خلال حديثهم عن خيولهم ثم
ينتقلون الى وصفها وتصوير ما يريون تصويره منها ، وتدهش
الانسان - احياناً - الدقة في الوصف المتأتية من المراقبة

الطويلة ، والاحاطة بطبائع الطيور فالفرس المندفع الى القتال
كانه العقاب الهاوى من مرقبه العالي ، قال الاعشى :

على كل مخبوك السزاة كانه

عقاب هوت من مزقب إذ تغلّت^(٩١)

ونرى امرأ القيس المعجب بفرسه يشبهه بعقاب قد لاح لها
في ارض قفرة ذئب ، كانت تشرف عليه وتترصده من مرقبة في قمة
جبل عال ، فطارت اليه وعندما قريت منه ، وصارت فوقه انقضضت
عليه من علو شاق ، بكل ثقل وقوة ، وكان العقاب الشقاء قد حل
بالذئب :

كانها حين فاض الماء واحتفلت

ضفصاء لاح لها بالسزخة الذئب

فابصرت شخصه من راس مرقبة

ونون موقعها منه شناخيبت

ضبت عليه وما تنصب من أمم

إن الشقاء على الاشقين مصوب^(٩٢)

ثم نراه يتبع الصراع حتى يدرك نهايته ، فالعقاب قد انقضضت
من السماء والذئب في الارض يقصد النجاء بنفسه ، ولكن العقاب
تدركه فتتشب مخالبها فيه ، ويتخلص منها لانذا بالصخور ،
مختبئاً يومه والرعب يملأ قلبه ، يتربل الليل عساه ان ينجو
منها :

فادركته فنالته مخالبها

فانسئل من تحتها والنف منقوب

يلود بالصخر منها بعدما قنثرت

منها وفنه على الغقب الشابيبت

فظل منججراً منها يراقبها

ويزقب الليل إن العيش محبوب^(٩٣)

ويحدثنا عبيد بن الابرص عن عقاب كثيرة الصيد ، تجمعت
في وكرها قلوب طرائدها وجفت ، مشبهها هذه العقاب فوق مرقبتها
على الجبل المرتفع بعجوز تكلت ابناءها :

كانها لقوة طلب

تحن في وكرها القلوب

باتت على إرم رابية

كانها شيخه رقب

واذا كنا قد رأينا العقاب في الشعر الجاهلي تمثل رمزاً للقوة

والمنعة ، فان صورتها في شعر الهذليين اتخذت دلالة اخرى
تمثلت في عجزها ونفاد قوتها أمام حوادث الدهر وتلك طبيعة رؤية
الهذليين للموت وايمانهم بسطوته وجبروته ، وقد كشف عن هذا
صخر الغي عندما شبه اخاه بالعقاب في رثائه له حيث قال :

ولله فتخاء الجناحين لقوة

شوسد فزخيتها لحوم الارانب

كان قلوب الطير في جوف وكزها

نوى القشب يلتقى عند بعض المآب

فخاتت غزلاً جائماً بصرت به

لدى سمرات عند أدماء سارب

فمرت على زَيْدٍ فاعنثت بعضها
فخّرت على الرّجلين أخيب خائب

.....

فذلك مما يحدث الدهر إنه
له كلّ مطلوب حثيث وطالب
فالشاعر صور لنا العقاب في موقفين متناقضين تمثل الاول
في القوة والحياة الهائلة التي عاشتها العقاب وفرخاها في
توسدهم للحوم الارانب وتناثر قلوب الطير حول وكرها ومربيتها
فيه ، وتمثل الثاني في عجزها وضعفها امام القدر الذي ادى الى
هلاكها ، عندما ارتطمت بصخرة صماء وصرعها القدر قبل ان
تصرع فريستها وبذلك سيطر على القصيدة بأكملها شعور واحد هو
حتمية الفناء لكل شيء .

ويبدو ابو خراش الهذلي بتصوير نفسه - حين رأى جماعة
ظنهم اعداءه - وتشبيهها بعقاب :

كأنّي إذا غدوا ضمنتُ برؤى
من العقبان خائنةً طلوبا
جريمةً ناهض في رأس نيق
ترى العظام ما جمعت صليبا

.....

فلاقته ببلّعه برار
فصادم بين عينيها الجبّوبا^(١)
كانت تترصّد وتراقب من اجل فراخها من مرقبة في شمراخ
جبل شاهق الارتفاع فتري من بعيد صيداً ، فتجمع عزمها وتنطلق
خلفه ، فصورها الشاعر منطلقة وراقبها في حركتها وتعقبها مجدة
في الماضي وراه ، حتى تلتقي به في فضاء بارز ليس حوله
شيء ، ولكنها لا تصل اليه ، فقد اخطأته وصكت برأسها الارض .
ومن الجوارح الاخرى الصقر : التي سجل الشعراء عاداتها
في ملاحقة القوافل وكتائب الجيش ، تراقب من بعيد طمعاً في
صيد يتخلف عنها ، صابرة في ترقبها ، متأملة لحظات القتال
ساكنة في مكانها سكون الشيوخ الذين أضربهم البرد :

إذا ما غزوا بالجيش خلق فوقهم
عصائب طير تهدي بعصائب

.....

يصانعهم حتى يُغرّز مفارهم
من الضاريات بالدماء الدوارب
تراهن خلف القوم زوراً عيونها
جلوس الشيوخ في مسوح الارانب^(٢)
وينقل لنا ابو خراش الهذلي ذلك الصراع المستمر من اجل

البقاء في صورة حية نابضة بالصدق لصقر فوق مرتفع مشرف على
الافاق ، يراقب في البعيد والقريب ، وفجأة يلمح من بعيد ارنبا
يتوارى بين شقوق الارض فيتها لها ثم يشرع يطاردها ، فتسرع
حين تحس به لتندجو من الموت ، ولكنها اعجز ما تكون عن الهرب ،
امام طير جارح اصاب منها القلب :

ولا اضمغر الساقين ظل كأنه
على مخزّنات الإكام نصيل
رأى ارنبا من دونها غول أشرج
بعميد عليهن الشراب يزول
فضم جناحيه ومن دون ما يرى
بلاد وحوش امزع ومحول
توائل منه بالضراء كأنها
سفاة لها فوق التراب زليل

.....

فاهوى لها في الجوّ فأختل قلبها
ضيؤ لحيات القلوب قتل^(٣)

وبعد ... فتلك هي صورة المرقبة وطبيعة توظيفها في الشعر
الجاهلي ، حيث وجدناها شاخصة في شعر الصعاليك ، وشعر
فرسان القبيلة وشعرائها المبرزين في حالاتي الحرب والسلام
وتتمثل هذه الاخيرة في شعر الطرد والصيد بكل خصوصياته .
والماتل في هذا الشعر يراه شعراً حياً خالداً يمزج بين
الصورة الحقيقية المعيشة والفن الاصيل المنبثق عن نفس متأثرة
منفعلة بالحدث ، ذلك ان المرقبة ذات اهمية كبيرة في حياة
الصعلوك ، بحيث لا نغلو اذا قلنا انها من أهم مقومات استمرار
حياته الشاقة المعقدة ، مثلما هي مهمة لعيون القبيلة وحمايتها
الساهرين على امنها وحرمانها وفرسانها في مباغثة اعدائهم ،
فان ولينا وجوهنا صوب الصيد وجدنا ان لا مناص للصيد - في
كثير من الاحيان ان لم يكن دائماً - من ان يلوذ بها مختبئاً
متريصاً بفريسته لينقض عليها حيث يرى ذلك مناسباً مستفيداً
من عنصر المباغثة التي توفرها له ، ولا فرق في ذلك سواء أكان
الصيد انساناً أم حيواناً .

ولقد اجاد الشاعر الجاهلي في وصف مرقبته مجسماً حالها
وباسطاً اوصافها مظهرأ متعتها وشموخها وبسالته وقوته في آن
معاً .

وعليه فهو يسير في شعر المراقب على ديدنه في شعره
الخالد الاصل الذي لم يزل حتى يومنا هذا معيناً ثرا يمتح منه
القارئ : السامع الجديد تلو الجديد وذلك هو أحد اسرار خلود هذا
التراث الشعري الاصيل .

الهوامش

(٣) سورة الحج الاية ٥ .

(٤) مختارات ابن الشجري ٤١٦ . أبان : جبل . الممتع : العالي الذي يتمتع

(١) ينظر تاج العروس « رقب » .

(٢) م . ن « ربا » .

من ان يبلغه احد .
 (٥) ينظر المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ٩ / ٦٣٥ .
 (٦) تاج العروس « رقب » .
 (٧) دراسة الادب العربي ٣٠٤ .
 (٨) ينظر فحولة الشعراء ، للاصمعي ٣ .
 (٩) ينظر م . ن ٣٧ .
 (١٠) ينظر الشعراء الصعاليك ٨١ - ٨٢ .
 (١١) الاغاني ١٨ / ٢١١ « بولاق » .
 (١٢) ينظر كتاب المسالك والممالك ١٩ .
 (١٣) ينظر شعر الهذليين في العصر الجاهلي والاموي ٢٠٢ .
 (١٤) ينظر م . ن ٨٨ - ٩١ .
 (١٥) ينظر شرح اشعار الهذليين ١ / ١٦١ .
 (١٦) ينظر تاريخ ابن خلدون ٢ / ٧١ .
 (١٧) ينظر شرح اشعار الهذليين ١ / ٢٢٣ ، ٤٣ ، ٢٤٧ ، ٢٥٣ .
 (١٨) ينظر الشعراء الصعاليك ٨٤ .
 (١٩) مجمع الامثال ، الميداني ٢ / ١٢ .
 (٢٠) ينظر الاغاني ٢١ / ١٧٥ « بولاق » .
 (٢١) ينظر الشعراء الصعاليك ١٨٨ .
 (٢٢) ديوان الشنفرى ، الطرائف الادبية ٣٧ . العيطاء : العالية المرتفعة او الابية الممتعة ، اخو الضروة : الصياد معه كلاب ضراها للصيد . المشقف : النحيل . الاسف : العظيم . محدياً : من احبب اذا انحنى . اسحقت : بليت . الملحقة : ما يلبس فوق الثياب من دثار البرد ونحوه . اللرس : الثوب الخلق . انجمت : ظهرت وظلمت . كف الثوب : خاط حاشيته .
 (٢٣) ديوان تايبط شراً واخباره ١٨١ . من جثوم : اي من نصف الليل . الهدمل : الثوب الخلق ، الخيمل : قميص بلا اكمام .
 (٢٤) م . ن : ١٤ ، الشرقة : النعل الخلق المتهرىء . السريح : القدر اي الشريط من الجلد المجدول تشد به النعال . والاطراق بعد ان يجعل تحت النعل مثلها اذا بليت .
 (٢٥) ديوان الهذليين ٢ / ١٣١ . الرهم : المطر الضعيف الناعم . بليت : اي لزقت بالارض فتري الجيز كأنه اكمة في جوف الليل يصفر في عينك . الاعلام : الجبال ، الطود : الجبل . العصم : الاروى . يحسر الطرف : يكل الطرف .
 (٢٦) ديوان الهذليين ٢ / ١٥٩ . اوف : اشرف . المقاضيب : القت وهي الرطبة من علف الدواب . الريد : حرف ناتئ من الجبل . كفلق الفاس : كحد الفاس . طريقها سرب بالناس : يتسرب بعضهم اثر بعض . دعيوب : موطؤ . عرشها : ما يوضع فوق الدعامة تمام او شيء يستظل تحته . جذلان : عودان واحد قائم والاخر ساقط .
 (٢٧) م . ن ٢ / ١٦٠ ، افتلئ الهدف اي فلاه من اهله ، اي عزله وفصله ، الهدف : الثقل الوخم من الرجال . القن : الذي ابوه عبد وأمه أمة . المعازيب . الابل والشاة التي تعرب عن اهله في المرعى . يريد ليس براع تبعه ابله وشاؤه عن اهله . المناجيب : الضعفاء الذين لا خير فيهم .
 (٢٨) الشعراء الصعاليك : ١٩٠ .
 (٢٩) ديوان الهذليين ٢ / ١٦١ . الزلم يفتح الزاي وضمها : القدح لا ريش عليه . الضرس : تأثير العض . عريان اشاجعه : يعني ليس بكثير اللحم . النواشر : عصب ظهر الكف : الظنابيب : عظام الساق او حدها .
 (٣٠) ديوانه ٧٨ . المنيع هنا هو القدح الذي لا تصيب له .
 (٣١) شرح اشعار الهذليين ١ / ٢٣٧ . يجار الطرف فيها من بعضا ، القذال : الرأس يريد رأس المرقبة . الريد : الحرف ينثر من النجيل يقول اقامت منكبا ولم اعم مشرباً كالخيال : منبسطاً أبسط الخيال فلا يراه احد . القبال : اي توسطها كما يتوسط قبائل النمل الاصبعين . ينظر ديوان تايبط شراً واخباره ٢٥٢ حيث وردت بعض ابيات هذه القصيدة باختلاف في الرواية . قال تايبط

(٥٢) م . ن ١ / ٤٩ - ٥ . شماء : مشرقة . ضاحية للشمس : ظاهرة . قروح : ليس فيها مستظل . معتجر بعمامته : الرید : ما يدر من هذه المرقبة . ملتحاح : متغير لونه قد غيرته السموم .

(٥٣) ديوانه ٣١٥ - ٣١٦ . الشكة : السلاح . فرط : فرس سريع . وشاحي : لجامها : اي يضع لجامها على عاتقه ليكون في متناول يده . الهبوة : الغبار . اقلت : اي الشمس . جعل لهايدا . كافر : ليل ساترعورات الثفور : مواضع المخافة منها . اسهلث : نزلت من مرقبتي . يحصر : يكل . جرامها : قطاعها .

(٥٤) م . ن ١٨٦ - ١٩٠ . عدان : موضع على سيف البحر . النقل : المناقلة في المنطق . مربوع : رمح ليس بالطويل ولا بالقصير . المتل : الشديد . فتدلث : اراد انه نزل من مرباته ولا يكون التدلي الا من علو . الفيابة : ظل الشمس . الطفل : حين تدنو الشمس للغروب . تابيت : انصرفت متبدأ . التليل : العنق لم اقل : لم اقض القائلة وهو نصف النهار . يفرغ اطراف الجبل : يتجاوزها طولاً . تبثلي : تختبر . الخلل : جفون السيوف .

(٥٥) شرح ديوان كمب : ١٨٦ - ١٨٧ . حيا : لاهياء النار . بادرت قدمها : اي ايقادها . طلوح : اي جعل في النار ما اراد من خبز ولحم . الاحزة : جمع حزيز وهي اماكن غلاظ . اجن الليل : سترتني ظلمة الليل . النقب : الطريق في الجبل . الواغر : الحاقط .

(٥٦) ينظر ديوان الهذليين ١ / ٨٢ - ٨٤ .

(٥٧) م . ن ١ / ١٤٦ . تخور الركاب : اعناق الابل . الارام : الاعلام التي يستدل بها على الطريق . الصروح : القصور . النعام : خضبات للربيعة يتخذها الذين يستظلون بها تنصب ويجمع عليها النعام . النفاض : الذين ينفذون الارض ينظرون ما فيها من جيش او عدو . السريح : القدر الذي تخرز به النعال . تبقيع من طول تركبها الجبال .

(٥٨) شعر خفاف بن ندبة ٢٩ . وهي الاصمعية ٢ / ٢٤ - ٢٥ النعامة : كل بناء على الجبل . الضاحي : البارز للشمس . مزلق : امس الطرة : الناصية .

(٥٩) ديوان الخنساء ١٩ .

(٦٠) ينظر م . ن ١٦٥ .

(٦١) ديوان الهذليين ١ / ١٣٨ . الكاهلية : نسبة الى بني كاهل . دياحور : اي فاسده .

(٦٢) ينظر ديوانه ٢٣٧ .

(٦٣) ديوان الهذليين ٣ / ١٢ . غيلة : شجر ملتف . الشجر : الغيل . من فوقنا : اي من فوق الجبل . رجال عصائب : اي جماعات .

(٦٤) ديوان الهذليين ٢ / ٣٧ . نو النصلين : الزج والنصل وهذا معناه لا يبعد فلان وسلاحه . المزاء : الشدة . الاوب : رجوع النحل . السيل : القطر حين يسيل .

(٦٥) ينظر م . ن ٣ / ٣ .

(٦٦) ينظر ديوانها ٤١٣ .

(٦٧) ينظر شعر الطرد عند العرب ١٤ وما بعدها .

(٦٨) ينظر ديوان اوس بن حجر ٧٠ - ٧١ .

(٦٩) ينظر شعراء الطرد عند العرب ١٥٣ .

(٧٠) ديوان امرئ القيس ١٦٠ . القانصان : الصائدان . المراءة : مكان يريا فيه وهو مرتفع ليشرف منه على الوحش . مقتفر : تتبع اثار الوحش .

(٧١) ديوان بشر بن ابي حازم ٨٤ : مكلب : الصياد صاحب الكلاب . الازل : السريع الخفيف . السرحان : الذئب . القصيمة : ما سهل من الارض وكثر شجره .

(٧٢) ينظر ديوان الاعشى ١٢١ .

(٧٣) ينظر الطرد في الشعر العربي ٨٧ .

(٧٤) شرح ديوان زهير ٣٧٦ . الشريعة : شريعة الماء . رابيء : قانص . الحظيرة : موضع الماء . شيزب : يابس من الضر وشدة الحال . وينظر شرح ديوان كمب ١٤٦ .

(٧٥) ينظر منتهى الطلب ١٣٥ .

(٧٦) ديوان عدي بن زيد ١٩٨ .

(٧٧) ديوانه ١٧٢ . مخملاً : يخمل نفسه ويخفيها . الغضى : شجر . يمشي الضراء : اي ياخترال وتبختر . الخشف : ولد الظبية . يسفن : اي يمسح الارض ببصنه يعني يزحف زحفاً . انصار : القطيع بن البقر . العانة : من الحمر الجماعة . وكذلك الخيط : من النعام . وننظر الصورة ذاتها في ديوان عمرو بن معد يكرب ١٤٠ .

(٧٨) ينظر ديوان الافوه الاودي في الطوائف الادبية ١٦ . وديوان لبيد ٢٧٢ . وديوان عدي بن زيد ١٥٤ . وشرح اشعار الهذليين ١ / ٢٤٦ . وينظر هاجس الخلود في الشعر العربي حتى نهاية العصر الاموي ٤٤ - ٤٥ . (٧٩) شعر النمر بن تولب ١٠٤ - ١٠٥ . وينظر ديوان امرئ القيس ١٢٢ - ١٢٤ . وينظر الطرد في الشعر العربي ٦٣ .

(٨٠) ديوان الهذليين ١ / ١٩٦ . (ساعدة بن جؤية) . دمست : انتبست الظلمة اسداف : ظلمات . القسم : اختلاط الظلمة . ينوش : يتناول . آد : مال . الترقب : التخوف والنظر . النيم : الكتم : شجرات .

(٨١) وهذا ما نجده في صورة رسمها اوس بن حجر لحمار وحش . وجل عطش لطلو المراقبة والرصد :

فاضحى بقارات السنار كأنه

ربيعة جيش فهو ضمان خائف
يقول له الراعون هذاك راكب

يؤنن شخصاً فوق علياء واقف
ديوانه ٦٨ . القارات : جبل مستنق ملموم في السماء . السنار : علم على جبال كثيرة . . التابين : اتباع الاثر في الارض .

(٨٢) ديوان الهذليين ٢ / ١١٧ - ١١٨ . اقب : حمار ضامر البطن . جدائد . التي لالين لها . حول : جمع حائل . البقاع : ما ارتفع من الارض . الويل : العصا الغليظة الشديدة . الابالة : حزمة من الحطب . المحمم : هو الذي يأخذ معه هم وحديث نفس . انشام : دخل . النقع : الغبار . السحيل : خيط لم يبرم .

(٨٣) ينظر م . ن ١٢٠ - ١٢١ .

(٨٤) ينظر سمط اللاليء ٢ / ٩٦٥ . وينظر ديوان عبيد بن الابرص ١٨ .

(٨٥) ينظر شعر الطرد عند العرب ٣ . ٢ .

(٨٦) ينظر ديوان امرئ القيس ٥٣ .

(٨٧) ينظر الحيوان ٥ / ٥٣٥ . ٦ / ٤٣٩ .

(٨٨) ينظر م . ن ٥ / ٥٥٠ . ٦ / ٤٠٧ .

(٨٩) ديوانه ٣٤٦ .

(٩٠) ديوان الاعشى ٢٦١ . محبوك السراة : فرس محكم يخلق شديد وثيق . وينظر ديوان المزرد بن ضرار الفطواني ٣٧ .

(٩١) ديوانه ٢٢٦ - ٢٢٧ . احتفلت : اجتهدت في العدو . الصقماء : العقاب السرحة : الشجرة الضخمة . الشناخيب : رؤوس في اعالي الجبال . صبت : بعث عليه عذاب . من امم : من قرب .

(٩٢) ديوانه ٢٨ - ٢٢٩ . العقب : جرى بعد جرى . الشؤبوب : دفعة من مطر منجرا : اراد داسلاً في حجر الدُخُل . هناك رواية اخرى لمعجز البيت وهي « ويرقب العيش ان الميش محبوب » .

(٩٣) ديوانه ١٥ . لقوه : عقاب . ارم . جبل . رقوب : لا يعيش لها ولد . وينظر ديوان امرئ القيس ٣٨ .

(٩٤) ديوان الهذليين ٢ / ٥٥ - ٥٧ . فتحاء الجناحين : اي لينة مفصل الجناح القسب : التمر . خانت : انقضت عليه عند ظبية ابناء . سمراة : شجرات وهي ام غيلان . الرید : الشعراج من الجبل . أعنت : اهلك .

(٩٥) ديوان الهذليين ٢ / ١٣٣ - ١٣٤ . خائنة : متفوضة . طلوبا : تطلب الصيد جريمة ناهض : كاسية فرخ . وهو الناهض . النيق : شماريخ من الجبل . الصليب . الودك . البلقعة : المستوى من الارض . البزاز : القضاء البارز الجيوب :

الأرض .

٩٦٠ هـ ديوان النابغة ٦ .

٩٧٠ هـ ديوان الهذليين ٢ / ١٢١ - ١٢٣ هـ . معر الساسين . لا ريس سبيد .
يريد به صفرا . المحززل . المرتفع . خضير - بحر يحد على الشرف - لا شرح .

المصادر والمراجع

- القرن الكريم .

- الأصمعيات . الأصمعي . أبو سعيد عبد الملك بن قريب « ٢١٦ هـ » تحقيق
وشرح أحمد محمد شاكر ، وعبد السلام محمد هارون . مطابع دار المعارف بمصر .
الطبعة الرابعة ، ٩٧٦ .

- الأغاني . الأصفهاني . أبو الفرج علي بن الحسين (٣٥٦ هـ) . طبعة بولاق
مصر . ١٢٨٥ هـ .

- البناء الفني في شعر الهذليين . أياد عبد المجيد إبراهيم . رسالة دكتوراه
مطبوعة على الآلة الكاتبة ، جامعة بغداد ، كلية الآداب . ١٩٩٠ .

- تاج العروس . الزبيدي . أبو الفيض محمد مرتضى . (١٢٠٥ هـ) .
المطبعة الخيرية ١٣٠٦ هـ .

- تاريخ ابن خلدون . عبد الرحمن بن خلدون المغربي (٨٠٨ هـ) دار الكتاب
الليثاني . ١٩٥٦ .

- جبهة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام . أبو زيد الأنصاري « القرن
الخامس الهجري » . تحقيق علي محمد البجاوي . دار نهضة مصر . ١٩٦٧ .

- الحيوان . الجاحظ . أبو عثمان عمرو بن بحر (٢٥٥ هـ) . تحقيق عبد
السلام هارون . مكتبة مصطفى البابي الحلبي . مصر . ١٩٦٦ .

- دراسة الأدب العربي . د . مصطفى ناصف . دار الاندلس . القاهرة . الطبعة
الثانية . ١٩٨١ .

- ديوان الأسود بن يعفر النهشلي . تحقيق د . نوري حمودي القيسي . وزارة
الثقافة والأعلام ، بغداد . ١٩٧٠ .

- ديوان الأعشى الكبير . ميمون بن قيس . شرح وتعليق د . محمد محمد حسين .
المطبعة النموذجية . مصر . ١٩٥٠ .

- ديوان الأنوفه الأودي (ضمن الطوائف الأدبية) تحقيق عبد العزيز الميمني .
مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٩٣٧ .

- ديوان امرئ القيس . تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم . مطابع دار المعارف
بمصر . الطبعة الثانية . ١٩٦٤ .

- ديوان أوس بن حجر . تحقيق محمد يوسف النجم . دار صادر . دار بيروت .
بيروت ١٩٦٠ .

- ديوان بشر بن أبي خازم . تحقيق عزة حسن . وزارة الثقافة والإرشاد القومي
دمشق . الطبعة الثانية ١٩٧٢ .

- ديوان تأبط شرأ وإخباره . جمع وتحقيق وشرح علي ذو الفقار شاكر . دار الغرب
الإسلامي . ١٩٨٤ .

- ديوان الخنساء . تحقيق د . أنور أبو سويلم . دار عمار . الأردن ١٩٨٨ .

- ديوان عبيد بن الأبرص . تحقيق وشرح د . حسين نصار . مطبعة مصطفى
البابى الحلبي . مصر ١٩٥٧ .

- ديوان عدي بن زيد العبادي . تحقيق محمد جبار المعيد . دار الجمهورية .
بغداد . ١٩٦٥ .

- ديوان عمرو بن الورد . تحقيق عبد المعين الملوحي . وزارة الثقافة والإرشاد
القومي . دمشق . ١٩٦١ .

- ديوان عمرو بن معد يكرب الزبيدي . صنعه هاشم الطعان . مطبعة الجمهورية .
بغداد . ١٩٧٠ .

- ديوان المزد بن ضرار القطفاني . تحقيق خليل إبراهيم العطية . مطبعة
أسعد . بغداد . ١٩٦١ .

- ديوان النابغة الذبياني . تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم . دار المعارف
القاهرة الطبعة الثانية ١٩٨٥ .

شقوق في لاسر بعيدة طول . عول : أي ذات بعد . يزول : يتحرك . نواش : أي
شوري تنجو منه . الضراء : ساوارك من الشجر . السقاء : الشوكة . اختل قلبه :
أي سقمه .

- ديوان الهذليين . إدار القومية للطباعة والنشر . القاهرة ١٩٦٥ .

- سمط اللالي . البكري . أبو عبد الله بن عبد العزيز (٤٨٧ هـ) . تحقيق
عبد العزيز الميمني . مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٣٦ .

- شرح أشعار الهذليين . تحقيق عبد الستار أحمد فراج . مراجعة محمود محمد
شاكر . لجنة دار العروبة . القاهرة . ١٩٦٥ .

- شرح ديوان زهير بن أبي سلمى . صنعه السكري . أبو سعيد الحسن بن
الحسين ز (٢٧٥ هـ) نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب القومية للطباعة
القاهرة ١٩٥٠ .

- شرح ديوان كعب بن زهير . نسخة مدمورة عن دار الكتب . القاهرة ١٩٦٥ .

- شرح ديوان لبيد بن ربيعة العامري . تحقيق إحسان عباس . وزارة الأرشاد
الكويت . ١٩٦٢ .

- الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي . د . يوسف خليل . دار المعارف
بمصر (د ت) .

- شعر خفاق بن نوبة السلمي . جمع وتحقيق د . نوري حمودي القيسي . مطبعة
المعارف بغداد . ١٩٦٧ .

- شعر الشنفرى الأزدي (ضمن الطوائف الأدبية) تحقيق عبد العزيز
الميمني . لجنة التأليف والترجمة والنشر . القاهرة ١٩٣٧ .

- شعر الطرب عند العرب . عبد القادر حسن أمين . مطبعة النعمان . النجف
الأشرف ١٩٧٢ .

- شعر النمر بن تولب . صنعه د . نوري حمودي القيسي . مطبعة المعارف
بغداد ١٩٦٩ .

- شعر الهذليين في العصر الجاهلي والأموي . د . أحمد كمال زكي . دار الكتاب
العربي للطباعة والنشر . القاهرة ١٩٦٩ .

- الطرد في الشعر العربي حتى نهاية القرن الثاني الهجري . د . عباس
مصطفى الصالحي مطبعة دار السلام . بغداد ١٩٨٤ .

- فحولة الشعراء . الأصمعي . أبو سعيد عبد الملك بن قريب (٢١٦ هـ)
تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي . المطبعة المنيرية . القاهرة . ١٩٥٣ .

- مجمع الأمثال . الميداني . أبو الفضل أحمد بن محمد بن أحمد النيسابوري .
(٥١٨ هـ) تحقيق محمد صهي الدين عبد الحميد . دار القلم . بيروت .
(د ت) .

- المحبر . ابن حبيب . أبو جعفر محمد بن حبيب البغدادي (٢٤٥ هـ)
تحقيق أيلة ليختن شتير . مطبعة دائرة المعارف العثمانية . حيدر آباد .
الذكر - الهند ١٩٤٢ .

- مختارات شعراء العرب . ابن السجري . هبة الله بن علي العلوي
(٥٤٢ هـ) تحقيق علي محمد البجاوي . القاهرة ١٩٧٥ .

- المسالك والممالك . ابن حوقل . أبو القاسم محمد البغدادي الموصل .
(٣٦٧ هـ) ليدن . بريل . ١٨٧٢ .

- المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام . د . جواد علي . دار العلم للملايين
بيروت الطبعة الثالثة ١٩٨٠ .

- منتهى الطلب من أشعار العرب . محمد بن مبارك البغدادي (نسو
عن مخطوطة (الآله لي) استانبول ١٩٤١ .

- هاجس الخلود في الشعر العربي حتى نهاية العصر الأموي . عبد الرزاق
خليفة محمود . رسالة دكتوراه مطبوعة على الآلة الكاتبة . جامعة بغداد . كلية
الآداب . ١٩٩٧ .

ظاهرة الاغتراب في شعر طرفة بن العبد دراسة في دلالات اللغة وإحيائها

د. عبد الفتاح نافع

جامعة اليرموك - الاردن

* تمهيد :

قليل هم الشعراء القدماء الذين رسموا لهم خطأً فكرياً مستقلاً التزموا به فميزهم عن غيرهم . فالنهج التقليدي الصارم الذي فرض نفسه حال بين الشعراء وبين حرية التعبير عن فكرهم ومشاعرهم ، فأوقع الشعراء في فوضى الفكر وفوضى التعبير مما . فقد انسحبت حمى التقليد حتى على كبار الشعراء ، فتركت خلا في شخصياتهم ، وحادت بهم عن الطريق الذي كان ينبغي أن يلتزم به الشخصية الشاعرة في نقل ما تحسه وما تشعر به . وأحدثت اضطراباً فكرياً في صور كثير منهم ، صانعة هوة كبيرة بين شخصية الشاعر وبين فكره وأحاسيسه .

كما ان التزام الشاعر الراسخ بالخط القبلي ، لا يخرج عنه ، كان يفرض هو الآخر على الشاعر رسوماً خاصة يُقبل عليها بإرادته ويغير إرادته فتأتي هذه الرسوم فيها تعبير عن شخصه أحياناً وفيها خروج عن نزعاته وأهوائه في أحيان أخرى . وكانت القبيلة بأعرافها وتقاليدها وحروبها وأيامها . هي الصورة الماثلة دائماً أمام الشاعر تشغل عليه فكره ومشاعره وتفرض عليه نهجاً فكرياً جماعياً تذوب فيه شخصيته وتضمحل فرديته فلا تعود نزعاته وطموحاته وآماله تشكل شيئاً ذا بال .

ثم فرضت الطبيعة بقسوتها وبما تمثله من حرمان خطأ قهرياً ثالثاً للشاعر لم يجد بداً من السير فيه . وبين فرضيات القبيلة الصارمة وقوانين الطبيعة العاتية ، وجد الشاعر نفسه يعيش جواً من القلق والخوف والترقب والاغتراب . وقد تأصل هذا الشعور في نفسه وبدا واضحاً في تعابيره وفنه . وإذا كانت الطبيعة قيداً لا يمكن الفكك منه . فقد وجد بعض الشعراء في أنفسهم جرأة على التملل ثم التمرد على القيد القبلي . فانطلقوا يعبرون عن ضيقهم بالتزامات القبيلة ونهجها الصارم غير مباليين بما يجره هذا عليهم من عنت ومشقة وعزلة .

وكان طرفه بن العبد أحد الشعراء الذين شقوا عصا الطاعة على القبيلة فلم يكتف بالتملل والتذمر ، بل كان جريئاً في عرض فكره واضحاً في طرح آرائه فجاء شعره صورة صادقة لشخصيته المتمردة الثائرة . ولم يكن الخروج على نظام القبيلة سهلاً هيناً ، فالمنطق القبلي الجماعي كان يفرض نفسه على كل مجريات الحياة . وخروج الفرد عليه يعني عزله ونبذ وفرض الحجر عليه . وأحس طرفه هذا جميعه فعبّر عن غريته وسط أهله وقومه ، وخدمته اللغة خدمة جلى ، فانسابت تعابير تصور حزنه وألمه وضياعه . فكان صورة ماثلة للاحساس بغربة الفكر الفردي وسط الفكر الجماعي المتسلط .

وقدمنا في دراستنا لظاهرة الاغتراب في شعر طرفه نبذة عن اغتراب الجاهليين عامة ، ورأينا في اغترابهم صورة من قهر الطبيعة وتسلط القبيلة ، وان انقياد الفرد الأعمى للقبيلة كان يخلق في نفسه حالة من عدم الاستقرار وعدم التوازن ، ويرسم على وجهه علامات الكآبة والحزن ويوصل لديه حالة من اليأس وعدم الثقة . ثم درسنا إرهاصات الاغتراب في شعر طرفه فوجدنا بعضها ذاتياً تابعا من معاملة الاهل والاقربين وبعضها عاماً يرتبط بنهج القبيلة وتقاليدها . ومن ثم كان لابد أن نتحدث عن فخره أولاً ، فهو في نظرنا يمثل لديه بداية الصراع بين المنطق الفردي والمنطق الجماعي . ويؤكد ارتداد الفرد الى ذاته يستوحي منها ويستقى مثلها ومبادئها . وقد رأينا في فخره أيضاً لونا من الاغتراب يمثل حيرة الفتى وتذبذبه بين مفاهيمه الخاصة ومفاهيم القبيلة العامة .

وإذا كان التقليد قد فرض عليه أن يبدأ بالحديث عن الديار والمرأة ، فقد وجدنا في لغة هذا الحديث شيئاً من اغتراب النفس وسعيا الدائب نحو رمز أو أمل تتعلق به فتبته شجونها وآلامها . ومن ثم بدت صورة الديار لديه موحشة ترمز الى الفناء . وجاءت صورة المرأة مقترنة بها أشد الاقتران لتبعث شيئاً من البصيص والامل . وعلى الرغم مما في حديث النقاد عن نزق طرفه وشهوته واندفاعه نحو الحس ، فصورة المرأة - كما تبدو من لغته - هي صورة باهتة تشعر بالحزن والحاجة الى الحنان والعطف أكثر مما تشعر بالشهوة ودوافع الحس . ومثلت الرحلة في قصيدته رحلة الحياة بأعبائها ومشقاتها وصراع الانسان من أجل أن يكون . وجاءت ناقته طوداً شامخاً يمثل التحدي والقوة والأمان . وخدمته اللغة في هذا خدمة كبرى ، فجاءت في تعابيرها وإيحاءاتها لتمثل هذا الخوف الكامن في النفس وهذه الحاجة الى شيء ، أي شيء ، يجد فيه الانسان ملاذاً يلجأ اليه فيحمله ويقيه .

ثم درسنا في نهاية المطاف فكره وفلسفته ورؤيته للحياة والمصير ، ورأينا في هذا جميعاً رؤية جديدة للحياة تختلف عن رؤية غيره من الشعراء ، وأن ايمانه بآرائه وجراته في التعبير عنها كان سبباً رئيساً في عزله وغريته . وإذا كنا قد وجدنا في طرفه جديداً ، فهو هذه القدرة الكبيرة على تطويع اللغة وتسخيرها لخدمة فنه . فقد جاءت لغته بما فيها من إيحاءات واضحة الدلالة على مشاعره الباطنة وأحاساساته الحادة نحو الحياة والاحياء ، فرسمت بصدق وإخلاص مساره الفكري ونهجه الشعري .

* اغتراب الجاهليين صورة من قهر الطبيعة وتسلط القبيلة :

والنفسى والمعاشي (١١) .
وشكل الرحيل عنصراً أساسياً في حياة العربي المعاشة ، وأضحى الاغتراب في بيئته معادلاً موضوعياً للعقم والجذب والعدم . وارتبطت نفوس القوم ارتباطاً وثيقاً بالطبيعة وتقلباتها . فهم يراقبون في هدونها وفي اضطرابها ، يستبشرون بالبرق ويهلعون عند انقغال السماء . ففي المطر حياة واستقرار وفي انقطاعه حرارة وسوموم ورمال ثم رحيل وشقاء . وشكل هذا الارتباط بالطبيعة وهذا الترقب الدائم لما تجود به عاملاً أساسياً في هذا القلق والهيام الذي نحس به حيثما نقرأ في الشعر العربي القديم . وانعكس انعكاساً واضحاً في أدبهم وأحاديثهم . وترك معالمه في قسما وجوههم « فجعل العربي كئيباً صارماً يغلب عليه الوجد ،

كان للطبيعة الصحراوية وأسلوب الحياة الرعوي والنظام القبلي القائم على احترام العصبية أثرها الكبير على الشاعر الجاهلي . فحياة الصحراء بما تحمله من طابع التحرك خلقت في نفسه صورة من عدم الاستقرار ، وأصلت فيه حالة من القلق والضياع ورغبة شديدة دائمة في إيجاد موطن جديد يلقي فيه عصا الترحال ولو إلى حين . وقد تركت هذه الحياة بما فيها من شقاء وألم وتشرذ أثرها في تكوين الانسان الجاهلي العضوي

موسيقاه ذات نغمة واحدة متكررة غابسة حزينة ولغة غنية بالالفاظ، إذا كانت تلك الالفاظ من ضروريات الحياة في المعيشة البدوية وشعره ذا حدود معينة مرسومة»^(١).

وكم يبدو جزع الشعراء شديداً من الرحيل . فالرحيل معناه الخوض في غياهب المجهول والاستسلام لمعطيات القدر بخيره وشره - ولعل في هذه الاخيرة كما يبدو من اشعارهم شيئاً من المكروه يتربص بهم ويتربصهم .

ونلمح هذا الجزع واضحاً أشد الوضوح في زفرات ناقة المثقب العبدى وحزنها وشكاتها من هذا الرحيل المستمر الذي لا ينتهي :

إذا ما قمت أرجلها بليل
تأوه أهة الرجل الحزين
تقول إذا درأت لها وضيئي
أهذا دينه أبداً وديني
أكل الدهر حل وارتحال
أبقي علي

ولا يقيئني
ويشكل عنصر الخوف من المجهول ظاهرة مشتركة لدى الشعراء الجاهليين جميعاً وتتمثل على أتم ما تتمثل في حديثهم عن الصحراء المقفرة العمياء وسكونها المخيف المظلم حيث يسير فيها الشاعر على غير هدى لا يتمثل طريقة ولا يسمع إلا عزيف الجن ، وحيث تتلفع الاكام بالسراب وتركد فيها النجوم ، وينعكس هذا جميعاً في عيون الرواحل فيبدو فيها الفزع والخبرة والدمشة والخوف القاتل^(٢).

وليست رحلة الصحراء في حقيقة الامر سوى رحلة الحياة بكل ما تحمله من مشقة وتكاليف وأرق ، في بيئة كل ما فيها يحمل عنصر الشقاء والالم ، ولا يحصل فيها الانسان على قوته إلا قوة واغتصاباً . وليس حديث الشعراء عن جو الصحراء في صيفها اللافح وشتائها القارس ، أو عن هذا الصراع الدائم بين حيوانها المفترس وحيوانها الوديع ، سوى سرد لمشاكل النفس والامها في تحصيل قوتها . وليس القلق الذي يعانىه الشاعر والذي يتمل في أعماق البقرة واللاتان وحمار الوحش سوى تعبير عن السعى الدائب للوصول الى الشاطئ الذي ترغب أن تستقر فيه النفس وتجد ملاذاً .

وما يكاد الشاعر يستقر في موطن جديد حتى يبدأ الحنين وتبدأ معه الذكريات ويغزو الحس بالاغتراب نفس الشاعر وأعماقه ، فقد افتقد الشاعر الاله وأحباؤه وجيرته ، وأفتقد الارض التي انغرس فيها شجونه وأحاديث نفسه ، فإذا آلامه وأحزانه تفيض بكاء وغصصاً على تلك الديار والذكريات تتحدث عن حب دفين أو ماض عزيز . وإذا بكاء الديار ورحيل المحبوبة وقصة الظعائن واحدة مشتركة لدى الشعراء الجاهليين مهما اختلفت طباعهم وتنافرت أمزجتهم ، فهي لا تختلف عند امرئ القيس المتمهر عنها عند طرفة المتشائم ، ولا عند لبيد برجولته الغامرة عنها عند زهير العف أو عمرو بن كلثوم الفاتك^(٣) ولا غربة في هذا

فالحنين والشوق والتشبت بالماضي كلها أمور مرتبطة بعواطف انسانية مشتركة خالدة لدى جميع الشعوب ، وما الحديث عنها سوى علامة ارتباط بين المكان والسكان ، بين الوطن وأهله ، بين البيئة والنفس .

وقد قوت هذه الحياة غير المستقرة من صلة الفرد بالقبيلة ، ومن صلة القبيلة بالفرد . وأخضعت الفرد لعرف قبلي صارم شديد لا يحق له أن يخرج عليه^(٤) وأضحى شخصه القبلي لا يأخذ أبعاده الحقيقية الا في قبيلته ، فلا نصرة ولا كرامة ولا عيش خارج إطار القبيلة^(٥).

وكم كان هذا الفرد يشعر بالحزن والاسى والتهيه إذا ما طردته قبيلته بسبب خروجه على أعرافها ، أو تخاذله عن عصبيتها . فلم يكن أمامه والحال هذه سوى الضياع والمرارة والغربة والتعبير عن هذه المشاعر بخنين جارف لقومه وأهله نجده متناثراً في ثنايا الشعر الجاهلي .

وهكذا عاش الفرد العربي غريباً ، فهو مقهور من الطبيعة حيناً ، ومقهور من قومه حيناً آخر . تطارده الطبيعة بخشونتها وجفافها ، وتطارده القبيلة بما تفرضه عليه من التزامات وأعراف وقيود يحس وطأتها فيقبل بها راغماً أو يطرد . ولما كان العربي مفطوراً على الحرية عاشقاً لها يملأه الشعور بكرامته الشخصية حتى ليثور على كل شكل من أشكال السلطة^(٦) . فقد أحس كثير من الشعراء بالاغتراب وسط قومهم ، فساهم هذا الإحساس في تعميق شعورهم بالقلق والاضطراب ثم التمرد في نهاية المطاف . لقد حالت التزامات القبيلة بين الشاعر وبين حريته وفرضت عليه ما يستطيع وما لا يستطيع فأدى ذلك بالشاعر إلى لون من الاغتراب الذاتي أحس معه بتصدع ذاته وانشقاقها لعدم توافرها مع المجتمع المحيط بها^(٧).

ونشأت بين الشاعر وبين مجتمعه حالة تشبه العداء ، حيث شعر بأنه موزع بين عالمين لا يشعر بالاطمئنان في أحدهما . وفي غمرة من الإحساس بالالم والتصدع والحزن والانكسار السياسي والاجتماعي لم يملك الشاعر إلا أن ينصرف إلى ذاته وإلى التحدي والتمرد والسخط والانطلاق والتحرر من القيم والتقاليد الاجتماعية^(٨).

وإذا جس الاغتراب وخيبة الأمل وظاهرة عدم الانتماء - الناجمة عن الإحساس بضيق الحياة وعبيتها والاستشعار بالعجز عن تبديل الواقع - تدفع الشاعر إلى مواقف سلبية لا مبالية^(٩) . وقد ظهرت هذه المواقف باتخاذ القوة والغارة والخمر واللهو واللذة والمجون وسائل هرب وطرق عبور الى حياة أفضل^(١٠).

وتتضح هذه الغربة التي نتحدث عنها في شعر كثير من الشعراء الجاهليين نقرأها لدى الصعاليك « فنحس تلك المرارة التي تفيض بها مشاعرهم وهم يهيمنون على وجوههم في الفلوات ، أحراراً فيما يبدو ومشردين غرباء في الواقع . ترك الخلع في وجدانهم أثراً عميقاً نافذاً سجلته أشعارهم المشحونة بأشجان الغربة ووطاة الوحدة النفسية ، وقسوة الحرمان من السكن والأهل

والدار . بل إن سلوكهم نفسه كان يطوي وراء الاستهانة بالحياة والانطلاق في الفضاء العريض والمغامرة الفتاكة سخرية مريرة بالحرية الفردية وشعوراً عميقاً بالتمزق والضياع^(١٣) .

ونقرأ الغربة في شعر امرئ القيس هائماً شريداً يبحث عن ثار أو ملك في بلاد الرومان حيث غربة الوطن وغربة الأهل معاً^(١٤) ونطالعها في شعر عنتره وقد تنكر له أهله فقاسى الأمزين من لونه وعبوديته فسكب إحساسه العنيف بالهوان والضياع شعراً^(١٥) . ونلمحها في شعر النابغة طريداً شريداً يملأه الخوف من النعمان وتساوره الظنون والشكوك^(١٦) .

ونقرأها أكثر ما نقرأها في شعر طرفة بن العبد - موضوع بحثنا - هذا الشاب الثائر على كل شيء ، والذي يبحث عن المتعة حيث وجدت متمرداً على القيم رافضاً للأعراف واضعاً منطق فوق منطق القبيلة مستهيناً بمصيره وما يمكن أن يؤدي إليه استهتاره من رفض أو طرد أو تشتت .

- ٢ -

* إرهابات الاغتراب في شعر طرفة :

إذا جاز أن نعتبر الفن مبعث غرور وإعجاب بالنفس ، ووسيلة للتباهي والتطاول فطرفة شاعر مقل مبدع ، بل هو أشعر الناس واحدة ، وأجودهم طويلاً ، وأفضل الناس في معلقته عند العلماء^(١٧) .

وإذا كان الحسب دافعاً للتفاخر فطرفة كان كريم المحند وفي حسب من قومه^(١٨) . وقد استشعر طرفة هذا جميعاً ، استشعر نبوغه مبكراً ، فاندفع إلى فنه مهتماً به مؤمناً بقيمته مهماً ما أنيط به من عمل لرعاية إبل أخيه معبد متسبباً في ضياعها^(١٩) . واستشعر حسبه الضخم في قومه ، فاعترز بنفسه وانطلق يتغنى بنسبه الكريم وشرف انتمائيه وحميد فعاله في زهو وترفع ومباهاة وتجراً على أهله ونويه فهجاهم وهجا غيرهم^(٢٠) . وبدا اعتداده بنفسه جلياً واضحاً منذ صباه ، فقد تار في وجه أعمامه عندما ظلموه فاغتصبوا حقاً لأمه « وردة » واعتدوا على ما آل اليه من إرث أبيه رافضين أن يقسموا هذا الإرث ويعطوا كل ذي حق حقه :

ما تنتظرون بحق وردة فيكم

صُفْر البنون ورهط وردة غيب

قد يبعث الأمر العظيم صغيظه

حتى تظل له الدماء تصبب

والظلم فرق بين خيئ وائل

بكر تساقبها المنايا تغلب

والصنق يآلفه الكريم المرتحى

والكذب يآلفه الدني الأخيب

أدوا الحقوق تفر لكم أعراضكم

أكل الدهر رحل وارتحال

أما يبقى عـلي ويقيني^(٢١)

نقرأ هذا العتاب المر ، وهذا التهديد المبطن ، فإذا الغلام يبدو كهلاً يقدم النصيحة ويحذر من العواقب ، ويقف موقف المرشد الحكيم لا موقف المستعطف الراجي ، نفسه تتنزي ألماً مما يرى فتصقله التجربة مبكراً وتخلع عليه ثوب الحكمة قبل الأوان . وتوصل لديه حس الاغتراب وهو في سن النشأة لما يبلغ الحلم بعد . لقد فقد والده فنشأ يتيماً ، ترعاه والدته وكان يتوقع من أعمامه أن يحذبوا عليه فيحيطوه برعايتهم فإذا هم يقصبون حقه ويسبئون إلى والدته . وينفض عنه الصحب والرفاق فلا يجد من يقف إلى جانبه فينطلق لسانه عليهم جميعاً باللوم والعتاب فاضحاً زيف صداقتهم هاتكاً الستر عن سوء طواياهم كاشفاً مخازيهم ومفاسدهم^(٢٢) .

وقد حز في نفسه ما يرى من مواقف ، فأقبل على اللذات منفقاً ما يملك مسرفاً في اللهو والعبث ، وكأنه بذلك إنما يهرب من ظلم أقاربه وجورهم وزيف ادعاءاتهم المثالية إلى عالم آخر مكشوف حيث لا زيف ولا خداع ولا ادعاء ! ويتمادى في مجونه واستهتاره ، فتسخط عليه عشيرته ، وتنفض عنه وتتحامى مخالطته وتعزله كالبعير الأجرب لا يقرب منه أحد :

وما زال تشرابي الخمسور ولذتي

وبيعي وإنفاقي طريفي ومتلدي

إلى أن تحامتنى العشيرة كلها

وأفردت إفراد البعير المعبد^(٢٣)

ويُصِرُّ الفتى على مبدأ الرفض لكل ما تشير به القبيلة عليه ، ويتحول استهتاره وعبثه إلى مذهب يقتنع به أشد الاقتناع ، بل ويدافع عنه دفاع الواثق من صحته ، ويصقل هذا المذهب شاعرية فذة فإذا هو منهج وفلسفة لها أبعادها ولها حججها وبراهينها كما سنرى .

ويشعر الفتى أنه غريب في قومه ، وتبدأ أمواله بالتناقص والفناء ، وينظر حوله فيرى الرفاق والأصحاب قد انفضوا من حوله ، وإذا هو وحيد لا يؤمن بفكره أحد ، وإذا وُجد من هـد مقتنعون بفكره فهم لا يملكون جرأة التعبير عن ميولهم وأهوائهم ويشد عصا الترحال هائماً على وجهه تقف به النوى في أحياء العرب ومفاوز الصحراء ، ليس له من صديق سوى ناقتة وما يحمل من متاع .

وكم كانت الفترة التي قضاها بعيداً عن تومه وحيه قاسية ومؤلمة ، فقد تقاذفته الأسفار فأبعدته عن مواطن طفولته ومراتع صباه وأماكن ذكرياته . وفترة الصبا وأوائل الشباب وما يعلق بها من شجون هي أكثر الفترات علوقاً في الذهن ، تظل تقدح في ذهن الإنسان وقلبه طيلة مراحل حياته المتتالية . لقد افتقد الأهل الخالص والأحبة الأوفياء ولم يعد يرى سوى وجوه متجهمة وسحن غريبة ، فتركت الغربة في نفسه وشخصيته أثراً عميقاً وجرحاً لا يندمل فهمست نفسه بشعر عاطفي حزين فيه مناجاة للديار والأحبة والأهل :

قفي ودعينا اليوم يابنة مالك

وعوجي علينا من صدور جمالك

قفي لا يكن هذا ثعلّة وصلنا
لبين، ولا ذا حظنا من نوالك
أخبرك أن الحي فرق بينهم
نوى، غربة ضارة لي كذلك
ولا غرو إلاجارتي وسؤالها
الأهل لنا أهل؟ سئلت كذلك
تغير سيري في البلاد ورحلتي
الأرب دار لي سوى خر دارك
وليس امرؤ أفنى الشباب مجاوراً
سوى حيه الا كآخر هالك^(٢٦)

- ٣ -

سادراً أحسب غيبي رشداً
فتناهيته وقد صابت بقر^(٢٧)
عاد طرفة الى قومه يجر أثواب الخيبة ، فعادت معه غربته
من جديد ، ففسوة الواقع لم تتغير ، ومرارة العلاقات لم تزل على
حالتها . وانطلق يتغنى فنه مازجاً الفخر والغزل وحديث الديار
والذكريات وفلسفته الساذجة حول المصير بحزن دفين ينقل
اغتراب نفسه وتحدياتها ومحاولاتها المشبوبة لإثبات تفردا .

* فخره حيرة بين وعي الذات وفرضيات القبيلة :

لم يكن إعجاب القدماء بشعر طرفة - على قلته - مبنياً
على العدم ، فشخصية طرفة الفتية فرضت نفسها على الظروف
والأحداث ، وظهرت شامخة في كبرياء تمزج الاهواء بالفن ،
والشعور بالفكر ، فتنتقل داخل النفس نقلاً صريحاً لا موارد فيه
ولا رياء ، والعرب بطبعهم مفطورون على الصراحة والوضوح
فوجدوا في شعر طرفة صدقاً شعورياً عارماً نابعاً من القلب
والمشاعر متوهجاً بحرارة الانفعال صقلته الظروف فأبعدته عن
المجاملة والنفاق ودفعته الى الصراحة والجراة والجهر بما
يعتقد^(٢٨) . لقد جاء فنه صورة نقية لحياته الهائجة المضطربة
فتنقل نامات نفسه وخلجات خواطره فجذب الأنظار الى صدق
شعوره وفطرة نفسه وبساطة تعبيره . وكم هو مؤلم أن يكون الشاعر
في مثل هذه الصراحة والوضوح وأن يتعاصى الآخرون عن فهمه او
الاستماع اليه ! لقد ارتدت أحزان الشاعر الى نفسه وأحس أنه
غريب في فكره وغريب في مشاعره ، ينظر اليه الجميع نظرة فيها
كثير من الاستغراب وكثير من الاستهجان . وتجزع الفتى الآمه
وغصصه ، فإذا كان قومه قد عزلوه فهو يحس في صميم كيانه أنه
منهم وإليهم ، وإذا كانوا هم يرفضونه فهو متعلق بهم عاشق
لانتمائهم اليهم . وعبر هذه المشاعر والأحاسيس تغنى طرفة أمجاد
قومه ومآثرهم وشدا بالحنان القبيلة ومجد سيرتها .

وهو في فخره لم ينس نفسه مطلقاً ، ولم تتوار شخصيته ،
ولم تذب في بوتة القبيلة كما يرى بعضهم^(٢٩) فهو يقتنى خلائقه
وسجاياء ويسعى نوماً لتحقيق ذاته وإبرازها فشعره يدور كثيراً
حول محور الذات ولا سيما في معلقته . وإذا كنا نجده يشدو بمآثر
القبيلة وأيامها بضمير الجمع « نحن » ويحله محل ضمير المتكلم
المفرد في فخره الفردي « هم ليس فيما وقع إلينا من شعر
الجاهلية ما ينطق بأن صاحبه شاعر قبيلة بمجموع هذا المعنى
غير شعر طرفة ، فهو إذا فخر رأيته يتكلم بلسان ملك قد ضمن
طاعة قومه واستمسك بميثاقهم »^(٣٠) ، فإننا نجده يعزف نفحات
الاعتداد بالنفس فتنبعث هذه النفحات عالية ملفقة تطبع في
الذهن شخصية طرفة الفتية المتوثبة - وبين إحساس الشاعر
بتفرد وتفوقه وعلو منزلته وبين إحساسه بالتبعات والالتزامات

إنها وقفات زاخرة بالشعور الصالح تغمرها انفعالات
النفس ، هي وقفة وداع توحى منذ بدايتها بنفسية حزينة ممزقة
ملووعة بفراق الأحبة . ويبدو أن « ابنة مالك » ليست أكثر من رمز
لكل أحبته في الديار ، راح يسكب في أسماعها كل عواطف الألم
والحزن التي يشعر بها الإنسان في لحظة الفراق .
إنها غربة فيها كل الضرر للحي كله وله بالذات . وكم يحمل
سؤال جارتها آياه أمالك أهل تاوى اليهم ؟ من مرارة وألم ، فقد فجر
هذا التساؤل تياريح شوقه للأهل وأثار لواعج حنينه لدياره
وربوعهم فجاءت هذه الدعوة المريرة على جارتها من أعماقه أن
تذوق مثلاً يذوق من ألم الغربة ولذعه الفراق وأن تسأل السؤال
الذي سألته . وعندما تتساءل جارتها معيرة آياه تشرده وكثرة
ارتحاله تتناهى الى أسماعنا هذه الآهة الحزنى وهذه الزفرة
يصفدها من الأعماق « رُبّ دار لي سوى حر دارك » وهي عبارة
تحمل ما تحمل من شحن شعورية تفيض بها نفس المغترب
المحزون الذي غلبه الشوق . ولا يلبث في نهاية لوحته الحزينة أن
يؤوب الى نفسه الكئيبة التي حطمتها الغربة القاتلة فيصور
الإنسان المغترب عن حيه بإنسان ميت لما يلقى من الوحدة
والوحشة والهوان^(٣١) .

ويبدو أن طرفة في ابتعاده عن قومه لم يظفر بغير الاغتراب
والشقاء والحسرات والحنين ، فلحظات السرور التي أحس بها
أحياناً سرعان ما كانت تتلاشى ليحل مكانها يؤس وألم . هبط في
غربته على عمرو بن هند ملك الحيرة وأخيه قابوس فأنزله منزلاً
حسناً ، وأمداه بما تستريح إليه النفس ، ولكنهما لم يعينا
بطموحه وتطلعاته وأمانيه ، وأحس باستعلانهما واستخفافهما
بالناس وبحياتهم ، وزاد في شقائه خيبة أمله بمقتل صديقه
« عمرو بن أمارة » وكان قد بنى عليه الآمال ، ثم خذلان عمرو بن
هند له عندما طلب منه أن يأخذ بثاره من قاتليه . وألح عليه
الحنين فعاد الى دياره وأهله وديعاً يفيض عطفاً عليهم وإخلاصاً
لهم :

ولقد كنت عليكم عاتبا
فعقبتم بذنوب غير مر
كنت فيكم كالمغطي رأسه
فانجلى اليوم قناعي وخمر

٤ - * غزله أمل ضائع ورمز رغبة مفقودة .

بكاء الديار ظاهرة مشتركة عند الشعراء الجاهليين ، وهي إذا كانت تحمل في طياتها دلالة تقليد وتبعية فلا أحد ينكر أنها ترتبط بحقائق نفسية^(٣١) .

ولا يمكن فهم هذه الظاهرة إلا من واقع العرب القائم على التنقل والارتحال وما يخلفه عدم الاستقرار من حزن وألم في النفوس . فالبكاء على الطلل حزن إيجابي يرمز لتعلق الشاعر بالماضي وحرصه على بقاء ذكريات الماضي في نفسه بكل ما تحمله من أحزان وأفراح ، فالماضي على هذه الصورة لا يعود فناءً أو عدماً لأن الأثر باق والشاعر ينفخ فيه من روحه . وإذا كان الزمن قد مضى فالاطلال رموز دلالة ويكادها انقاز للذكريات من عالم النسيان والمغيب واستحضار لها الى دنيا التذكر والمشاهدة^(٣٢) . وطرفة يقف على الديار كما وقف غيره ، ويربط حبه لها بحب أهله وعشيرته فلا وطن بلا حبيب ولا أهل^(٣٣) . وهو في وقفته حزين حائر يخلع حزنه وغريته وضياعه على الديار ، ويسكب كآبة نفسه على عناصر الطبيعة من رياح وسحب ومطر ، فأطلال هند رسوم دراسة لعبت بها الرياح الهوج وغطاها السحاب الاسود وانسكب فوق ربوعها المزن البهتان ، فأنقلبت الأوضاع وتغير كل شيء ، وحدثت المفارقة الكبرى حيث تبدلت السعادة والبهجة الى فراغ وخلاء وعزلة :

فغيرن آيات الديار مع البلى
وليس على ريب الزمان كفيل
بما قد أرى الحي الجميع بغبطة
إذا الحي حي والحلول حلول^(٣٤)
إنه إحساس الشاعر بالفراغ والتحول والقهر ووقوفه عاجزاً أمام حركة التغيير وعجلة الزمن .

فاذا ما صور السحب التي تغطي طلل خولة لم يرف فيها - مع كثرة رعداها - إلا إبلاً عوداً ضلّت عنها رباعها فهي تحنّ إليها ، وخص العود لأنها أوله على أولادها ، لحدثان نتاجها :

كأنّ الخلايا فيه ضلّت رباعها
وعوداً إذا ما هزه رعد احتفل^(٣٥)
ويبدو لنا أن هذا الضلال وهذا الحنين للذات يتحدث عنهما ليسا أكثر من صدى لمشاعره الباطنة تنساب في تعابيره بين حين وآخر .

وطرفة يقرن الطلل بذكر المرأة باستمرار ، وهو لا يجمع بينهما في موقف واحد عبثاً واعتباطاً . بل يجمع بينهما ليرمز إلى الحياة والموت ، إلى الحب المهدد دائماً برحيل المحبوبة ، كذلك الحياة المهددة بالخراب ممثلة بالوقوف على الاطلال المقفرة ، إنه انعكاس لذلك الصراع الأبدي في نفس الإنسان وفي الحياة من حوله . بين حب الحياة وغريزة الموت^(٣٦) .

وقد رأى بعضهم أن صور طرفة في غزله مترفة بالرفاهية وغضارة العيش ، تتألق فيها الأضواء والألوان ، وأن صورة المرأة لديه تلائم تصور الشباب المتطلع للذة ، وأنه استجاب لداعي

تجاه قومه ، اضطربت نفسه ووقفت حائرة بين الإخلاص للنفس ودوافعها وبين الطاعة للموروث بكل ما تحمله هذه الكلمة من معنى . فهو في حين يرى أنه لا ينبغي أن يعامل كغيره من الناس : ولا تجعليني كامرئ ليس همه

كهمي ولا يغني غنائي ومشهدي^(٣٧)
يشعر شعوراً يملأ كيانه أنه عضو فاعل في الجماعة لا يستطيع أن يتخلى عنها مهما فعلت معه ، ولا يتردد في الذود عن كيانه والتضحية من أجلها مهما كانت نظرتها إليه :

إذا القوم قالوا من فتى؟ قلت أنتى
غنيت فلم أكسل ولم أتبلد^(٣٨)
وهذا الاضطراب والتردد بين أن يكون أولاً يكون أصل في نفسه القلق والخوف والشك وحمل بعضهم أن يرى في فخره مرارة عميقة مغلفة بالسعادة فهو يعيش مع الناس في ظاهر الامر ويعيد عنهم في حقيقة الامر^(٣٩) . وقد بدت هذه المرارة التي يحسها الشاعر في فخره ، فصبت بعضه بصبغة قاتمة حزينة يوحى كل ما فيها بالخوف والتراجع ، ولننمّن النظر في دلالات لغة هذه الأبيات التي يصور فيها كرم قومه وقت الشدة لتلمس فيها ما ندعي :

إننا إذا ما السخيم أمسى كأنه
سماحيق تذب وهي حمراء حرجف
وجاءت بضراب كأن صقيعة
خلال البيوت والمنازل كرسف
وجاء قريع الشول يرقص قبلها
الى السدف ، والراعي لها متحرف
نرد العشار المنقيات شظيها
الى الحي حتى يمرع المتصيف
تبيت إماء الحي تطهى قدورنا
وياوى الينا الأشعت المتجرف^(٤٠)

ألسنا نرى أن فخره بقومه واعتزازه بكرمهم قد ذاب واضمحل وسط هذه الصورة للطبيعة وما تتركه من أثر؟ فالشتاء بسمائه الكالحة المغبرة الحمراء ، والرياح العاصفة بترابها الذي يعمى العيون ، والبرد القارس الذي يذرى معه الجليد المتساقط فيقش العيون والبيوت والمنازل ، وهذا الفحل من الإبل الذي يجرى مسرعاً يرتعد برذاً فيسبق أنثاه على غير عادته طلباً للدفء ، ثم هذا الراعي الذي تخلف عن إبله بعيداً خوفاً من البرد ، ثم خاتمة هذه الصورة بهذا الأشعت الذي جرفت السنون ماله وغيرت من سحنته . كل هذه الصور بطابعها القاتم المتراكم غطت على كرم العشيرة وأهله ، ولا يملك الممعن في أبعادها إلا أن يحس بأنه محاصر خائف يبحث عن ملجأ أو مأوى . ثم لا يمكن أن نتجاوز فدعي أن قريع الشول الذي يسعى لاهتاً الى الدفء والراحة ، والراعي الذي يقلم رجلاً ويؤخر أخرى خوفاً مما تحمله الطبيعة في ثناياها . وهذا الأشعت المغبر الذي فقد ماله واختلقت سحنته ليسوا سوى شاعرنا المغترب في بحثه الدائب عن شاطئ يستقر على أطرافه !

الحب ولكن سورة الشباب ونزقه وسكرة الفتوة واعتدادهما جعلته يعتصم بعزته وكبريائه^(١١).

وقد لاحظنا من دراسة غزل طرفة القليل أن المرأة في شعره ليست أكثر من رمز لآمل يصعب تحقيقه . هي لديه تمثل عتبة استراحة لإنسان تعب ، تبعث في نفسه التفاؤل ولكنه تفاؤل مشوب بالحذر والخوف ، وهي سحابة خصبة حقاً ولكنها متميزة نزره ، يصله رخم صوتها وشيء من رائحتها العطرة ولكنها لا يمسك سوى الفجيجة والضياغ :

كَبْنَاتِ الصَّخْرِ يَمَازُنُ كَمَا
أَنْبَتَ الصَّيْفُ عَسَالِيحَ الْخَضِرِ
فَجَعُونِي يَوْمَ زَمُوا عَيْرَهُمْ

برخيم الصوت ملثوم عطر^(١٢)
هل يبقى في الذهن لدى قراءة البيتين سوى الفجيجة والرحيل وما يخلفه تعبيرة « فجعوني يوم زموا عيرهم » من أثر مؤلم ؟ ومحبوته مهابة « مطفل منعمة مرفهة حقاً تعيش في خصب وتقتري أفنان الزهر » :

ولها كشحا مهابة مطفل
تقتري بأفنان الزهر^(١٣)

ولكن ما يعلق بالذهن من كلمة « مطفل » هو الحاجة إلى الحنان والدفء والرعاية وليس الجمال والرشاقة .

ومعشوقته خولة ظبية مرفهة تنتقل وسط خميلة تنهدل فيها الأغصان ، وتتناول من ثمر الآراك ما تشاء :

خَذُولُ تَرَاعِي رِيْبَا : بِخَمِيلَةٍ
تَنَاولُ أَطْرَافَ الْبَرِيرِ وَتَرْتَدِي^(١٤)

ولكنها ظبية « خذول » فهي فزعة ولهة منفردة خذلت صواحبها ، فهي تراقبها وتشرب بنظرها إليها خشية أن تبتعد عنها .

هي طفل متسائل ، ظلي برىء يصعد بعنقه ليتناول ثمر الآراك يبحث عن الشمس وطبيعة دافئة أم :

وفي الحي أحوى ينفض المرء شادن
مظاهر سمطي لؤلؤ وزبرجد^(١٥)

إنها حيرة الشاعر وتساؤلاته تلح عليه وهو يواجه الطلل والخراب^(١٦) فينقل غربته ومعاناته .

إن هذه المرأة - الرمز أو الآمل - لا مجال إلى الوصول إليها مهما بلغت صبوة الشاعر ومهما طال رجاؤه :

فكيف صبوت أو ترجو مهابة
منعمة تزار ولا تزور^(١٧)

هي خيال أو طيف ، يؤرق الشاعر في نومه ، يقلق عليه راحتته ، ومع ذلك يميل إليه ويعشقه . وكلما أحس أنه قد اقترب من الهدف ، وأن رجاؤه قد يتحقق تأثت وتمنعت وأرته النجم في وقت الظهر :

أرق العين خيال لم يقر
طاف والركب بصحراء يسر

جارت البید الى أرحلنا
آخر الليل بيعفور خدر

ثم زارتني وصحبي هجع
في خليط بين برد ونمر
تخلص الطرف بعيني برغز
ويخدي رشاً آدم غر

إن تنوله فقد تمنعه
وتريه النجم يجري بالظهر
ظل في عسكرة من حبها
ونأت شحط مزار المدكر^(١٨)

ونظرة عاجلة إلى الأبيات ترىنا أن الالفاظ التي قامت عليها لا تمثل أكثر من التيه والضياغ والآمل المفقود . فالخيال والصحراء والبید والليل والنوم العميق ومسارقة النظر في دهشة والمنع والمستحيل (جري النجم وقت الظهر) والحيرة والبعد نحو المجهول ، كلها جاءت ضمن تراكيب توحى بهذه الغربة التي يحسها الشاعر فيخلعها على غزله وإذا المرأة المُحَسَّة في الشعر الجاهلي رمز لآمل أو مثال يعشقه الشاعر ويسعى خلفه عبثاً . ولعل ما يعزز من وجهة نظرنا قصيدة طرفة :

أتعرف رسم الدار قفراً منازل
كجفن اليماني زخرف الوشي مائل^(١٩)

فقد نهج فيها نهجاً عزيزاً خالصاً ، فهو لا يحصل من « سلمى » على أكثر من المنى . وهو عاجز تماماً عن أن يصل إليها ، فهي في مكان حصين تحيط به حواجز من الطبيعة والبشر ، ودون الوصول إليها موت وضياغ :

سمالك من سلمى خيال ودونها
سواد كتيب عرضه فأميله

قذو النبر فالاعلام من جانب الحمى
وقف كظهر الترس تجري أساجله

وكم دون سلمى من عدو وبلدة
يحاربها الهادي الخفيف ذلاله

وإذا طرفة في حبه يلتقى بالمرقش الأكبر ، وإذا « سلمى طرفة » هي « أسماء المرقش » . فإذا كانت أسماء سبباً في ضياغ عقل المرقش وموته فسلمى كانت سبباً في ضياغ عقل طرفة ونهايته :

وقد ذهبت سلمى بعقلك كله
فهل غير صيد أحزرتك حباله

كما أحزرت أسماء قلب مرقش
بحب كلمع البرق لاحت مخايله

فإذا علمنا أن قصة المرقش مع حبيبته الضائعة الممنوعة تمثل الجحود ، وانقطاع الحنين عن موضوعه ، والخيانة من قبل الآخرين ، والعقبات المادية اللامتناهية التي تقوم في وجه تحقيق

الهدف ، وأن شخصيته غريبة إلى حد كبير ، حيث قصر شعره على معاناته الذاتية ، وترفع عن سياسة الصراعات القبلية وشغل

بمسألة الوجود في الحب والوجود في الحرمان^(٢٠) عرفنا إلى أي حد يلتقى مع طرفة في نهجه . وإذا أضفنا أن المرقش كان يتخير

موضوعاً خارجياً هو الصحراء وما فيها من وحشة ومخاوف ليفصح عن داخله ويضمنه خوالج نفسه ، فجاء وصفه الخارجي منظوياً على دلالة داخلية ، وكأنه يعبر عن تفرد ووحشته ومعاندته قدر الطبيعة^(٥٠) وجدنا وجه الشبه بينه وبين طرفة كبيراً . ولعل هذا يتضح لنا أكثر في حديثنا التالي حول رحلة الصحراء في شعر طرفة .

• رحلته رحلة حياة ، وناقته رمز تحد وملجأ آمن :

رحلة الصحراء في الشعر الجاهلي هي رحلة تحد للحياة بمشقاتها وأعبائها . إنها رحلة محفوفة بالمخاطر مملوءة بالمفاجآت . ومن ثم فإن عناصر الخوف والقلق والتربص تغطي على هذه الرحلة . ولا يجد الشاعر الجاهلي في مواجهة هذه الاخطار الطبيعية والنفسية سوى اللجوء الى القوة والشدة يصور بهما راحلته ، مسقطاً ما في نفسه عليها . وكأنه يتحدى الطبيعة والقدر المفروض وظروف القهر . ومن ثم فذكر الرحلة والناقة في الشعر القديم ، ليس في نظرنا مقدمة للوصول الى الهدف الاساسي من القصيدة ، وليس مجرد عرض لتعب الشاعر وما واجهه من مشقة وصعاب ليصل الى ممدوحه . بل هو عرض لمشكلة الحياة والمصير وسلطة الاقوى في زمن لا يرحم الضعفاء ! .

والغريب أن هموم الحياة ومشاكلها الملحة هي التي كانت تدفع الشاعر الى الرحيل . هل كان بذلك يستبدل همماً بآخر؟ ربما ! ولكن الهم المنتظر ربما يكون أثره أقل مما هو عليه الواقع السيئ ، فهو على الأقل مشوب بالامل والرجاء .

وطرفة تملأ الهموم نفسه ، فلا يجد ملاذاً إلا الصحراء ، ينسى فيها همومه ، ويخفف مما في نفسه :

واني لأمضي الهم عند احتضاره

بعوجاء مرقال تروح وتغتدى^(٥١)
ويطوف بنا في دروب الصحراء ومسالكها الوعرة ، ممعناً في الجفوة والبداوة ، سواء أكان ذلك على صعيد الأساليب الخشنة ام عن طريق وحشية الالفاظ . فهو يركب متن الغريب ويوغل فيه ، ويحتطب ألقاظه من حطب الصحراء ويللم تعابيره من فلواتها الموحشة^(٥٢) يقول :

وركوب تعزف الجن به

قبل هذا الجيل من عهد أبد

وضباب سفر الماء بها

غرقت أولاجها غير السدد

فهي موتى لعب الماء بها

في غناء ساقه السيل عند^(٥٣)

فالطريق مخوف موحش ، لا يسمع فيه سوى عزف الجن ، والسيل عارم لا يبقي ولا يذر ، والضباب غرقى ، والغشاء غطى على كل شيء . وكل ما في الفلاة يبعث الرهبة والهيبة فتجيش النفس خوفاً وفزعاً وتتوقع العدو رغم عدم وجوده :

وجاشت اليه النفس خوفاً ، وخاله

مصاباً ، ولو أسى على غير مرصد^(٥٤)

وناقة طرفة - في معلقته - والتي تشاركه همومه واغترابه ، ليست كناقته غيره من الشعراء ، هي أسطورة من الأساطير ، تحدث فيها القدماء والمحدثون فرأوا فيها شيئاً عجيباً . وغرابة الامر تكمن - كما يقولون - في أن طرفة وقف جهده على وصفها كما لم يقف أحد مثله^(٥٥) . فهو يقيم أمامنا هيكلًا جسدياً كامل الخلقة^(٥٦) ويرسم للعرب الذين يعجبون بالنوق تمثالا بديعاً^(٥٧) وهو في صنعه لم يكن شاعراً فحسب بل كان مصوراً أيضاً^(٥٨) .

وأنكر آخرون هذه الاهمية التي أعطيت لناقة طرفة ، فرأوا فيها دمية صماء حيث لا حركة ولا حياة^(٥٩) بل رأى بعضهم أن وصفها أقحم اقحاماً على المعلقة ، وأن طرفة لا يجاري مهارة لبيد وغيره من الشعراء في حركتها واطرادها^(٦٠) .

وكم تجانب الصواب عندما ننظر الى الصورة الخارجية لما يطرحه الشاعر من موضوعات فاصلين بين تلك الصورة وما تحمله من مضمون ثم بين الصورة وما يحياه الفنان في داخله . فطرفة في هذا السرد الطويل لأوصاف ناقته لم يكن يعنيه أبداً أن يقدم هيكلًا جسدياً أو أن يكون منسقاً فيما يعرض أو أن ينحت تمثالا بديعاً يُعجب الذين يعجبون بالنوق ، ولا سيما وهو في حالة يُعْب فيها من الغربة والمشقة والتعب . ولم يكن عمله هذا هواية يستعيد بها عصر مخاطرات وفتوة وشباب ينتقل بعد أن يفرغ منها الى الفخر بنفسه وكأنها وسيلة فنية لا غير^(٦١) فالناقة في الشعر القديم « مجمع كل شعور بالغائية الواضحة والغامضة ، هي خالقة الأساطير التي أخرجت الشعر العربي من الغناء الساذج الى التصدى الملح لفكرة المشكلات »^(٦٢) .

وإذا كان طرفة يُسرف في إيراد صفاتها ويفصل في ذكر ملامحها القوية ، فما ذلك إلا ليُمثّل قدرة الإنسان على المقاومة ، وليشبع غريزة البقاء التي تلح عليه أمام صورة الفناء الماثلة في الظلل والصحراء^(٦٣) . ومن ثم حشد هذه التشبيهات التي تستوعب كل مظاهر البناء والتشييد والقوة لجعلها قادرة على التحدي والنزال والمقاومة^(٦٤) . فشعر ذنبا جناحا نسر أبيض ، وفخذاها بابا قصر منيف أملس ، وأضلاعها المتصلة بفقارها قسي ، وابطاها في السعة بيتان من بيوت بقر الوحش ، وهي في علوها أشبه بقنطرة رجل رومي ، وجنباها سقف أسند بعضه الى بعض وعنقها في ارتفاعه وانتصابه دفة سفينة ، وجمجمتها في الدقة والصلابة سندان أو مبرد . وهي صور ذات دلالة واضحة على قدرته واعتداده بنفسه ورفضه للهزيمة أو التراجع ثم ليس فيها لون من التحدي للصعوبات الممكنة وغير الممكنة ومحاولة للانتصار على هواجس النفس ومخاوفها في غريبتها من المجهول وغير المتوقع ؟ الا تبدو ناقة طرفة كالملاجأ الامين الذي يقي صاحبه من كثير ؟ فهذه الصور الكثيرة في تألقها ، تُعبر عن الوقاية والاحتماء وتوحي بحالة الشاعر النفسية ومعاناته من الاغتراب والخوف وحاجته الى الاختباء^(٦٥) .

* فنه صورة من غربة نفسه وغربة فكره .

رأى الدكتور طه حسين في طرفة صاحب لذة رقيقة تصدر عن تفكير وعن فلسفة وعن اختبار للحياة وعن حكم دقيق على حوادثها وخطوبها ونتائجها ورأى في إيمانه المطلق بأن الموت هو آخر الحياة ونهايتها سبباً في اندفاعه الى لذات الحياة ومتعتها يشرب الخمر ويستمتع بالحب ويفيئ الملهوف ويوجب دعوة الداعي^(٧١) . وقد ترسخت هذه الفكرة في ذهنه حتى أصبحت مبدأ لا يحيد عنه وأضحت أمور المتعة هدفاً يحيا من أجله :

فلولا ثلاث هن من عيشة الفتى
وجدك لم أحفل متى قام غوذي
فمنهن سبقي العاذلات بشرية
كميت متى ماتعل بالماء تزويد
وكزي اذا مانادى المضاف محتباً
كسيد الغضا نبهته المتورد
وتقصير يوم الدجن والدجن معجب
ببهكة تحت الطراف المعمد^(٧٢)
ولم يعد الموت يثير فيه هلعاً أو يدفع الى زهد بل هو يثير

نهمه الى الحياة والاسراف في المتع :
ألا أيهذا الزاجري أحضر الوغى
وأن اشهد اللذات هل أنت مخلدي
فان كنت لا تستطيع دفع منيتي
فدعني أبادرها بما ملكك يسدي^(٧٣)
وهو لا يعرض هذه القضية عرضاً سطحياً بل هو يجادل فيها

ويناقش بحرارة :
أرى الموت أعداد النفوس ولا أرى
بعيداً غداً ما أقرب اليوم من غد^(٧٤)
ويقول :

ياراقد الليل مسروراً بأوله
إن الحوادث قد يطرقن أسحاراً^(٧٥)
ويقول :

لعمرك إن الموت ما أخطأ الفتى
لكالطول المرخى وتنباه في اليد^(٧٦)
وإذا كان تأنون الموت يساوي بين الجميع مهما اختلفت
طبقاتهم ومنازلهم فلم التهاك على المال واقتنائه وحرمان النفس
متع من متعها وما تصبو إليه ؟ :

أرى قبر نخام بخيل بماله
كقبر غوي في البطالة مفسد
أرى الموت يعتام الكرام ويصطفى
عقيلة مال الفاحش المتشدد
أرى المال كنزاً ناقصاً كل ليلة
وما تنقص الأيام والدمر ينفد

وكان نفسية طرفة المتشائمة والمتوجسة خوفاً تأتي الا أن
تفيض بمخزونها من الالم وحس الاغتراب والشعور بعدوان الدهر
في حديثه عن الناقة . يقول :

أمون كالنواح الأران نسأتها
على لاحب ، كأنه ظهر ببرجد^(٧٧)
ألم يجد الشاعر صورة يُعبر فيها عن خلقها الموثق سوى
التأبوت الذي يحملون فيه الموتى ؟ الا يوحي هذا بأن الشاعر
يرى ناقته مثله تماماً مثقلة بالهموم شاعرة بمشاق الحياة
وآلامها ؟ .

ثم هو يصفها بأنها حذرة دائماً ، متخوفة تنتصب أنفاها لكل
صوت خفي . ويجعل منها ثوراً وحشياً منفرداً في الصحراء
لا وحش معه يلهيه ويؤنسه فيضفي على الصورة فزعاً وترقباً :
وصادقتا سمع التوجس للسرى
لجرس خفي او لصوت مند
موللتان ، تعرف العنق منهما
كسامعتي شاة بحومل ، مفرد
وأروع نباض ، أخذ مللم
كمرداة صخر من صفيح مصمد^(٧٨)
ثم تتداعى الى عقل طرفة بعد وصفه الهائل صورة غريبة
وملفتة :

إذا نحن قلنا أسمعينا انبرت لنا
على رسلها مطروفة لم تشدد
إذا رجعت في صوتها خلت صوتها
تجاوب أظار على ربع زدي^(٧٩)
ففتاته تغني متلدة في غنائها . ولكن كيف يتناهى صوتها
وتريد نفحاتها في أذني طرفة ؟ انه يرى فيها أصوات نوق تجار
وقد فقت أولادها ! أليس في هذا شيء ملفت حقاً ؟ هل تخلق
الصور العظيمة من المتناقضات ؟ ربما !

وأخيراً هذه الظلمات التي تخيلها طرفة في سفن مهاجرة
تشق عباب البحر وتركب المخاطر نحو البعيد تهتدي حيناً
وتتخبط أحياناً :

كان حذو المالكية غدوة
خلايا سفين بالنواصف من دد
عدولية أو من سفين ابن يامن
يجور بها الملاح طوراً ويهتدي
يشق حباب الماء حيزومها بها

كما قسم الترب المفایل باليد^(٨٠)
هل هي ضرب من الروى الجماعية التي تدل على مخاوف
الجماعة وآمالها في الانتقال من طور لآخر ؟ هل هي علامة على
الرغبة الكامنة في النمو ؟ هل هي حلم يحقق الإنسان من ورائه
مفئداً أو مكسباً^(٨١) . لنا أن نقول ذلك ولكن الذي لا يقل أهمية
من هذا أن أحساس الشاعر بالضياح والتهيه هو الذي يجعله كمن
يضرب بالرمل فيملي عليه مثل هذه الصور ليخرج بها عن نطاق
المتعارف عليه .

ثم يصل الى هذه النتيجة الساخرة بينه وبين منكري منهجه :

كريم يروي نفسه في حياته
ستعلم إن مبتلى غدا أينما الصدي !
ثم ماذا بعد ؟ هل هناك أكثر هلعاً من غربة الوحدة والانعزال
في القبر بعد الموت ، حيث لا أنيس ولا أمل في الخلاص ؟ وهذه
الغربة أكثر ما يفرغ طرفه ويقلقه ومن ثم هو يهرب منها بالتاكيد
على أن يعيب المرء من الميزات قبل أن يداهم الموت ، ساخراً من
قيم مجتمعه وسخافة معتقداتهم :

فذرني أروي هامتي في حياتها
مخافة شرب في الحياة مصرد^(٧٧)

واعتبر قومه نهجه خروجاً على العرف وإساءة الى القبيلة
ومفاهيمها . وأحس طرفه بتغيير قومه نحوه ، وأنهم عاجزون عن
فهمه ، غير مدركين لحاجاته الملحة التي يعبر فيها عن
استقلاليته وشخصيته . وفرض قومه عليه العزل وأقاموا بينهم
وبينه الحواجز وكأنهم يخشون على أنفسهم عدوى :

وما زال تشرابي الخمر ولذتي
وبيعي وإنفاقي دُرَيْفِي ومِلْدِي
إلى أن تحامتنني العشيرة كلها

وأقربت أفراد البعير المعبد^(٧٨)
ومع ما في البيت الثاني من إحساس مرير بالغربة والألم إلا
أن طرفه في إلحاحه على مشهد الخمرة يبدو وكأنه يرسم لقومه
حياته الخاصة التي ارتضاها واقتنع بها ، ويُمثل نمطاً من
التحدي لموقف القبيلة من خلال ثقته بنفسه وقدرته على إيجاد
علاقات جديدة بدلاً من تلك التي افتقدها بخلعه^(٧٩) ومن ثم هو
مكتف بهؤلاء الأصدقاء الباقين لديه من الأغنياء الذين تربطهم به
فلسفة مشتركة والفقراء المحتاجين الى عونهم :

رأيت بني غبراء لا ينكرونني
ولا أهل هذاك الطرف الممدد^(٨٠)

ليس في اختياره لهذين الفريقين أصدقاء شيء من
المفارقة ؟ ألا يوحي هذا بشيء من الاضطراب النفسي في
التعامل مع الآخرين ؟ ثم لنستمع اليه وهو يقول :

ولست بحلال التلاع مخافة
ولكن متى يسترفد القوم أرغد
وإن تبغني في حلقة القوم تلقني

وإن تقتنصني في الحوانيت تصطد^(٨١)
لماذا هو يستتر بالتلاع إن لم يكن ذلك خوفاً ؟ ليس في هذا
الاستتار إحساس داخلي ملح بالمفارقة بينه وبين قومه ؟ إنه
يحبههم ويودهم ولكنهم مع أرائه وفكره على طرْفَي نقِيض ، يَزُون فيه
فتى مغامراً طائشاً يفهم الحياة من جانبها الخاطيء . وهو مؤمن
بفكره لا يلتقي معهم ومن ثم هو يعتزلهم وينطوي على نفسه ،
ولكنه في نفس الوقت قوي الايمان بواجبه الاجتماعي يخاطر في
سبيله مهما كلفه ذلك من تضحية . هو في خدمة قومه ولكنه
لا يستطيع ان يتخلى عن أهوائه ونزعاته التي أضحت مثلاً

ومبادئ ! إنك تجده في حلقات القوم يشير ويستشار ، ولكنك
أيضاً تلقاه في حوانيت الخمارين يُعْبُ من اللذة عباً ! ولنتأمل
جيداً كم في كلمتي « تقتنصني » و « تصطد » من إحياء بالغ
الدلالة على الندرة والتفرد . ولعل هذا الإحساس بندرة شخصه
ومثاله هو ما جعله يقول :

نداماي بيض كالنجوم وقينة
تروح علينا بين برد ومجسد
فيجمع بين الندامى البيض الاحرار والقيان ، عائداً الى
المفارقة ، جاداً هازلاً يعيش قمة المثال ويستمتع أقصى غايات
الاستمتاع معا .

وإذا كانت مثل هذه المفارقات تنقل لنا فكرة الحرية التي
تشغل عقل طرفه وفكرة النقاء - التي نفهمها من كلمة بيض -
فلسنا نرى أن طرفه في بيته يتطلع الى النجوم من حيث هي
مصائر الانسان ، وأن فكرة النقاء تعني النقاء من الدرن الذي
يتناقله الناس من رأي في مصير الانسان^(٨٢) .

لقد وجد طرفه في أندية القوم وفي الحوانيت نفسه المغتربة
أبداً^(٨٣) فغشيتها لعله يجد فيها عزاء وسلوى وصداقة تقبل به .
وطرفه في اتخاذه هذا النمط من الحياة لم يكن الوحيد بين
الشعراء ، فالصورة التي تبرز في الشعر القديم هي صورة رجل
يغتصب المتعة اغتصاباً ، وحياة الفرسان تقوم قديماً على الخمر
والقتال والنساء^(٨٤) . وقد تجلّى موقف الفرد في الخروج على
القبيلة في مظاهر متعددة عبر من خلالها عن ضيقه بتقاليدها ،
فالأعشى اتخذ من الاستهتار وسيلة للتخلص من عناء الحياة
وقبحاتها ، ومسلكه يمثل عدم الجري على سنة التقليد لان له
وعياً آخر لمعنى الحياة وقيمتها^(٨٥) . ومن ثم جاءت خمريات
مغايرة لسائر الشعر الجاهلي تشبع فيها الحياة ، وكشف عن
الصلة العاطفية بين الشاعر وبين موضوعه^(٨٦) . هل تعاطي
الخمرة والتغني بها يمثل لوناً من ألوان الغربة ينفصل فيه الانسان
عن واقعه بكل ما فيه ، وينفصل عن ذاته المثقلة بالمجتمع^(٨٧)
ربما فشيوعها في الشعر وفي الحياة دلالة رغبة في الاستقلال
وتعبير عن الفردية المتململة .

وطرفه خرج عن الضوابط الاجتماعية وتمرد على مقومات
الحياة القبلية مستبدلاً بهذه جميعاً ما يسميه « لذة الفتى »
والتي تقوم أساساً على الخمر والمرأة والبطولة الاجتماعية
وسعى الى تحقيق شخصيته من خلالها . هو لم يرفض عادات
القبيلة وتقاليدها إلا إذا تعارضت مع حياته الحرة التي ترضي
مشاعره واحساساته الخاصة . فإذا ما حدث عدم التوافق غلب
موقفه الخاص على موقف القبيلة وانتصر لذاته على ذات
الجماعة^(٨٨) . إن القبيلة تُسمى ما يفعله طرفه استهتاراً وطرفه
يرى فيه فهماً جديداً للحياة . لقد حاول أن يرضي قومه كما أرضى
نفسه ، فتقرب الى قومه ولكنهم هضموا حقوقه ، وبالفوا في
التدخل بشؤونهم الخاصة ، فأخسر - وظلم الأقارب يمزقه - أنه
لا بد أن يتصدى لمنطق القبيلة وظلمها منتصراً لمنطقه الفردي ،
ويصور موقف القبيلة من خلال ابن عمه تصويراً فيه كثير من

المرارة والاسى :

فمالي أراني وابن عمي مالكا
متى أن من يئنا عني ويعد
يلوم وما أدري علام يلومني
كما لامني في الحى قرط بن معبد
وظلم ذوي القربى أشد مضاضة

على المرء من وقع الحسام المهند^(٨٩)

وبين منطق القبيلة ومنطق الفرد عاش طرفة حياة مشحونة
بالغربة والياس والظلم معا . ولم يجد سبيلاً إلا أن يهرب الى حياة
لاهية عابثة متحدياً سلطة التقليد باحثاً عن ملجأ يجد فيه نفسه
التائهة . ولم يعد التراث القبلي اعلى ممتلكات طرفة كما هو الحال
عند غيره ، بل أصبح همه أن يصور شؤونه الخاصة وانفعالاته
وتجاربه ، منطلقاً من فكره الخاص وفلسفته التي اقتنع بها .
لقد شعر طرفة بالمقارفة الحادة بينه وبين قبيلته ، بين
الفكر الفردي والفكر الجماعي ، وشعر بتفرد و تميزه :

فإن مث فانعيني بما أنا أهله
وشقي علي الجيب يابنة معبد
وتزداد غربته عندما ينظر حوله فيجد أن الحياة يسود فيها
منطق النفاق والمكر ، فتختلط عليه الامور ، وتتصل لديه الغربة
النفسية :

فلم يبق الاشامت بمصيبة
ونو حسد ما تستقيم طرائقه
عدو ، صديق ، عابس ، مبتسم
يمالمني بالمكر حين أواقفه
يجاملمني جهرا إذا مالمقيته
وفي الصدر ما تهذا هديرأ شقاشقه
إذا مارأى الدنيا علي تهللت
بإقبالها يوماً صفت لي خلائقه
وإن آل خُطِبَ أو أُلْتُ مَخْلَّة
أوصله فيها ، بدت لي صواعقه^(٩٠)
ويضيئ عليه الدهر ويشعر أنه في أسر أو سجن فيصور هذه
الغربة تصويراً رائعاً :

أرقت لهم أسهرتني طوارقه
وساعلمني دمعي ففاضت سوابقه
ويث أراعي النجم لا أطعم الكرى
كاني أسير طائر القلب خافقه
يعالج اغلال الحديد مكبلاً
وقد عدن بيضا كاللثام مفارقه
ولم أبك طيفاً زار وهناً خياله
ولا شانناً في الخدر كنت أعانقه
ولا شاقني ربح خلا من أنيسه
فاضمت به آرامه ووزاقزه
ولكن دهرأ ضاق بعد اتساعه
وجاءت أمور وشغتها مضايقه

إنها غربة النفس ، ووحدة الذات ، وشعورها المرير بتبعيات
المجتمع تفرض فرضاً تم هذا النفور الذي يغلي وعدم قدرة النفس
على تحقيق ما تصبو اليه ، وأخيراً هذا الارتداد الى النفس حيث
لا يجد غيرها يحاورها وتحاوره ، ويقص عليها إحساسه الحزين
في صمت مرنداً في اسماعها قناعتة الراسخة :

ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلاً
ويأتيك بالأخبار من لم تزود
ويأتيك بالأخبار من لم تبع له
بقاتاً ولم تضرب له وقت موعد^(٩١)
ويعد :

فقد كان طرفة ظاهرة فريدة في الشعر القديم ، وإذا كان الفن
جزءاً لا يتجزأ من سيرة الشاعر ، وانعكاساً لطريقته في معاناة
الحياة ، صورة من تاريخ الأفكار^(٩٢) فشعر طرفة مثل هذا . وإذا كان
العمل الفني دلالة وجدانية ونسقاً رمزياً للتعبير عن الشعور^(٩٣)
فشعر طرفة يفيض من القلب وينبعث عن الجوانح الثائرة أو
الطامحة . وإذا كان بعض النقاد يرون في الشعر العربي القديم
عاماً أنه شعر السطوح الخارجية للنفس والحياة ، وأنه يشعرنا
بالفراغ الداخلي لأن أصحابه كانوا يعيشون خارج الحدود
النفسية^(٩٤) ويرون أن شعر طرفة هو في صميمه شعر التشبيهات
الحسية^(٩٥) . فليس أدل على زيف الادعاء الاول من شعر طرفة ،
فهو شعر النفس وشعر الحياة ، ينقل داخل النفس ولا يغفل
علاقتها مع محيطها .

أما كون طرفة يستخدم التشبيهات الحسية فهذا لا يعيب
الشاعر ما دام يخلق عالماً لغوياً خاصاً به فيبني شكلاً وعلاقات
وتراكيب جديدة تنبع من تجربته الحية ورؤيته المباشرة^(٩٦)
فاصالة الشاعر تكمن في معرفته مداخل اللغة ومخارجها
ولطائفها ودقائقها ثم في إضافة شيء من عطر الشاعر اليها^(٩٧) .
عند ذلك يترك صورته على أسلوبه وينفرد بهذا الأسلوب
لا يشاركه فيه غيره ، ويصح عندما نقرأه أن نردد « الأسلوب هو
الرجل والرجل هو الأسلوب »^(٩٨) ، فالتعبير رابطة حية تجمع بين
الفنان وعمله ومناخ الشعر ناجم عن العلاقات بين الكلمات
والعبارات والابيات الشعرية^(٩٩) . فإذا ما تأثر الفنان بمحيطه فإن
هذا لا ينفي معادلة الفرد الشخصية في تحديد طرازه الفني^(١٠٠) .
وقد كان طرفة ذا لفة خاصة طبعها بشخصه ، فامتزجت
تعايبه بانفعالات نفسه وصيحات فكره ، وكان قادراً باستمرار على
نقل حالته الشعورية الخاصة بتجربته ، فتسربت شخصيته في
آثاره حتى كاد يسمعنا نبض قلبه ، وديبب خواطره ، وهواجس
نفسه ، وتلك سمة من سمات العبقريين^(١٠١) وأتاح له الفن أن ينفذ
الى باطن الحياة وأن يسبر أغوار الواقع فامتد بملكات الإدراك
الحسي الى أبعد مدى . اقتحم حياته الخاصة فاضاء كثيراً من
جوانب نفسه الخفية . وعرف مجتمعه على حقيقته فتواصل معه
بكل - قوة ونشاط . ولكنه اصطدم بمعتقداته الراسخة وتقاليد
الصماء ، وبين صراع الذات لاثبات نفسها وصراع الجماعة لفرض

متناقضاً في عرض فكره في بعض الأحيان الا أنه كان يملك زمام التعبير والقدرة على إبراز موضوعه . والشاعر الحقيقي هو الذي يسيطر على موضوعه ويوفق في النفاذ الى فكرته العامة المسيطرة وإن تناقض في التفاصيل أو بدا غير منطقي في الجزئيات^(١٠١) .

لقد عاش طرفة غريباً مع نفسه ، ومغترباً مع قومه وفي غير قومه ، فانسابت مشاعر الغربة الى فنه . فصبح هذا الفن بالحنين والحزن والحنو وكشف عن أبعاد إنسانية وحقق رؤى جديدة وجعلها أكثر وعياً بمشاعرنا الأعماق . فاذا كانت مهمة الفن هي نقل التجربة الفردية والاجتماعية الى الآخرين^(١٠٢) فقد مثّل طرفة هذا الدور تمثيلاً صادقاً . فقد نشد الحق الذي يحياه في نفسه أياً كان مفهومه ، فسكب عاطفته فيه . ولم يقف عند حدود التأثير النفسي بل ارتقى الى مستوى التفكير ، فقدم شعراً يجمع بين العاطفة والفكر فأكد نوازع نفسه وأهواء مجتمعه فكان غريباً في عرضه وفي فكره ، مغترباً بين أهله وعند نفسه .

الهوامش

- (١) المعارف القاهرة ١٩٨٥ ص ٧٢ .
- (١٧) انظر ابن قتيبة (ابو محمد عبد الله بن مسلم ٢١٣ - ٢٧٦ هـ) الشعر والشعراء . طبعة لندن ١٩٠٢ م ص ٥٨ . وانظر الجمحي (محمد بن سلام ١٢٩ هـ - ٢٣١) طبقات الشعراء شرح محمود محمد شاكر مطبعة المدني - القاهرة ١٣٩٤ هـ ١٩٧٤ م ١ / ١٢٨ . وانظر : القيرواني (أبو الحسن بن رشيق ٣٩٠ هـ - ٤٥٩ م) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد مطبعة السعادة بمصر ١٩٦٣ ص ١٠٢ وانظر : القرشي (أبو زيد محمد بن الخطاب) جمهرة أشعار العرب تحقيق علي محمد البجاوي . دار نهضة مصر ١٩٧٧ م ص ٨٩ .
- (١٨) ابن قتيبة ، الشعراء والشعراء ٨٩ .
- (١٩) المرجع السابق
- (٢٠) المرجع السابق
- (٢١) انظر : طرفة بن العبد ، ديوانه شرح الاعلام الشمنتري (٤١٠ هـ - ٤٧٦ م) مطبوعات مجمع اللغة العربية - دمشق ١٣٩٥ هـ ١٩٧٥ م تحقيق لطفي الصقال ودرية الخطيب ص ١٠٧ .
- (٢٢) انظر : محمد علي الهاشمي ، طرفة بن العبد حياته وشعره ، عالم الكتب - بيروت ط ١ ١٤٠٠ هـ ١٩٨٠ م ص ١٧٧ .
- (٢٣) طرفة بن العبد ، ديوانه ٣١ .
- (٢٤) طرفة بن العبد ، ديوانه ٨٦ .
- (٢٥) محمد علي الهاشمي ، طرفة بن العبد حياته وشعره ٨٨ .
- (٢٦) طرفة بن العبد ، ديوانه ٧٢ .
- (٢٧) محمد علي الهاشمي ، طرفة بن العبد حياته وشعره ٢٠٠ وما بعدها .
- (٢٨) المرجع السابق ١٢٦ .
- (٢٩) انظر : مصطفى صائق البرافمي ، تاريخ آداب العرب ، دار الكتاب العربي - بيروت ٩٤ هـ ٧٤ م ، ٢ / ٢٣٩ .
- (٣٠) طرفة بن العبد ، ديوانه ٤٦ .
- (٣١) المرجع السابق ٢٧ .
- (٣٢) انظر : مصطفى ناصف ، قراءة ثانية لشعرنا القديم ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٠ م ص ١٦٥ .

الواقع المرفوض اعترت طرفة حالة من التوتر وعدم التوازن ، ومن هذا الواقع المضطرب المتناقض تولد لديه الفن . كان ذا خيال وثاب وحس مرهف فحبا فنه الحياة والشعور والنشاط وكانت حياته قطعة موسيقية أثقلت بها عناصر الحس والخيال والفكر ، فجاء شعره صورة عن حياته في اتحاد هذه القوى النفسية وسيطرة الاحساس عليها جميعاً^(١٠٣) .

حقاً أن طرفة استمد مصادر صوره من بيئته ، ولكنه وظفها في خدمة قضيته الخاصة بمالها من بعد إنساني . صحيح أنه كان مادياً ، ولكنه أحال المادية البحتة الى وصفية تخدم موقفه النفسي وتنقل حقائق الوجود الجاهلي . هو يرتبط في تصويره بالواقع الطبيعي والاجتماعي ولكن صوره وثيقة الاتصال بواقعه النفسي^(١٠٤) وهل الأداء النفسي سوى حصيلة الوجود الخارجي والوجود الداخلي ومنطقة العمل الفني نفسه^(١٠٥) ؟ فالصور في الشعر ليست أشياء منعزلة نلقاها فرادى بل هي تنبت وتنمو وتتجه بالقصيدة اتجاهاً موحداً^(١٠٦) . وإذا كان طرفة قد بدا

- (١) انظر : عبد الرزاق الخشروم ، الغربة في الشعر الجاهلي ، منشورات اتحاد الكتاب العرب - دمشق ١٩٨٢ م ، ص ٣٢ .
- (٢) انظر : جواد علي المفضل في تاريخ العرب قبل الاسلام دار العلم للملايين - بيروت ط ٢ ١٩٧٦ / ١ ٢٧١ .
- (٣) انظر : الضبي (المفضل بن محمد بن يعلى توفي ١٧٨ هـ) ، المفضليات ، تحقيق احمد شاكر وعبد السلام هارون بيروت ط ٦ ص ٢٩١
- (٤) انظر الاعشى (ميمون بن قيس) ديوانه تحقيق محمد محمد حسين مؤسسة الرسالة بيروت ط ٢ ، ١٣٨٨ هـ ١٩٦٨ م . ص ٨٧ ، ١٣٩ .
- (٥) انظر : نجيب محمد البهيتي ، تاريخ الشعر العربي حتى اخر القرن الثالث الهجري - دار الفكر ، القاهرة ١٩٧٠ م ص ١٤٩ .
- (٦) جواد علي ، المفضل ١ / ٢٧٧ .
- (٧) عبد الرزاق الخشروم ، الغربة في الشعر الجاهلي ٤٥ .
- (٨) جواد علي ، المفضل ١ / ٢٦٢ وما بعدها
- (٩) انظر : أحلام الزعيم ، ابو نواس بين العبث والاعتزاب والتمرد دار العودة بيروت ٦٧
- (١٠) انظر : عبد الله التطاوي ، في القصيدة الجاهلية والاموية مكتبة غريب - القاهرة ١٩٨١ ص ٧٠
- (١١) انظر : احسان سرقيس ، مدخل الى الادب الجاهلي ، دار الطليعة - بيروت ٧٩ م ص ١٨١ .
- (١٢) انظر : محمد عبد المنعم خفاجي ، الشعر الجاهلي دار الكتاب اللبناني - بيروت ط ٣ ١٩٧٣ م . ص ٤٠٨ .
- (١٣) انظر : عائشة عبد الرحمن ، قيم جديدة للادب العربي القاهرة ١٩٦٧ م ص ٣٦ .
- (١٤) امرؤ القيس ، ديوانه تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم دار المعارف مصر ١٩٨٥ م
- (١٥) انظر : عنتره بن شداد ، ديوانه ، تحقيق محمد سعيد مولوي ، المكتب الاسلامي القاهرة ١٣٩٠ هـ ١٩٧٠ م ص ٢٧٠ .
- (١٦) انظر : النابغة الذبياني ، ديوانه تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ، دار

- (٣٣) طرفة بن العبد، ديوانه ١٣٠ .
- (٣٤) انظر محمد مندور، في الميزان الجديد، مكتبة نهضة مصر ط ٣ ص ١٢٨ .
- (٣٥) انظر سعيد الدين شلبي، الاصول الفنية للشعر الجاهلي مكتبة غريب .
- القاهرة ط ٢، ١٩٨٢ م، ص ١٤٠ .
- (٣٦) طرفة بن العبد، ديوانه ٨٦ .
- (٣٧) سدة بن العبد، ديوانه ٨١ .
- (٣٨) طرفة بن العبد، ديوانه ٩١ .
- (٣٩) انظر: عز الدين اسماعيل، مجلة شعر عدد ٢، فبراير ١٩٦٤ م .
- (٤٠) محمد علي الهاشمي، طرفة بن العبد حياته وشعره ٩٧ وما بعدها .
- (٤١) طرفة بن العبد، ديوانه ٥٩ .
- (٤٢) طرفة بن العبد، ديوانه ٥٢ .
- (٤٣) المرجع السابق، ٩ .
- (٤٤) المرجع السابق، ٨ .
- (٤٥) مصطفى ناصف، قراءة ثانية لشعرنا القديم ١٦٠ .
- (٤٦) طرفة بن العبد، ديوانه ١٥٢ .
- (٤٧) المرجع السابق ٥١ .
- (٤٨) المرجع السابق ١١٩ .
- (٤٩) انظر: مطاع الصفدي وأيليا حاوي، موسوعة الشعر العربي شركة خياط - بيروت ١٩٧٤ م، ٢: ٢٠١ .
- (٥٠) انظر: عبد الفتاح نافع، الشعراء المقيمون في الجاهلية والاسلام، مكتبة الكتاني اريد ٨٦ ص ٦٥ .
- (٥١) طرفة بن العبد، ديوانه ١٢ .
- (٥٢) محمد علي الهاشمي، طرفة بن العبد حياته وشعره ١١٨ .
- (٥٣) طرفة بن العبد، ديوانه ١٣٤ .
- (٥٤) المرجع السابق ٢٦ .
- (٥٥) سعد الدين شلبي، الاصول الفنية للشعر الجاهلي ٢٨٣، وانظر محمد عبد المنعم خفاجي، الشعر الجاهلي ٣٦٦، وانظر محمد علي الهاشمي، طرفة بن العبد ١١٦ .
- (٥٦) انظر: الصورة في الشعر العربي حتى آخر القرن الثاني الهجري، دار الاندلس بيروت، ١٩٨٠ ص ٨٦ وانظر: بطرس البستاني، ادباء العرب في الجاهلية وصدر الاسلام، دار مارون عبود - بيروت ١٩٧٩ م ص ١٢١ .
- (٥٧) انظر: شوقي ضيف، العصر الجاهلي، دار المعارف بمصر ١٩٦٠ ص ٢٢٣ .
- (٥٨) انظر محمد عبد العزيز الكفراوي، الشعر العربي بين الجمود والتطور، دار نهضة مصر - القاهرة - ط ٢ ص ٢٢ .
- (٥٩) انظر: يحيى الجبوري، الشعر الجاهلي، خصائصه وفنونه، مؤسسة الرسالة - بيروت ط ٣ ١٩٨٢ م ص ٢١٨ .
- (٦٠) انظر: طه حسين، حديث الاربعاء، دار المعارف بمصر ١ / ٥٨ .
- (٦١) محمد عبد العزيز الكفراوي، الشعر العربي بين الجمود والتطور ٦١ .
- (٦٢) مصطفى ناصف، قراءة ثانية لشعرنا القديم ١١٥ .
- (٦٣) المرجع السابق ١٦٣ .
- (٦٤) طرفة بن العبد، ديوانه ١٢ .
- (٦٥) مصطفى ناصف، قراءة ثانية في شعرنا القديم ١٦٣ .
- (٦٦) طرفة بن العبد، ديوانه ١٢ .
- (٦٧) طرفة بن العبد، ديوانه ٢٤ .
- (٦٨) المرجع السابق ٣٠ .
- (٦٩) المرجع السابق ٧ .
- (٧٠) مصطفى ناصف، قراءة ثانية لشعرنا القديم ٦٨ .
- (٧١) طه حسين، حديث الاربعاء ١، ٦٣ .
- (٧٢) طرفة بن العبد، ديوانه ٣٢ .
- (٧٣) المرجع السابق ٣١ .
- (٧٤) المرجع نفسه ٤٨ .
- (٧٥) المرجع نفسه ١٥٦ .
- (٧٦) نفسه ٣٧ .
- (٧٧) نفسه ٣٥ .
- (٧٨) نفسه ٣١ .
- (٧٩) عبد الله التطاوي، في القصيدة الجاهلية والاموية ٧٣ .
- (٨٠) طرفة بن العبد، ديوانه ٣١ .
- (٨١) المرجع السابق ٢٨ .
- (٨٢) مصطفى ناصف، قراءة ثانية لشعرنا القديم ١٦٨ .
- (٨٣) علي البطل، الصورة في الشعر العربي حتى آخر القرن الثاني الهجري ٨٦ .
- (٨٤) الاعشى الكبير، ديوانه ٣٢ .
- (٨٥) إحسان سركيس، مدخل الى الادب الجاهلي ٢٤٣ .
- (٨٦) ديوان الاعشى ٣٢ .
- (٨٧) احسان سركيس، مدخل الى الادب الجاهلي ٢٤١ .
- (٨٨) عبد الله التطاوي، في القصيدة الجاهلية والاموية ٧٤ .
- (٨٩) طرفة بن العبد، ديوانه ٣٧ .
- (٩٠) المرجع السابق ١٧٨ .
- (٩١) المرجع نفسه ٤٨ .
- (٩٢) انظر: ليون ائل فن السيرة الادبية ترجمة صدقي حطاب مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر القاهرة، نيويورك ١٩٧٣ م، ص ٦٥ .
- (٩٣) انظر: زكريا ابراهيم، مشكلة الفن مكتبة مصر ١٩٧٧ م ص ٤٦، وزكريا ابراهيم فلسفة الفن في الفكر المعاصر دار مصر للطباعة ١٩٦٦ م ص ٣١١ .
- (٩٤) انظر: شكري عياد، الرؤيا المقيدة، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٨ ص ١٩٢ . وانظر أنور المعداوي، علي محمود طه الشاعر والانسان، دار الشؤون الثقافية العامة - بغداد ٨٦ ص ١٣١، ١٧٠ .
- (٩٥) محمد عبد العزيز الكفراوي، الشعر العربي بين الجمود والتطور ٢٢ .
- (٩٦) انظر: مصطفى بدوي، دراسات في الشعر والمسرح، دار المعرفة - القاهرة ١٩٦٠ م ص ٤٩ .
- (٩٧) شكري عياد، الرؤيا المقيدة ٢٤ .
- (٩٨) ليون ائل، فن السيرة الادبية ٦٥ .
- (٩٩) انظر: رضوان الشهاب، عن الشعر ومسائل الفن، منشورات وزارة الثقافة - دمشق ١٩٨٦ م، ص ٨٦ .
- (١٠٠) زكريا ابراهيم، مشكلة الفن ١٥١ .
- (١٠١) انظر: علي أدهم، علي هامش الادب والنقد، دار الفكر العربي - القاهرة (بدون تاريخ) ص ٤٧ .
- (١٠٢) بطرس البستاني، أدباء العرب في الجاهلية وصدر الاسلام ٧٩ .
- (١٠٣) عبد الله التطاوي، في القصيدة الجاهلية والاموية ٧٦ .
- (١٠٤) شكري عياد، الرؤيا المقيدة ١٩٢ .
- (١٠٥) انظر مصطفى ناصف، الصورة الادبية، دار الاندلس - بيروت ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م ص ٢٥٤ .
- (١٠٦) علي أدهم، علي هامش الادب والنقد ٤٧ .
- (١٠٧) انظر: كارلوني وفيللو تطور النقد الادبي الحديث ترجمة سعد يونس - مكتبة الحياة بيروت (بدون تاريخ) ص ١٢٢ . وانظر: محمد مندور في الادب والنقد، دار نهضة مصر (بدون تاريخ) ص ٣٩ . وانظر عبد الحميد يونس، الاسس الفنية للنقد الادبي، المطبعة النموذجية القاهرة ١٩٤٩ م ص ١١٧ .

علم المعاني بين النحو والبلاغة

دراسة نقدية مقارنة للنشأة والتطور

أحلام موسى حيدر الزهاوي

كلية التربية / الجامعة المستنصرية
قسم اللغة العربية

بسم الله الرحمن الرحيم

عرف العرب الالفاظ كما عرفوا المعاني وكان لكل منهما شأنه في كلامهم شعراً كان او نثراً ، فالشاعر يسعى الى ابراز معانيه باختيار احسن الالفاظ وكذلك العالم لغوياً كان او بلاغياً ، فقد اكدوا اختيار الالفاظ المعبرة عن معانيها واستخدامها في مواضعها وتوخي الدقة في استعمالها بحيث تؤدي المعنى المطلوب ، وفرقوا بين الالفاظ الفصيحة والمبالغة والصادقة والمبدعة ، ورفضوا المشكوك والغامضة والكاذبة منها ، ولقد بُنيت معظم الشواهد النقدية المعروفة في كتب التراث على اساس الاختيار للمعاني والالفاظ بشكل يخدم النص ويؤدي الغرض منه ، مما يدل على عمق نظرية اللفظ والمعنى عندهم .

عُرفت المعاني - في بداية الامر - بوصفها مفهوماً مفرداً له علاقة وثيقة بالالفاظ ، وقد تعامل معها النقاد والبلاغيون على هذا الاساس فكانت لفظة المعاني تتردد على السنتهم وفي كتبهم بما تعنيه من مفهوم وتطورت هذه المسألة بتطور علوم اللغة العربية وازدادت تطوراً بعد نزول القرآن الكريم وارتباطها بالاعجاز والنظم حتى غدت نظرية مستقلة لها اطرافها الواسعة التي امتدت لتشمل ميادين النحو والبلاغة والادب ، ثم استقر بها . الحال في ميدان البلاغة ، وبالتحديد في باب علم المعاني ، بعد تطورها على يد الجرجاني ، وعلى اساس العلاقة بين اللفظ والمعنى كانت معظم آراء العلماء الذين انقسموا بين مؤيد لللفظ ومؤيد للمعنى وموافق بينهما ، بالنظم والاسلوب ، كما سنلمس ذلك من وقوفنا على الآراء التي قيلت فيها .

تنبيه سييويه (١٨٠ هـ) قبل غيره من العلماء الى اساليب الكلام حسب معانيها ، وذهب الى ان تلك المعاني تتأثر بها وتتغير بتغيرها فقسم الكلام على هذا الاساس الى خمسة اقسام هي : (مستقيم حسن ، ومحال ومستقيم كذب ، ومستقيم قبيح وما هو محال كذب)^(١) ثم وضع ما ذهب اليه ف ضرب الامثلة لكل منها فقال : « فاما المستقيم الحسن فتقولك آتيتك امس وسأتيتك غداً »^(٢) ، وهو تركيب واضح البناء والمعنى ، (واما المحال فان تنقض اول كلامك باخره فتقول آتيتك غداً وسأتيتك امس »^(٣) فالتناقض بين الحدث والزمن في القولين السابقين ، ادى الى تناقض المعنى ، « واما المستقيم الكذب فتقولك : حملت الجبل وشربت ماء البحر ونحوه »^(٤) فهو مستقيم في بنائه ، كذب في معناه ، لان الغرض منه المبالغة ، « واما المستقيم القبيح فان تضع اللفظ في غير موضعه نحو قولك : قد زيداً رأيت ، و : كي زيداً ياتيك ، واشباه ذلك »^(٥) ، فاختلاف الترتيب باستخدام حروف الافعال للاسماء ، ادى الى اختلال المعنى ، وهو وجه القبح فيه .

ومع أن سيبيويه مهد بالتقسيمات آنفاً ، لنشأة علم المعاني ، إلا أن أراءه لم تلق صدًى عند من جاء بعده من النحاة واللغويين وعلماء الدراسات القرآنية ، إذ اتبعوا مناهج مختلفة في مؤلفاتهم تباينت بين دراسة لغوية لمعاني المفردة ، أو اسلوبية لتراكيب الكلام واكتفوا بإشارات أو ملاحظات عابرة ، فالقراء (٢٠٧ هـ) تناول المعاني من جانبها اللغوي ، ولا سيما في كتابه معاني القرآن ، إذ وقف عندما قد يشكل على القارئ من الفاظ يحتاج الى عناء في فهمه ^(١٤) فاختلف بذلك عن سيبيويه الذي كانت ملاحظاته اسلوبية .

وأشار محمد بن المستنير (٢٠٦ هـ) - المعروف بقطرب - مع جماعة من النحويين الى تقسيمات المعاني ، فقالوا : « معاني الكلام اربعة : خبر واستخبار وامر ونهي » ^(١٥) وجعلوا التمني والدعاء من تقسيمات الخبر ، واكتفوا بالإشارة الى الاختلافات بينها ، وبهذا يكون قطرب ومن معه اول من اطلق عبارة (معاني الكلام) على تقسيمات الخبر والانشاء التي اصبحت فيما بعد مباحث علم المعاني خلافاً لما ذهب اليه الدكتور احمد مطلوب عندما جعل هذه الاولوية لاحمد بن فارس (٣٩٥ هـ) الذي ذكر هذه العبارة في كتابه الصاحب ، وقد نسبها الى اهل العلم . وعلى ما سبق تكون دراسة قطرب وجماعته دراسة تركيبية لا ساليب الكلام التي وقفوا عندها تبعهم الاخفش (٢١٥ هـ) الذي زاد على تلك التقسيمات بجعله التمني والدعاء اقساماً لمعاني الكلام فقال : « معاني الكلام ستة : خبر واستخبار وامر ونهي ودعاء وتمني » ^(١٦) ثم عرضها وساق الامثلة والشواهد لكل منها .

وللاخفش وقفة مع المعاني في كتابه (معاني القرآن) الذي اتبع فيه منهجاً واضحاً لتفسير معاني القرآن ، مستعيناً بالقرآن نفسه لايضاح بعض الآيات فضلاً عن استعانته بالشواهد الشعرية والاقوال العربية . والمعاني التي يقصدها الاخفش في كتابه هي معاني الالفاظ اللغوية وبيان الظواهر الاعرابية واختلاف الرسوم القرآنية واتباع اللغات المشهورة في قراءتها ، من ذلك وقوفه عند كلمة (السلم) ودلالاتها في بعض الآيات القرآنية كقوله تعالى : (ادخلوا في السلم كافة) ^(١٧) بقوله : « والسلم : السلام وقوله (وتدعو الى السلم وانتم الاعلون) ^(١٨) ذلك الصلح وقد قال بعضهم في الصلح : السلم : (ويلقوا اليكم السلم) ^(١٩) وهو الاستسلام وقال : (واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما) ^(٢٠) ، اي قالوا براءة منكم لان السلام في بعض الكلام هو البراءة ، يقول : (إنما فلان سلام سلام ، أي : لا يخالط أحداً) ^(٢١) لهذا فان دراسة المعاني عند الفراء ، كانت دراسة لفظية خاصة بمعاني المفردات وبورها في المعنى العام للنص ، في حين ان دراسة قطرب - ومن تبعه من النحاة - والاخفش اسلوبية وان اختلفت دراسة الاخير في (معاني القرآن) ، كما لاحظنا .

مما سبق ، يتبين ان للنحاة واللغويين دوراً بارزاً في نشأة علم المعاني ، ومع أن أراءهم تلك لم تتجاوز الملاحظات والتقسيمات

العامية - كما في دراسة سيبيويه - إلا انها شكلت قاعدة بنى عليها البلاغيون اساس علم المعاني فيما بعد ، فكان ميدان النحو بذلك مجالاً خصباً لنشأة هذا العلم وتوسعه وانتقاله الى ميادين وبيئات علمية متعددة فقد تعرض الجاحظ (٢٥٥ هـ) الى المعاني في مؤلفاته وبين دورها في بلاغة الكلام ، فقال : « لا يكون الكلام يستحق اسم البلاغة حتى يسابق معناه لفظه ولفظه معناه ، فلا يكون لفظه اسبق الى سمعك من معناه الى قلبك » ^(٢٢) فبلاغة الكلام عنده مرتبطة بمعانيها ومقياسها ان تصل الى القلب وتؤثر في النفس قبل الالفاظ .

ووقف ابن قتيبة (٢٩٦ هـ) عند تعدد المعاني للفظ الواحد وتأثير النظم فيه ، من ذلك تعدد معاني لفظه (الوحي) بتعدد نسق النظم الذي وردت فيه كقوله تعالى : (إنا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح) ^(٢٣) ، والوحي هنا هو إرسال جبريل بالقرآن ، وقوله تعالى : (فأوحى اليهم ان سبحوا بكرة وعشيا) ^(٢٤) وتعني هنا الإشارة ، وتأتي بمعنى الالهام ، كما في قوله : (واوحى ربك الى النحل) ^(٢٥) ، أي الهمها ، وتأتي ايضاً بمعنى الاعلام في المنام كقوله : (وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحياً) ^(٢٦) وتأتي بمعنى الامر ايضاً كقوله : (بان ربك اوحى لها) ^(٢٧) اي : امرها ^(٢٨)

وايد الخطابي (٣٢٨ هـ) في رسالته (بيان اعجاز القرآن) فكرة النظم وصلته بالاعجاز ، فذهب الى ان ، الصلة الوثيقة بينهما ادت الى حسن النظم فقال : « واعلم ان القرآن انما صار معجزاً لانه جاء بافصح الالفاظ في احسن نظوم التأليف مضمناً اصح المعاني » ^(٢٩)

وشبه ابو هلال العسكري (٣٩٥ هـ) المعاني بالابوان وبالكسوة التي تتجدد بتجديدها ، وتجري مجراها ، مفضلاً بهذا التشبيه ، المعاني على الالفاظ بقوله : « ان الكلام الفاظ وتشتمل على معان تدل عليها ، ويُعبّر عنها ، فيحتاج صاحب البلاغة الى اصابة المعنى كحاجته الى تحسين اللفظ لان المدار يعد على اصابة المعنى ، ولان المعاني تحل من الكلام محل الايدان ، والالفاظ تجري معها مجرى الكسوة ، ومرتبطة احدهما على الاخرى معروفة » ^(٣٠)

ولنا مع احمد بن فارس (٣٩٥ هـ) وقفة اخرى مع معاني الكلام اذ اكتفى بذكر تقسيماتها عند اهل العلم فقال : « وهي عند اهل العلم عشرة : خبر واستخبار وامر ونهي ودعاء وطلب وعرض وتحضيض وتمن وتعجب » ^(٣١) والملاحظ اضافة ابن فارس تقسيمات جديدة الى ما سبق موسعاً بذلك من دائرة هذا العلم . ووقف الباقلاني (٤٠٣ هـ) عند مسألة النظم في القرآن الكريم وذهب الى ان اعجاز القرآن في نظمه وتأليفه ، وكذا القاضي عبد الجبار المعتزلي (٤١٥ هـ) الذي تعمق في تحليل الاعجاز القرآني ونبه الى خصائص عدة للنظم فيه ، فقد رأى : « أن الاعجاز من جهة فصاحة الكلام وريط ذلك بالنظم وسماء يضم الكلام على طريقة مخصوصة على ان تكون لكل كلمة صفة تتولد من

ان تقول : (المعنى) ومعنى المعنى تعني بالمعنى ، المفهوم من ظاهر اللفظ والذي تصل اليه بغير واسطة و (بمعنى المعنى) ان تعقل من اللفظ معنى ثم يقضي بك ذلك المعنى الى معنى آخر ^(٢٢) ولا شك في ان (معنى المعنى) يقتضي دقة في تفهم النص للوصول اليه .

الملاحظة المهمة في دراسة الجرجاني ، انه اعتمد الموضوعات النحوية اساساً بنى عليه نظريته ، وقد دعا الى اتباع تلك الموضوعات وما يتصل بها من قوانين واصول عند صياغة التراكيب على ان تدرس الفروض بينها تبعاً لمعانيها لا لتراكيبها وحركاتها الاعرابية وقد رد الجرجاني جميع مزايا النظم الصحيحة والفاسدة الى معاني النحو واحكامه وجعلها تدخل في اصل من اصوله او باب من ابوابه فذكر : « انه لا يتصور ان يتعلق الفكر بمعاني الكلم افراداً او مجردة من معاني النحو » ^(٢٣) تأكيداً منه على ان النظم قائم على اساسين هامين : الاول : تعلق الالفاظ والمفردات بعضها ببعض

الثاني : ترتيبها على وفق قواعد النحو وقوانينه وهذا يعني ان مخالفة تلك القواعد يسبب اخلاً وارباكاً في المعنى ، وقد ضرب الجرجاني مثلاً لتجسيد ذلك فقال : « وان اردت ان ترى ذلك عياناً فاعمد الى اي كلام شئت ، وازل اجزائه عن مواضعها وضعها وضعاً يتمتع معه دخول شيء من معاني النحو فيها ، فقل في (قفانك من ذكرى حبيب ومنزل) (من نك قفا حبيب ذكرى منزل) ثم انظر ، هل يتعلق منك فكر بمعنى كلمة منها » ^(٢٤) ولا شك في ان كلامه هذا ينصب في المقام الاول على النظم وتأثيره في المعنى

ولعلنا نلاحظ - مما سبق - اهتمام الجرجاني بالمعاني وبورها في التراكيب ، ولقد نوه في مواضع عدة من كتابه بفضلها على الالفاظ في اوجه ، فهي تسبقه الى الفكر ، وتؤثر في النفس ويقتضيها النظم قبله وهي المقصودة ابدأ : « فاما ان تتصور في الالفاظ ان تكون المقصودة قبل المعاني بالنظم والترتيب ، وان يكون الفكر في النظم الذي يتوآصفه البلغاء فكراً في نظم الالفاظ ، او ان تحتاج بعد ترتيب المعاني الى فكر تستأنفه لان تجيء بالالفاظ على نسقها ، فباطل من الظن وهم يتخيل الى ان لا يوفي النظر حقه » ^(٢٥)

ومع الجهود العلمية الكبيرة التي بذلها الجرجاني في بناء نظريته والنهوض بها ، فان اراءه وما توصل اليه لم تلق اهتماماً مطلوباً من العلماء بعده سواء النحاة منهم او البلاغيين ، فقد اصاب نظريته الجمود ، اذ لم نجد لها اثرأ يذكر في دراساتهم الا القليل فالسكاكي (٦٢٦ هـ) صاحب كتاب (مفتاح العلوم) افاد من اراء الجرجاني وجعل من نظريته قسماً من اقسام علم البلاغة الثلاثة المعاني والبيان والبديع ، والقسم الاول منها هي خلاصة فكر الجرجاني التي قصد منها توخي معاني النحو ، وقر عرفها بقوله : « هو تتبع خواص تراكيب الكلام في الافادة وما يتصل بها من الاستحسان وغيره ليحترز بالوقوف عليها من الخطأ في تطبيق الكلام على ما يقتضي الحال ذكره » ^(٢٦) وبين

ذلك الضم ^(٢٧) وقال في موضع اخر مشيراً الى هذه المسألة : « ان اعجاز القرآن لا يتم الا بجزالة لفظه وحسن معناه وقد علمنا ان المتناقض في الكلام لا يصح معناه » ^(٢٨) وهو بذلك اسبق من الجرجاني في الربط بين النظم والاعجاز في القرآن الكريم .

لقد تساهمت بيئة المتكلمين - بتبنيها مسألة النظم في القرآن الكريم - في اغناء علم المعاني ، وكانت جهود علمائها ، لمسات طيبة طورت هذا الموضوع وفتحت باباً جديداً في دراسته . لقد رسم النظم ومقاييسه التي حددها العلماء مداراً دينياً ولغوياً لهذا الجانب ألهم من العلوم العربية فكان بنية اساسية بنى عليها الجرجاني نظريته في نظم الكلام ومعانيه ، والجرجاني ، (٤٧١ هـ) ابرز من وقف عند المعاني بين من درسوا هذا الموضوع ، وقد بلغت دراسته ذروتها بعد ان رفع قواعدها وحدد معالمها وكون منها نظرية متكاملة ، عكست قدرة هذا العالم الكبير في مضمار علمه

تتلخص فكرة الجرجاني في جانبين مهمين هما : (النظم والمعاني) ، فالنظم وهو عنده : « تعليق الكلم بعضها ببعض ، وجعل بعضها يسبب من بعض » ^(٢٩) عبارة عن الصلة التي تربط الالفاظ ببعضها على وفق قواعد اللغة ، كما يذكر : (اعلم ان ليس للنظم الا ان تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو وتعمل على قوانينه واصوله » ^(٣٠) واذا ما تم ذلك فان التراكيب التي تتألف من ذلك النظم تؤدي معاني مختلفة تختلف باختلاف هذه الصلات ، ونبه الجرجاني ان هذه الخصائص لا توجد الا في اضرب معينة من الكلام حددها بقوله : « الكلام على ضربين : ضرب انت منه تصل الى الغرض بدلالة اللفظ وحده ذلك اذا قصدت ان تخبر عن (زيد) مثلاً بالخروج على الحقيقة فقلت (خرج زيد) وبالاتفاق عن (عمرو) فقلت (عمرو منطلق) وعلى هذا القياس ، وضرب آخر انت لا تصل منه الى الغرض بدلالة اللفظ وحده ، ولكن يدلك اللفظ على معناه الذي يقتضيه موضوعه في اللغة ، ثم تجد لذلك المعنى دلالة ثانية تصل بها الى الغرض » ^(٣١) .

من هذا النص نستنتج ملاحظتين :

الاولى : ان للكلام معاني غير ظاهرة يصل اليها القاري بعد تجاوز المعاني الوضعية الظاهرة للالفاظ .

الثانية : ان هذا الضرب من المعاني لا يوجد الا في البنيغ من الكلام لذلك جعل الجرجاني مدار هذا الامر على الكناية والاستعارة والتشثيل ، عليه فهو يدعو الى دراسة دقيقة وتأمل عميق للنصوص بغية انوصول الى ما خفي منها من المعاني ، والخطوة الاولى في ذلك هو استيعاب الدلالة الوضعية ثم استنباط المعاني الاصلية المقصودة من خلالها ، وهي الخطوة الثانية ، ويطلق الجرجاني لفظة (المعنى) على الخطوة الاولى و (معنى المعنى) على الخطوة الثانية ويفرق بينهما بقوله : « فههنا عبارة مختصرة وهي

كالمنطق والفلسفة وعلم الكلام من جمودها وضياها ، فتحوّرت نظرية النظم الى علم المعاني ، هذا المصطلح الذي أصبح قسماً من اقسام البلاغة ، الميدان الذي استقرت فيه أشهر نظرية لا برز عالم في ميدان المعرفة العربية .

معاني النحو ومعاني البلاغة

المعاني جزء مهم من تكوين اللغة ، وإن ما سمي بـ (علم المعاني) قد نظر اليه كثير من النحاة على أنه من علمهم لصلته بالكلام وما يتصل به من الظواهر الاعرابية ، إذ إن بوارده - كما لاحظنا - ظهرت عندهم ، فقد أشار اليها سيويو وبعض النحاة ، ثم أهملوها لا نشغالهم بالاعراب وظواهره ، فبقي هذا الجزء الدقيق من اللغة مغموراً حتى ظهر الجرجاني في القرن الخامس الهجري بـ (دلائل الاعجاز) الذي وضعه لدراسة مسألة اعجاز القرآن الكريم ونظمه ، ويظهره تبين ثقل هذا الموضوع واتضح صلتها بتراكيب الكلام وزادت أهميته عندما جعل وجهاً من وجوه الاعجاز ، وبهذا ؛ كان لا بد لهذا العلم أن يأخذ مكانه بين العلوم الأخرى ، وقد مهد الجرجاني لذلك عندما وضع (نظرية النظم) التي تستند في أساسها الى قواعد النحو وتهدف الى دراسة أحد وجوه الاعجاز القرآني من باب نظم ومعانيه ، وهو جانب بلاغي بحث

من هنا بدأ الخلاف على نمط هذا الموضوع ، هل هو نحوي ويجب انتماءه الى النحو ، أم بلاغي ويجب أن ينظم الى ميدان البلاغة ، أم هو علم قائم بذاته له قوانينه وأصوله ومناهجه ، فهو من جانب يستند الى قواعد النحو في منهجه ويعتمد موضوعات نحوية ، ومن جانب آخر يتبع منهجاً بلاغياً في دراسته ويقتضي الخوض فيه دراية ونوقاً أدبياً .

لقد استقر هذا العلم - في نهاية المطاف - في ميدان البلاغة كما أشرنا ليصبح من أبرز أقسامه ، وربما توضح هذه الدراسة الأسباب التي أدت الى ذلك .

يُعرف النحاة النحو بأنه : « اللفظ المفيد فائدة يحسن السكوت عليه »^(٢٨) ويشمل اللفظ هنا الكلام بأنواعه ، ويقصد بالمفيد ، الكلام عدا الماهل ، أما عبارة (يحسن السكوت عليه) فيعني الكلام المفهوم ويعرف البلاغيون علم المعاني بأنه : « الكلام المطابق لمقتضى الحال »^(٢٩) والمقصود بمقتضى الحال ، حال المخاطب التي تؤخذ بنظر الاعتبار فينزل المتكلم منزلته الثقافية والفكرية سعياً الى فهمه .

عليه فإن الكلام هو المحور الأساس للعلمين الرئيسين (النحو والبلاغة) إلا أن موضع الخلاف يكمن في كيفية تعامل كل منهما معه ، فالمعروف أن النحو علم يختص بظاهر الكلام ويعتمد المراتب والظواهر الاعرابية أساساً في دراسته ، فانصب اهتمامهم على ذلك وأهملوا المعاني ، مع علمهم بصلتها الوثيقة بينهما ، فالحركات الاعرابية دوال على المعاني وتقضي الى اتمامها

الدكتور أحمد مطلوب أن السكاكي هو أول من أطلق مصطلح (علم المعاني) على الموضوعات التي سماها عبد القاهر بالنظم أو معاني النحو ، وبهذه التسمية ، انتقل (علم المعاني) بشكله الأصولي الى ميدان البلاغة ، بعد أن أهمله النحاة ، مع تأكيد الجرجاني أن نظريته قائمة على أصول النحو وقواعده .

وأفاد القرطاجني من آراء الجرجاني بشكل واسع في كتابه (منهاج البلغاء) عند دراسته لعلم المعاني ، وإن كان منهجه في هذه الدراسة واضح التأثير بالفكر الفلسفي اليوناني .

تتلخص فكرة القرطاجني في أن : « المعاني هي صورة منقولة من الواقع الى فهم السامع عن طريق الذهن ، وتقوم الالفاظ بتجسيدها وتصويرها الى السامعين والقارئ ، وهذا يعني أن للمعاني صورة حقيقية لها وجود في الأعيان ، وخيالية لها وجود في الأذهان ، وتقوم الالفاظ والخطوط بنقل تلك الصورة من موقعها الأول الى موقعها الثاني »^(٣٠) ، ويحدد القرطاجني مجال المعاني بميدانين مهمين هما : الشعر ، والخطابة وميدان الشعر عنده أهم لهذا وقف عنده طويلاً ، وبين تقسيماته وفصل القول فيه ، قائلاً : « والمعاني الشعرية منها ما يكون مقصوداً في نفسه بحسب غرض الشعر ومعتماً إيراداً ، ومنها ما ليس بمعتماً إيراداً ولكن يورد على أن يحاكي به ما اعتمد من ذلك أو يحال به عليه أو غير ذلك . ولنسم المعاني التي ليست من متن الكلام ونفس الغرض ولكنها أمثلة لتلك أو استدلالات عليها أو غير ذلك لا موجب لا يربطها في الكلام غير محاكاة المعاني الأول بها أو ملاحظة وجه يجمع بينهما على بعض الهيئات التي تتلاقى عليها المعاني ويصار من بعضها الى بعض ، المعاني الثواني ، فتكون معاني الشعر منقسمة الى أوائل وثواني »^(٣١) وهو بذلك يتبع الجرجاني في تقسيمه للمعاني ، ويفصل القرطاجني القول في بيان أهمية كل منها فقال : « وحق الثواني أن تكون أشهر في معناها من الأول لتستوضح معاني الأول بمعانيها الممثلة بها ، أو تكون مساوية لها لتنفيد تأكيداً للمعنى »^(٣٢) إشارة منه الى الصلة بين المعاني « الأول والثواني » ، وتختلف المعاني من حيث الوضوح والإيهام باختلاف المقاصد ، فهي عنده بدلائل ثلاث ، دلالة ايضاح ودلالة إيهام ، ودلالة ايضاح وإيهام ، ولعله يقصد بهذه الدلائل المعاني الظاهرة والمعاني الخفية الكامنة خلفها وهي أيضاً من تقسيمات الجرجاني .

ومهما يكن من أمر ، فإن القرطاجني أفاد من جهود الجرجاني العلمية ، وأخذ بأطرافها ، وأبدى آراءه الخاصة .. ، مضيفاً بذلك الكثير الى علم المعاني بيد أن جهوده لم تكن أوفر حظاً من جهود الجرجاني التي أصابها الجمود ، ولم تصادف بعد كتابه كتاباً آخر وضع في البلاغة ، سوى كتب التلخيص المتعددة ، التي ألفت اختصاراً لكتاب مفتاح العلوم للسكاكي الذي قدر لمنهجه البقاء ، إذ لا تزال تقسيماته لعلم البلاغة والحدود التي وضعها هي المتبعة في الدراسات البلاغية

لقد أصاب علم البلاغة بعد الجرجاني والقرطاجني ، ما أصابها من الجمود والانحلال ، وزاد امتزاجها بالعلوم الأخرى ،

في الكثير من جوانبها على المباحث البلاغية كالكناية والاستعارة والتمثيل ويبحث المعاني التي تؤديها ، وهو المنهج نفسه مع الموضوعات النحوية كالفصل والوصل والتقديم والتأخير والحذف والذكر والاختصاص وغيرها ، والاهم من ذلك هو التوصل الى المعاني الثانية او (معنى المعنى) كما عرفها الجرجاني ، وهو غرض خفي متعذر الا على صاحب الذوق الادبي المرفه لانه « معنى ادبي يتلون بتلون العواطف والاحساسات ، ويؤدي جانباً من الامتناع والتأثير »^(١) وقد يكون في كل ذلك مسوغات جعلت كفة البلاغة ارجح لاحتضان هذا الموضوع وتبنيه ، وقد كان لها ذلك

العلاقة بين المعاني ومقتضى الحال

يدعو الجرجاني في نظريته الى ترسيخ اسس النظم اي نظم الكلام وذلك بتطبيق قواعد النحو أولاً وترتيب الالفاظ وفق تلك القواعد بشكل نستطيع معه التماس معانيه المتعددة ثانياً ، فالجملة تتألف من ركنين اساسيين هما : المسند والمسند اليه فهي اما : مبتدأ او خبر ، او فعل وقاغل او صفة وموصوف او معطوف ومعطوف عليه ، والترتيب فيما بينها يؤدي الى الوضوح والافهام ، ولكن قد يقتضي المقام عدولاً عن هذه القواعد ، فيقدم ما حقه التأخير في المرتبة ، كتقديم الفاعل او المفعول به ام الجار والمجرور او الخبر ، او غير ذلك مما يقتضيه السياق ، فيضي الى امرين : الاول : ظهور معانٍ جديدة لا تظهر الا بهذه المخالفة كالتخصيص او القصر .

الثاني : تجنب ما يسمى (باللبس) عند النحويين ، فقد يلتبس على القارئ التمييز بين المسند والمسند اليه مما يؤدي الى الفهم الخاطيء للمعنى ، لهذا يخالف مقام الالفاظ تجنباً لذلك ، وتعرف هذه الظاهرة عند البلاغيين بـ (مراعاة مقتضى الحال) ، لان لها صلة بالمخاطب والسامع ، ومدى استيعابهم وفهمهم للكلام ، وهي تعني مراعاة المستوى الذهني والثقافي عند مخاطبتهم ، بيد ان ذلك لا يعني بالضرورة اقامة الخطأ اللغوي لتحقيق ذلك .

لقد كانت هذه المراعاة لمقتضى الحال . مقياس البلاغة عند البلاغيين ، بل ان هذا التعريف الخاص بعلم المعاني ، كان في يوم ما ، تعريفاً للبلاغة ، وهو ايضاً مفهوم البلاغة عند العرب قبل ظهور العلوم وتخصصها ، فمقياس البلاغة عندهم هو توصيل المعنى الى فهم السامع مع التأثير فيه بغض النظر عن الاسلوب المتبع في ذلك ، لانه هو الذي يحدد هذا الاسلوب : بلاغياً كان او عامياً طبقاً لقاعدة ، مراعاة مقتضى الحال .

والجدير بالاشارة ، ان السكاكي هو اول من اطلق هذه التسمية عند تعريفه لعلم المعاني ، وهو بذلك التعريف ينطلق من قاعدة لغوية عريضة تتعلق باساليب التعبير فيها ، اذ ان تقسيمات علم المعاني هي في الاصل اساليب غايتها الدقة في التعبير ، بل ان

وتوضيحها ، كما ان المراتب واختلافها تلعب دوراً في المعاني . وعلم النحو على هذا يلاحظ تراكييب الكلام وتأثير الحركات الاعرابية عليها ، ويهمل المعاني ، اذن فهي دراسة لجانب واحد من الكلام ، فمثلاً في تقديم الخبر على المبتدأ او المبتدأ على الخبر ، تذكر علة نحوية استناداً الى قاعدة نحوية عامة تقاس عليها كل التراكييب والجمال التي ياتي فيها الخبر مقدماً او مؤخراً ، وهي حالة تنطبق على كل الموضوعات النحوية .

واذا كان ذلك شأن النحو ، فان تراكييب الكلام وما يطراً عليها من تغيير ، والمعاني المترتبة على ذلك ، يشكل المحور الاساس لعلم المعاني على ان تكون على وفق قوانين النحو ، وهو ما اكده الجرجاني بقوله : « اعلم ان ليس النظم الا ان تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه (علم النحو) وتعمل على قوانينه واصوله »^(٢) اشارة منه الى الصلة الاساسية بين الموضوعين وهي نقطة التماس بينهما ، عليه : فالعلمان متفقان في الاساس مختلفان في المنهج والتطبيق ، فالنحو يتعامل مع التراكييب شواهد نحوية ، تجسد ظواهر اعرابية مختلفة ، والمهم في هذه الشواهد ان تكون صحيحة ومطابقة للقواعد ، وان كانت تراكييب اعتيادية لا تتعدى الاخبار ، في حين ان علم المعاني يعدها تراكييب لغوية تنطوي على اساليب عدة ، تختلف باختلافها ، وهذه الاساليب تمثل الموضوعات النحوية التي درسها الجرجاني في نظريته ، وتتقترن بالمعاني بنوعيتها ، لهذا فان دراسة علم المعاني للتراكييب ابقى واعمق من دراسة النحولها ، فقد يدرس نص واحد من جوانب عدة ، ويؤدي اغراضاً بلاغية مختلفة فيكون بذلك شاهداً لاساليب بلاغية متنوعة ، وهذه الدقة في التعامل مع النصوص لا نجدها عند النحاة ، وهو ما يشكل خلافاً جوهرياً بين الميدانين

من هنا برزت نقاط الاختلاف والاتفاق بين معاني النحو ومعاني البلاغة ، فالاعراب من تخصص النحو بشكل رئيس وهو ما لاصلة له بالبلاغة في حين ان اختلاف المعاني المتصلة باختلاف التراكييب والجمال من صلب علم المعاني ، فضلاً عن ذلك فان هذه المعاني تعتمد الى حد كبير على الذوق الادبي اكثر من اعتمادها على القاعدة ، وهو ما يعلل اختلاف العلماء في تحديد بعض المعاني واغراضها ، ومع كل ذلك يبقى (علم المعاني) قريباً من النحو لكونه دراسة تركيبية له صلة باساليب الكلام المستندة الى قوانين النحو ، لهذا طبع بطابع الجفاف - بعض الشيء - وهذا ما يلمسه الدارس لعلم المعاني مقارنة بعلم البيان ، المحور الرئيس لعلم البلاغة ، اذا ما اعتبرنا علم البديع تحسیناً عرضياً لا ذاتياً .

ان توخي الدقة في النظم سعياً الى معنى مفهوم ، لم يكن من تخصص علم النحو ، لا سيما بعد شذويعه وتخصصها . ولم تكن له صلة بالبلاغة علماً يبحث عن مواطن الجمال في اللغة والكلام - سيما في الفترة التي ظهر فيها كتاب الجرجاني - بيد ان اهمال النحاة لآراء الجرجاني ، وانشغالهم بالاعراب والعامل النحوي ادى الى ابتعادهم عن جهوده ، فضلاً عن ان نظرية النظم اعتمدت

موضوع الفصل والوصل ، كان تعريفاً خاصاً بالبلاغة ، مما يعكس الصلة بين المعاني ومقتضى ظاهر الحال الذي هو باب من ابواب البلاغة .

المعاني في القرآن الكريم

من المعلوم ان القرآن الكريم كتاب مقدس ، هدفه الأساسي في ما تناوله ديني وانه نزل بلسان عربي مبين فحمل معه كل ما امتازت به هذه اللغة الكريمة من خصائص ، والمعاني الثانية احدى اهم هذه الخصائص التي امتازت بها اجزاء واسعة منه .
تقسم المعاني في القرآن الكريم الى معان ظاهرة يدل عليها الوضع اللغوي ، ومعان خفية تقتنن غالباً بالجوانب الدينية لا سيما اسباب النزول ، وتمثل الاغراض البلاغية المعول عليها في السياقات القرآنية ونماذج هذه المعاني كثيرة ومتعددة ، تستدعيها ظروف القول ومناسبات الموقف ، منها ما يمكن الاستدلال بها من نسق النظم ومنها ما تقتضي (١٢) التأمل والتدبر من مثل قوله تعالى : (اياك نعبد واياك نستعين)

فقد افاد التقديم والتأخير معنى (التخصيص) لان تقديم المفعول به على الفاعل قصر العبادة على الله تعالى وليس غيره ، ولو لم يكن هذا الترتيب من النظم لا تقتضي ذلك التخصيص ، وادى توالى النون في نعبد ونستعين الى ظهور صورة بلاغية اخرى هي ظاهرة (السجع) الذي سماه ابن الاثير بمراعاة حسن النظم ، والنص الكريم بعد ذلك خبر مجازي يُفيد الدعاء ، فالفعلان (نعبد ونستعين) يدلان على الدعاء ، والمعنى اعنا على عبادتك ، وحقق الواو في النص الاتصال بين الجملتين الاولى والثانية لانهما خبريتان .

ولقد لفت الجرجاني الى اهمية هذه المعاني وبين تأثيرها في النفس اذا ما كشفت عنها وبلغت اغوارها كما اشار الى ان خلو الكلام منها يجعلها خالية من المزايا ، مستشهداً بآيات من القرآن الكريم لتوضيح ذلك ، فقال : « واعلم انه اذا كان بيناً في الشيء أنه لا يتحمل الا الوجه الذي هو عليه حتى لا يشكل ، وحتى لا يحتاج في العلم بان ذلك حقه وانه الصواب الى فكر وروية ، فلامزية ، وإنما تكون المزية ويجب الفضل اذا احتمل في ظاهر الحال غير الوجه الذي جاء عليه وجهاً آخر ، ثم رأيت النفس تنبؤ عن ذلك الوجه الآخر ، ورأيت للذي جاء عليه حسناً وقبولاً فغلبهما اذا انت تركته الى الثاني ، ومثال ذلك قوله تعالى : (وجعلوا لله شركاء الجن) (١٣) ليس بخاف ان لتقديم (الشركاء) حسناً وروعة وماخذاً من القلوب انت لا تجد شيئاً منه ان انت اخرت فقلت : (وجعلوا الجن شركاء لله) وانك ترى ، حالك حال من نقل عن الصورة المبهمة والمنظر الرائق والحسن الباهر ، الى الشيء الغفل الذي لا تملئ منه بكثير طائل ولا تصير النفس به الى حاصل ، والسبب في ان كان ذلك كذلك ، هو ان التقديم فائدة شريفة ومعنى جليلاً لا سبيل اليه مع التأخير ، بيانه ، أنا وان كنا نرى جملة المعنى ومحصله أنهم جعلوا الجن شركاء وعبدوهم مع الله تعالى ،

وكان هذا المعنى يحصل مع التأخير حصوله مع التقديم ، فان تقديم (الشركاء) يفيد هذا المعنى ، ويفيد منه معنى آخر ، وهو انه ما كان ينبغي ان يكون لله شريك لا من الجن ، ولا غير الجن ، واذا أخرف قيل : (جعلوا الجن شركاء الله) لم يفد ذلك ولم يكن فيه شيء اكثر من الاخبار عنهم بانهم عبدوا الجن مع الله تعالى (١٤)

ومن نماذج المعاني الثانية في القرآن الكريم ، الاغراض المجازية التي تخرج اليها النصوص القرآنية ، لا سيما اساليب الخبر والانشاء تحقيقاً لاهداف بلاغية مقصودة في الشياق كقوله تعالى : (فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا) (١٥) فثمة غرض مجازي يكشف عنه السياق ، وان بدا الاستفهام واضحاً ، لان القول السابق على لسان اهل النار وهم يطلبون امراً غير ممكن الحصول ، وقوله تعالى : (فأتوا بسورة من مثله) (١٦) ، فالامر هنا وان كان حقيقياً الا انه ورد في سياق التعجيز للكافرين في تحقيق هذا الامر ، وعلى هذا فالغرض في المثال الاول هو التمني ، وفي الثاني التعجيز وهما يمثلان المعاني الثانية فيهما ،

والجدير بالملاحظة ، اختلاف البلاغيين في تحديد هذه الاغراض لانها تعتمد النوق مقياساً في تحديدها .

ويمثل الجانب النفسي صورة من صور المعاني الثانية في القرآن الكريم ، فقد توجه هذا الكتاب العظيم الى النفس الانسانية فخطبها وحرك مشاعرها ولمس احساسها من جوانب عدة ، ولقد حظيت المرأة بالجانب الاكبر من هذه الرعاية ، فكان لخطابها اسلوب خاص لا سيما في مواضع الامر والنهي ، كقوله تعالى : (والوالدات يرضعن اولادهن حولين كاملين) (١٧)

والنص الكريم صريح في طلبه من الام المرضع ، فهو خطاب لها بالتزام مدة محددة في رضاعة ولدها ، وقد حقق اسلوب الخبر المجازي المؤدي في سياق الامر الحقيقي ذلك ، الا انه لم يكن امراً مباشراً ، ولا شك في ان مراعاة الجانب النفسي للمرأة هو المسوغ لهذا الاسلوب ، لان الامر المباشر ، قد يولد صعوبة ومشقة في تنفيذه وقد يؤدي الالتزام الى الاعراض والتلكؤ لهذا اكتفى السياق بخطاب غير مباشر اكراما لمشاعر الام ومراعاة لها لما عرف عنها من الرقة ورهافة الحس ، وفي هذه المراعاة تكمن المعاني الثانية ، في النص الكريم ، ولا يختلف، عنه في ذلك قوله تعالى : (والمطلقات يتربصن) (١٨)

ان المعاني الثانية في القرآن الكريم متعددة تتلون بين الاساليب والتراكيب والسياقات القرآنية والجوانب الدينية والتأثيرات النفسية وتكمن بلاغتها في انها تتعلق بنظم محكم واسلوب بليغ ، وغرض نبيل ، واذا اضفنا الى ذلك اهمال النحاة لجانب المعاني ، وتركيزهم على العامل النحوي والوقوف عند اواخر الكلم ، لعلنا بوضوح اسباب استقرار هذا العلم في ميدان البلاغة ، ولولا ذلك لضاع هذا العلم بين طبقات الكتب ولما اضحى علماً مستقلاً له اسسه وقوانينه ومناهجه التي وضعها علماء اجلاء ، في مقدمتهم شيخ النحاة سييويه ، وشيخ البلاغيين الجرجاني ، وهو ما يكفيها شرفاً ويزيدها ثبلاً بين علوم العربية .

الهوامش

- (١) سيبويه : ٢٥ / ١
- ٢ - ٣ - ٤ - ٥ : سيبويه : ٢٥ / ١
- ٦ - مقدمة معاني القرآن : ١١
- ٧ - اشتقاق اسماء الله : ٢٩٥
- ٨ - المصدر نفسه
- ٩ - البقرة : ٢٠٨
- ١٠ - محمد : ٣٥
- ١١ - النساء : ٩١
- ١٢ - الفرقان : ٦٣
- ١٣ - معاني القرآن للاخفش : ١٦٧ / ١
- ١٤ - البيان والتبيين : ١٨٥ / ١
- ١٥ - النساء : ١٦٣
- ١٦ - مريم : ١١
- ١٧ - النحل : ٦٨
- ١٨ - الشورى : ٥١
- ١٩ - الزلزلة : ٥
- ٢٠ - تاويل مشكل القرآن : ١٢٣
- ٢١ - ثلاث رسائل في اعجاز القرآن : ٢٤
- ٢٢ - الصناعتين : ٧٥
- ٢٣ - الصاحبي في فقه اللغة : ١٦٩
- ٢٤ - اعجاز القرآن : ٣٥
- ٢٥ - المغني في ابواب التوحيد والعدل : ١٦ / ١٩٩
- ٢٦ - نفسه : ٣٨٧
- ٢٧ - دلائل الاعجاز : ٤
- ٢٨ - نفسه : ٨١
- ٢٩ - نفسه : ٢٦٢
- ٣٠ - دلائل الاعجاز : ٢٦٣
- ٣١ - نفسه : ٤١٠
- ٣٢ - دلائل الاعجاز : ٤١٠
- ٣٣ - نفسه : ٥٢
- ٣٤ - مفتاح العلوم : ٧٧
- ٣٥ - ينظر منهاج البلقاء : ٢٣
- ٣٦ - منهاج البلقاء : ٢٤
- ٣٧ - نفسه : ١٧٢
- ٣٨ - شرح ابن عقيل على الفية ابن مالك : ١ / ١٤
- ٣٩ - مفتاح العلوم للسكاكي : ٧٧
- ٤٠ - دلائل الاعجاز : ٨١
- ٤١ - المعاني الثانية في اسلوب القرآن الكريم : ١٤١
- ٤٢ - الفاتحة : ٥
- ٤٣ - الانعام : ١٠٠
- ٤٤ - دلائل الاعجاز : ٢٨٦
- ٤٥ - الاعراف : ٥٣
- ٤٦ - البقرة : ٢٣
- ٤٧ - البقرة : ٢٣٣
- ٤٨ - البقرة : ٢٢٨

المصادر والمراجع

- ١ - القرآن الكريم
- ٢ - اشتقاق اسماء الله / الزجاجي ابو القاسم عبد الرحمن بن اسحاق / تحقيق عبد الحسين المبارك / مطبعة النعمان / النجف ١٣٩٤ - ١٩٧٤
- ٣ - اعجاز القرآن / الباقلاني / ابو بكر محمد بن الطيب ، تحقيق احمد صقر ، دار المعارف مصر
- ٤ - الايضاح في علوم البلاغة الخطيب القزويني / تحقيق لجنة اساتذة العربية بالازهر
- ٥ - البيان والتبيين ، الجاحظ / تحقيق عبد السلام هارون / القاهرة ، ١٣٩٧ - ١٩٤٨
- ٦ - تاويل مشكل القرآن / ابن قتيبة الدينوري / شرح وتحقيق احمد صقر دار احياء الكتب العربية / عيسى الياباني الحلبي وشركاه
- ٧ - ثلاث رسائل في اعجاز القرآن / الخطابي والرماني والجرجاني / تحقيق محمد خلف الله احمد / ومحمد زغلول سلام / دار المعارف بمصر
- ٨ - شرح ابن عقيل على الفية ابن مالك / قاضي القضاة بهاء الدين عبد الله بن عقيل الهمداني ت (٧٦٩ هـ) ط ٢٠ / ١٩٨٠ مطابع المختار الاسلامي
- ٩ - الحيوان / للجاحظ ، ابو عثمان عمرو بن بحر / تحقيق عبد السلام هارون القاهرة ١٣٥٦ / ١٩٣٨
- ١٠ - دلائل الاعجاز / الجرجاني / ابو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن / قراءة وتعليق محمود محمد شاكر / مطبعة المدني / مصر .
- ١١ - الصاحبي في فقه اللغة وسنن العربية في كلامها / احمد بن فارس تحقيق مصطفى الشويمي / بيروت ١٣٨٣ - ١٩٦٤
- ١٢ - الصناعتين الكتابة والشعر / ابو هلال العسكري / تحقيق علي محمد بجاوي محمد ابو الفضل ابراهيم / مطبعة عيسى البابي وشركاه .
- ١٣ - الكتاب / سيبويه / تحقيق عبد السلام هارون / مطبعة دار القلم ١٣٨٥ - ١٩٦٦
- ١٤ - المعاني الثانية في اسلوب القرآن الكريم / د . فتحي احمد عامر / مطبعة اطلس القاهرة
- ١٥ - معاني القرآن / الفراء / تحقيق احمد يوسف ومحمد علي النجار / مطبعة دار الكتب المصرية

قولوا للشهداء ان دماءهم لن تذهب سدى . دماؤهم في ثورة العشرين خضرت ثورة تموز العظيمة في ١٩٦٨ ، دماؤهم في ثورة العشرين خضرت كل المنجزات العظيمة التي قدمتها ثورة تموز ، ودماؤهم الطاهرة مثل ما هي دماء كل الشهداء التي سفكت على أرض العراق لكي تعطر تربته الزكية خضرت علماً عالياً بسارية عالية هو علم الثورة ... علم المنجزات العظيمة ... علم شعب العراق العظيم الذي اصبح اليوم يلعب دوراً في خدمة الأمة العربية وليس في خدمة مبادئ ثورة تموز على أرض العراق فقط .

الرئيس القائد
صدام حسين



ثورة العشرين

وأهميتها في ضوء أصدائها الخارجية

كمال مظهر
كلية التربية - جامعة بغداد



تعد الاصداء الخارجية لأي حدث تاريخي مقياساً معتبراً لتحديد وزنه وأهميته . الكل تقريباً يعرفون شيئاً ما عن الثورة الفرنسية الكبرى في أواخر القرن الثامن عشر ، بينما الأمر ليس هكذا مع الثورة الانجليزية في اواسط القرن السابع عشر ، مما يعكس واقع حجم الحدثين المهمين ، وإفرازات كل منهما على الصعيدين الداخلي والخارجي .

وهكذا الحال أيضاً مع جميع الاحداث التاريخية المهمة الاخرى بغض النظر عن الزمان والمكان . كانت ثورة العشرين العراقية تمثل واحدة من أقوى الضربات التي وجهت الى الاستعمار البريطاني في المرحلة المبكرة ، الحافلة بالاحداث الثورية ، التي أتت إنتهاء الحرب العالمية الاولى . لانها تفوق جميع نظيراتها في الشرق الاوسط ، بما في ذلك الانتفاضة المصرية بقيادة سعد زغلول ، والثورة السورية ، والحركات الثورية في ايران ، بل وحتى الحركة الكمالية في تركيا ، من حيث حجم الخسائر البشرية والمادية التي ألحقتها بالبريطانيين ، ومن حيث زخم الثورة نفسها ، وضحايا الثوار . فان العديد من المصادر الموثقة والدراسات الاجنبية تقدر عدد الثوار باكثر من (١٣٠) الف شخص ممن حملوا السلاح فعلاً بوجه المحتل البريطاني على مدى خمسة اشهر ونيف^(١) بلغت خسائرهم حسب التقديرات البريطانية (٨٤٥٠) شخصاً مابين قتل وجريح^(٢) ، فيما بلغ عدد قطع السلاح التي صادرتها السلطات العسكرية البريطانية من الاهالي ما لا يقل عن ستين ألف قطعة^(٣) .

اما خسائر البريطانيين البشرية فانها بلغت ، حسب مصادره الموثقة ، (٢٢٦٩٠) شخصاً ما بين قتل وجريح ومفقود وأسير ، بينهم العشرون من الضباط البريطانيين والهنود^(٤) ،

فيما قدر أكثر من مصدر خسائر الخزانة البريطانية المالية بسبب الثورة بما لا يقل عن مائة مليون باون استرليني^(٥) ، مما يُعد مبلغاً ضخماً حسب القوة الشرائية السائدة يومذاك ، وعبئاً ثقيلاً جداً في

ظروف ما بعد الحرب العالمية الاولى عندما كان الاقتصاد البريطاني يعاني من أزمة خانقة وديون امريكية ثقيلة . وفي الواقع لا يصح حصر خسائر البريطانيين المالية بما صرفوه مباشرة في صيف وخريف ١٩٢٠ للقضاء على ثورة العشرين ، ذلك لان آثار

الثورة فرضت عليهم ان يحتفظوا بقوات كبيرة داخل العراق لمدة اضافية غير قصيرة ، مما تحول الى عبء آخر على كاهل خزانة الدولة المرهقة ، فان كلفة تلك القوات ، مثلاً ، بلغت في العام الذي أتبع الثورة ما لا يقل عن واحد وعشرين مليون باون^(٦) ، خصوصاً

وان حرب العصابات ضد القوات البريطانية لم تتوقف في العديد من المناطق العراقية ، فلم يمض سوى وقت قصير على توزيع « مجلس الجيش » برقية تهنئة خاصة لمناسبة « إنتهاء حركات الثورة

القائمة » حتى أعلنت صحيفة « تايمس » في لندن في عددها الصادر يوم الثامن من تشرين الثاني عام ١٩٢٠ عن إعتقال حوالي (٨٠٠) شخص في منطقة بالقرب من الحلة بتهمة اشتراكهم في عمليات جديدة معادية للوجود البريطاني .

يكن في هذا ، فضلاً عن طبيعة الثورة نفسها واهدافها ، أحد الاسباب الجوهرية للصدى المتميز الذي احدثته ثورة العشرين العراقية على الصعيد الخارجي ، ويشكل لم يسبقه مثيل طوال تاريخ العراق الحديث . وكان أمراً طبيعياً أن يتردد ذلك الصدى أولاً

داخل اروقة صنع القرار ، ولدى الرأي العام في لندن ، مما انعكس في آلاف الوثائق والتقارير السرية التي بونها مسؤولو وزارات

المستعمرات والطيران والخارجية ، وهي طافحة بأندر المعلومات وأدقها عن مقدمات الثورة وأسبابها ووقائعها ونتائجها ، كما انعكس ، أيضاً ، في اهتمام الصحفيين والبرلمانيين البريطانيين الاستثنائي بأحداث الثورة وأنبائها . ويجد المتتبع الشيء نفسه في

مؤلفات المسؤولين البريطانيين في العراق الذين عاصروا الثورة ، وأدوا دوراً مباشراً في قمعها ، ومن أبرزهم ارنولد ولسن الحاكم المدني البريطاني العام وكالة في العراق ، وهالدين قائد القوات البريطانية في العراق ، والمس بيل السكرتيرة الشرقية للمندوب

السامي البريطاني ، ودكسن الضابط السياسي البريطاني في سوق الشيوخ ، والضابط السياسي البريطاني في اربيل أيام الثورة وغيرهم ممن دفعوا مؤلفاتهم الى نور النشر بعد مرور مدة وجيزة على انتهاء الثورة .

تصدت معظم الصحف البريطانية المعروفة الصادرة في صيف وخريف ١٩٢٠ الى موضوع الثورة ووقائعها ، وانعكاساتها المباشرة على الساحة السياسية في البلاد ، وساد النقد اللاذع لهجة معظمها بسبب زخم الاحداث وتطوراتها السريعة في ميادين الثورة العراقية - ولقد بلغ الامر بصحيفة « تايمس » المعروفة ان وصمت ، في عددها الصادر يوم السابع من اب ١٩٢٠ ، سياسة حكومة لويد جورج « تجاه بلاد ما بين النهرين » بالغباء ، وطالبت باعادة النظر فيها . وذهبت بعض الصحف الانجليزية الى حد ابعد من ذلك عندما طالبت ، تحت تأثير ضربة الثورة العراقية ، بتغيير مجمل السياسة البريطانية في الشرق الاوسط^(٧) .

وفي السياق ذاته كتبت صحيفة « اويزيرفر » الواسعة الانتشار في عددها الصادر يوم الثالث والعشرين من شهر آب عام ١٩٢٠ أن من المضحك : « التفكير في أن واجبنا الاساس هو فرض قوانيننا على شعب بين لنا بوضوح تام انه ليس بحاجة لها » .

وجاء ابلغ تعبير حول الموضوع نفسه على لسان صحيفة « سندي تايمس » التي ذكرت في عددها الصادر في اليوم ذاته ، اي في الثالث والعشرين من آب ، مانصه :

« أوليس من الافضل لنا ان نعترف بفشلنا ، ونكف عن التدخل في حياة ثلاثة ملايين عربي يودون شيئاً واحداً فقط الا وهو التمتع بإمكانات تسمح لهم بان يصبحوا سادة مصرهم ! ان روما لم تضمحل عندما تنازل ادريانوس عن فتوحات تراجانوس » .

وتكمن في هذا التشبيه الذكي بلاغة الصحيفة ، فمن المعروف ان امبراطور روما تراجانوس قد حقق خلال مدة حكمه (٩٨ - ١١٧ م) فتوحات واسعة امتدت الى مناطق شرقية مختلفة ، الا ان خلفه الامبراطور ادريانوس (١١٧ - ١٣٨ م) تنازل عن ممتلكات الامبراطورية في الشرق وذلك بسبب عدم توفر الامكانيات الضرورية التي تتيح له الحفاظ على تلك المناطق .

اثارت احداث الثورة العراقية ، وموقف الرأي العام البريطاني ، نقاشاً عاصفاً داخل اروقة مجلس العموم ، خصوصاً وان المعارضة حاولت ان تستغل الامر بوصفه فرصة مواتية للذيل من رئيس الوزراء لويد جورج وحكومته . وكان رئيس الوزراء السابق اسكويث^(٨) اشد المعارضين تحمساً لاستغلال ما وصفه « بالفشل

البريطاني في بلاد ما بين النهرين » بسبب « مغامرة لويد جورج وجرجل »^(٩) . والغريب ان اسكويث ، وغيره من المعارضين ، طالبا صراحة بترك ولايتي الموصل وبغداد لشأنهما والاحتفاظ بولاية البصرة وحدها وذلك بعدما ان بذلت القوات البريطانية في سنوات الحرب ، ومنذ عهد اسكويث نفسه ، المستحيل من اجل احتلالهما .

حاول رئيس الوزراء ووزير المستعمرات البريطانيين احتواء المعارضة عن طريق النيل من الثورة العراقية بوصفها ، كما ذكرنا ،

ظلت تؤكد على مدى سنوات ، وبشقي الاساليب على ولاء العرب وحبيهم لها اذ بالوقائع تكذبهم بصورة قاطعة لا يمكن دحضها ابداً»^(١١).

لا جدال في ان بوسع المؤرخ ان يعزز آراءه عن اسلوب تعامل البريطانيين مع العراقيين ايام الثورة بصورة موضوعية ، غير عاطفية ومقنعة من خلال استناده الى مثل هذه الوثائق الصادرة عن طرف ثالث ، شرط ان يأخذ بنظر الاعتبار ، في الوقت ذاته ، الصراع البريطاني - الفرنسي المعروف على النفوذ في المستعمرات .

ومما له مغزاه أيضاً ان اللجنة التحضيرية لاعمال « مؤتمر شعوب الشرق الاول » الذي تقرر عقده بمدينة باكو في ايلول عام ١٩٢٠^(١٢) اكدت في وثائقها وادبياتها التي اصدرتها قبيل نشوب الثورة العراقية ، على « شعوب تركيا وايران والقفقاس » بالدرجة الرئيسية ، فيما تغير موقفها كثيراً مع انفجار ثورة العشرين وانتشار انبائها على الصعيد العالمي ، ان بدأت تولي بقية شعوب الشرق الاوسط ، ولا سيما العرب ، اهتماماً اكبر ، وانعكس اسم « بلاد ما بين النهرين » وموضوع « نضال فلاحيتها » ضد البريطانيين ، ونهب « المستعمرين لثروات » العراق في كلمات الخطباء . واحتل موضوع الثورة نفسها مكانة خاصة في اهم وثيقة اصدرها المؤتمر ، كما افرد راديك ، احد ابرز وجوه المؤتمر ، جزءاً من تقريره المعنون « الوضع الدولي ومهام الجماهير الكادحة في الشرق » للحديث عن سياسة الانجليز تجاه العراق تحديداً^(١٣).

تركزت ثورة العشرين ، دون شك ، صدى اكبر من ذلك على الصعيد الاقليمي ، مما تجاوز الاقطار العربية ليشمل ايضاً كلا من تركيا وايران بقوة ، خصوصاً وان شعبي البلدين المجاورين كانا يعانيان يومذاك من العدو نفسه . ومن المفيد ان نشير بهذا الصدد الى ان صحيفة « الفرات » النجفية الناطقة باسم الثورة تحدثت عن الحركة الكمالية في تركيا التي بلغت ذروتها ايام الثورة العراقية^(١٤) . اما بالنسبة لايران فيمكنني ان نشير الى ان البريطانيين اضطروا ، تحت ضغط الثوار العراقيين ، الى نقل ما بين (١٤) الى (١٧) ألفاً من قواتهم الموجودة داخل الاراضي الايرانية الى العراق . يقول المستعرب ل . ن . كاتلوف عن ذلك في اطروحته للدكتوراه التي كرسها لدراسة موضوع ثورة العشرين ، ما نصه :

« ان نقل تلك القوات اضعف موقف الاستعمار الانجليزي في ايران ، وسهل الى حد كبير نضال الشعب الايراني ضد التدخل الانجليزي في شؤون ايران ، ولا سيما ضد المعاهدة الانجلو - الايرانية الجائرة للعام ١٩١٩ »^(١٥) . لهذا لاغرو ان تحدثت الصحافة الايرانية المركزية والاقليمية باسهاب عن تطورات الثورة العراقية ، بحيث غدت مادتها مصدراً مهماً لبعض الدراسات الاجنبية المبكرة عن الثورة^(١٦) .

تؤشر اصداء ثورة العشرين العراقية الواسعة على الصعد

« ظاهرة عابرة » نجمت عن تحرك « عشائر بدوية متفرقة » في الامكان « ردعها بسهولة » . وفي تعليق لمجلة « الشرق الجديد » السوفيتية^(١٧) على ذلك ، مما يؤشر بدوره واقع اصداء الثورة العراقية ، وردت الملاحظة الدقيقة الاتية :

« انهم (البريطانيون) يجهدون انفسهم في البحث عن اسباب الثورة العراقية^(١٨) والمسؤولين عن وقوعها ، لكنهم لا يجدون تلك واولئك ، بالطبع ، حيثما يجب ان يجدونها ويجدوهم » . فهم « يرون اسباب الثورة^(١٩) في تأخير توقيع معاهدة الصلح^(٢٠) مع تركيا » وفي رد الفعل العنفي « بين انسان المتخلفين ضد الانظمة البريطانية » ، دون ان يراودهم « سبب واحد » وهو انهم « ظهروا في بلاد ما بين النهرين محتلين قساة » يحاولون دون هودة « إستغلال البلاد باستهتار ، مبعدين باساليبهم الكولونيالية الصرفة كل فئات الشعب عن انفسهم »^(٢١) .

لم يقتصر الاهتمام باحداث ثورة العشرين ونتائجها على البريطانيين وحدهم . فان الفرنسيين ، مثلاً ، لم يولوا وقائعها وافرازاتها المتوقعة اهتماماً قليلاً . ففي القسم الخاص بـ « بلاد ما بين النهرين » في « دار سجلات وزارة الخارجية الفرنسية » توجد ثلاثة ملفات ضخمة تحمل الارقام ١٥ و ١٦ و ١٧ تتعلق وثائقها باحداث العراق وتطوراتها خلال صيف وخريف عام ١٩٢٠^(٢٢) والتي تضم حتماً معلومات مهمة بوسعها القاء اضواء جديدة على وقائع الثورة وظروف انفجارها . ولمجرد الاستدلال تشير الى فقرات قليلة وردت في تقرير مفصل اعده الاب لويس مارتن « رئيس البعثة الكرملية في بلاد ما بين النهرين » خصيصاً للقنصل الفرنسي في بغداد شوفييه (Chauve) عن بعض وقائع الثورة في الديوانية وديالى ، والذي بعثه القنصل في الرابع والعشرين من آب ١٩٢٠ الى شخص وزير خارجية بلاده . يقول التقرير بخصوص الوقائع تلك ما نصه :

« جاءت التعزيزات البريطانية (الى منطقة الديوانية) ... فبدأت حرب ضروس لم تحترم فيها النساء ولا الاطفال ، وانتهكت حرمة الدور ... كانت القوات البريطانية تدمر كل شيء تصادفه في طريقها لتبدو وكأنها لا تحترم اي قانون ... ان قوانين الحرب وضعت جانباً ، فان ما يجري هنا حرب لا شفقة فيها ، حرب

تستخدم فيها جميع الاساليب من اجل القتل والتدمير . ويظهر ان هذا هو خط سلوك الانجليز الذين مارسوه في بعقوبة ايضاً عندما قصفوها ، وصبوا نيرانهم على بساطينها . يدعي الانجليز انهم لجأوا الى هذا العمل بسبب اختفاء العرب داخل البساتين ، الا ان اصحابها يؤكدون ان قذائف المدفعية وقنابل الطائرات استهدفت تدمير البساتين لا رغام الناس على الرضوخ للسياسة البريطانية » . بعد ذلك يتوصل كاتب التقرير الى استنتاج مهم مفاده « ان سلطات الاحتلال غدت ، في الواقع ، في حالة حنق لأنها ، بعد ان

الفرنسية « وغيرها من الموضوعات التي من شأنها لقاء اعضاء جديدة على احداث الثورة ونتائجها من جميع الواجه ، وبما يساعد على تجاوز الاسلوب التقليدي في دراسة الثورة وحصرها في نطاق داخلي صرف - ومن المفيد ان نشير ، بهذا الخصوص ، الى ان صاحب هذا البحث كزس قبل اكثر من عشرين سنة كتاباً مستقلاً للبحث فقط في موضوع « ثورة العشرين في الاستشراق السوفيتي » .

الثلاثة - العربي ، والاقليمي ، والعالمي اهمية تلك الصفحة المتميزة في تاريخ العراق المعاصر ، الموضوع الذي يستحق متابعة اكااديمية جادة ، فبالامكان تكريس رسائل جامعية خاصة لدراسة موضوعات من قبيل « ثورة العشرين في الصحافة العربية » ، و « ثورة العشرين في الصحافة البريطانية » ، و « ثورة العشرين في الصحافة التركية والايرائية » ، و « ثورة العشرين في الوثائق البريطانية » ، و « ثورة العشرين في الوثائق

الهوامش

نشرت اول دراسة علمية عن « ثورة العشرين » في عهدها الثاني سنة ١٩٢٢ . (١١) و (١٢) في النص : الانتفاضة .

(١٣) يقصدون معاهدة سيفر التي وقعت في العاشر من آب سنة ١٩٢٠ بوصفها واحدة من معاهدات الصلح التي وقعت بعد انتهاء الحرب العالمية الاولى .

(١٤) « Novi Vostok » , Moscow , Kn - II , 1922 , PP - 242 - 243

(١٥) .. تحتفظ « مركز دراسات الخليج العربي » بجامعة البصرة بنسخة مصورة من الملفات المذكورة .

(١٦) سجلات وزارة الخارجية الفرنسية : Direction Politique et Commercial , E 314 , Ame'e , No . 24 . VIII . 1920 .

(١٧) بدأ المؤتمر أعماله في مدينة باكو الانريجانية يوم الاول من أيلول سنة ١٩٢٠ ، حضره اكثر من الف مندوب مثلوا مختلف شعوب الشرق ، فضلاً عن عدد من الكتاب والصحفيين المعروفين . مقر العرب في المؤتمر ستة مندوبين من مصر ، وسوريا ، وفلسطين وشبه الجزيرة العربية . استمرت اعمال المؤتمر على مدى اسبوع كامل .

(١٨) للتفصيل عن ذلك ، وعن المؤتمر عموماً يمكن الرجوع الى مجلة « آفاق عربية » ، بغداد ، العدد الثاني عشر ، آب ١٩٧٦ ، كمال مظهر ، اضاء على قضايا دولية في الشرق الاوسط ، منشورات وزارة الثقافة والفنون ، بغداد ، ١٩٧٨ ، ص ١٩٦ - ٢٣٩ .

(١٩) « الفرات » ، النجف ، العدد الثاني ، ٢٨ ذي القعدة ١٣٣٨ ، ١٤ آب ١٩٢٠ .

(20) L . N . Kotlov , Op - Cit - , P . 192

(٢١) عن ذلك ينظر : كمال مظهر ، ثورة العشرين في الاستشراق السوفيتي ، بغداد ، ١٩٧٧ ، ص ٣٥ (الهامش رقم ٦٦) .

(1) L . N . Kotlov , Natsionalno - Osvoboditelnoe Vosstaniell 1920 goda Vyrake , moscow , 1958 , P . 192 .

(٢) الفريق السر الموهولدين ، ثورة العراق ١٩٢٠ ، نقله الى العربية فؤاد جميل . بغداد ، ١٩٦٥ ، ص ٣٩٢ - ٣٩٣ .

(3) H . A . Foster , The Making of Modern Iraq . A product of World Forces , Norman , University of Oklahoma Press , 1935 , P . 83 .

(٤) الفريق السر الموهولدين ، المصدر السابق ، ص ٣٩٢ .
(5) S . H . Longrigg , Iraq 1900 - 1950 . A political , Social and economic history , London , 1953 , P . 273 .

مينتياشافييلي ، العراق في سنوات الانتداب البريطاني ، ترجمة الدكتور هاشم صالح التكريتي ، بغداد ، ١٩٧٨ ، ص ١٦٩ (في النص الروسي : موسكو ، ١٩٦٩ ، ص ١٠٠ - ١٠١) .

(6) B . M . Dantsig , Irak V proshlom i nastoyashem , Moscow , 1960 , P . 24 .

(٧) للتفصيل عن ذلك يمكن الرجوع الى : الدكتور فاروق صالح العمر ، حول السياسة البريطانية في العراق ١٩١٤ - ١٩٢١ ، بغداد ، ١٩٧٨ ، ص ٨٨ - ٨٩ .

(٨) إستقال اسكويث زعيم « حزب الاحرار » من رئاسة الوزارة في العام ١٩١٦ وخلفه في الحكم منافسه لويد جورج .

(٩) كان ونستن جرجل يشغل حقيبة البحرية في وزارة لويد جورج أثناء الحرب ، وبعد انتهائها بمدة عهدت اليه حقيبة المستعمرات نظراً لاهميتها .

(١٠) من اولى مجلات الاستشراق السوفيتي ، كانت تصدر على شكل كتب ضخمة يتجاوز عدد صفحات الواحد منها السبعمئة صفحة ، صدر العدد الاول منها في العام ١٩٢٢ ، والعدد الاخير التاسع والعشرين في العام ١٩٣٠ ،

ركاب الشعر

في ثورة العشرين

د. محمد حسن علي مجيد

كلية التربية للبنات / جامعة بغداد



مركز بحوث وتطوير علوم إلكترونية

مدخل :

العراق بعد الاحتلال الانكليزي وقبل ثورة العشرين :-

قيل : (لا يكفي وجود الظلم لقيام الثورات إنما لابد من الاحساس بثقل الظلم ومرارته لقيامها) .. وهذا ما يفسر الهدوء النسبي في الحياة السياسية في العراق في القرن التاسع عشر ، ومطلع القرن العشرين . ولكن عندما نزلت القوات البريطانية في العراق خلال الحرب الاولى ، واحتلته ، واخلافهم وعودهم في منح العراقيين استقلالهم ، وحريتهم ، وممارسة سياسة تعسفية شعر العراقيون بالظلم ، وانكشفت أكاذيب الانكليز كان ذلك حافزاً لأن يواصل العراقيون نضالهم في سبيل حريتهم ، وتصميمهم على طرد هؤلاء الدخلاء الجدد من العراق ، ولأن الثورة السياسية لا تأتي وليدة ساعتها أو يومها بل نتيجة عوامل متعددة تمهد لقيامها .. وهكذا كانت ثورة العشرين .

ومن الطبيعي - أن دراسة أدبية تتناول الشعر في موضوع كبير وحادث ضخم مثل ثورة العشرين ليست أمراً سهلاً يحيط بكل أحداثها وكل الشعر الذي قيل فيها ، وأن هذا البحث ليس به حاجة إلى الحديث عن الجوانب السياسية والتاريخية لهذه الثورة وقد لا تضيف شيئاً إلى ما ذكره الكتاب والمؤرخون ، إنما قد يكون مفيداً متابعة بعض أحداث الثورة ومواقعها التي جرت فيها . لنرى موكب الشعر وننظر إلى الاعلام التي رفعت فيها ، وهو يحدد الثورة ويهزج لها ، ويعجد أبطالها .

ففي تشرين الثاني من عام ١٩١٤ نزلت طلائع القوات البريطانية في أرض الفاو . وواصلوا زحفهم صموداً ، وعلى الرغم من المعارك الطاحنة التي خاضوها ، والمقاومة العنيفة التي واجهوها ،

والخسائر الجسيمة التي تكبدوها ، وصلوا الى بغداد في آذار من سنة ١٩١٧ بعد أن خرج منها آخر جندي تركي ، ثم زحفت تلك القوات على بعض المدن العراقية التي كانت قد ألقت حكومات محلية أواخر أيام الحكم التركي كالنجف وكربلاء والحلة ، وبعد أن استقرت لهم الامور صاروا يحاولون التقرب من رؤساء الأسر ،

وشيوخ العشائر ، واستمالتهم ، ولكنهم لم يفلحوا في تحقيق هدفهم في مهادة المحتلين ، على الرغم من أنهم تمكنوا من اغراء بعض أهل المطامع ، وبعض الشعراء من السير في ركابهم ، ممن لم يحصلوا على مكاسب في العهد التركي أو على مناصب لهم ، أو أنهم

طمعوا فيما كان بيند الانكليز من اموال فتقربوا اليهم زلفى ، ولكن اغلبية الشعب العراقي ومعهم رؤساء القبائل ورجال الدين بقوا في موقفهم من رفض الاحتلال ، أو الخضوع لسلطة اجنبية جديدة .

كما لم تجز عليهم خدعة الاستفتاء عام ١٩١٨ ، بالسؤال عما اذا كان العراقيون يرغبون بالبقاء تحت الحكم البريطاني أو الاستقلال ، فاختار العراقيون الاستقلال التام الناجز ، وقد ثارت بعض المدن في وجه الاحتلال ، كثورة النجف في آذار ١٩١٨ ،

وفيهما قُتل حاكم النجف الانكليزي وبعض اعوانه ، التي ادت الى حصار النجف أياماً عديدة اجتاحتها القوات الانكليزية بعد ذلك ، وقبضت على زعماء الثورة فيها ، واعدمت أحد عشر رجلاً منهم ،

بعد نفي الآخرين الى الهند^(١) ، لكن عملهم هذا كان النار التي اشعلت غتيل الثورة وزاد من ضرامها ثم أخذت عوامل الثورة تتجمع ويرتبط حاضرها بماضيها وقربها ببعيدها لتتصلب بالضغط السياسي العسكري للاحتلال الانكليزي ، فضلاً عن الاضطراب

الاقتصادي في حياة الناس ولاسيما من الكسبة والمزارعين ، ومن الوجود المهزوزة التي كانت تتلاشى أمام العنجهية العسكرية الانكليزية ، هذه وغيرها من العوامل التي ادت الى نشاط سياسي غدا ملحوظاً في الشمال والوسط والجنوب ، وكان شعاره إزاحة الحكم الاجنبي ، فنشطت الجهود الوطنية في مدن العراق الكبرى ،

كبغداد وكربلاء والكاظمية والنجف وسامراء وبعض مناطق ديالى والدليم ، واتخذت لها مراكز ثقل في بغداد وكربلاء والنجف ، وصارت

مراكز للتجمع في كل مناسبة دينية أو وطنية ، حتى قيل ان خطط الثورة وضعت في كربلاء^(٢) ، وكانت فتاوي رجال الدين قد نسفت أطماع الانكليز في الاستمرار بحكم العراق ، وافتت بعدم جواز

القبول بحكم الاجنبي على المسلم والمطالبة بالاستقلال واخراج الانكليز من البلاد بكل الوسائل حتى بالتوسل بالقوة . وبسبب تجفع هذه العوامل وصدور الفتاوى وحدوث الاتصالات بين مختلف أبناء المدن العراقية وعقد الاجتماعات

والقاء الخطب وتوزيع المنشورات التي تطالب باستقلال العراق ، وتستنفر العراقيين لمواجهة هذا الاحتلال الجديد ، اشتد النشاط السياسي . وبدأت المناوشات ضد القوات البريطانية تأخذ طابع التصدي المسلح ، فقد حدثت صدامات كثيرة بين أبناء الشعب والقوات المحتلة في بعض مدن العراق ، ولكن المؤرخين يكدون يجمعون على ان شرارة الثورة الحقيقية الاولى كانت قد اشتعلت في الثلاثين من حزيران ١٩٣٠ ، وذلك حين استقر الحاكم السياسي الانكليزي مشاعر العراقيين في منطقة الديوانية ، حين حجز الشيخ شعلان أبو الجون زعيم عشيرة الظوالم ، وعلى أثرها اقتحمت مجموعة من عشيرته سراي الحكومة بالبناق واخرجوا زعيمهم من سجنه عنوة ، وقتل الحراس ، والاستيلاء على الاسلحة وعلان التمرد . فكان ذلك مدعاة للثورة واضراً لشرارتها الاولى التي

امتدت بعد ذلك الى ماحول الرميثة من مدن ، ثم الى مدن العراق الاخرى ، وكانت سورتها العامة فيما حول الفرات من المدن والارياف ، ولاسيما في الديوانية والرميثة والسماعة والشامية والكوفة والنجف وكربلاء ، ومناطق المشخاب ومناطق من ديالى والدليم ، وقد كانت تلك الثورة تتمتع بالتنظيم والتوجيه والاسناد

من زعماء القبائل ورجال الدين ، وبالخطب والاجتماعات والمظاهرات التي كانت تقوم في بغداد والكاظمية وكربلاء والنجف ... ومع كل هذه المقدمات لم تكن فكرة الثورة قد تبلورت بعد ، كما لم

يفكروا بشكل جاد بثورة مسلحة لانهم كانوا يأملون بالاصلاح والحل التفاضلي ، فقد كانت هناك مفاوضات بين العراقيين والسلطات العسكرية ، أظهر فيها العراقيون تعاوناً وحياً للسلم ، ورغبة في المحافظة على النظام ، ولكن كل ذلك لم يُجد فتيلاً لان السلطات العسكرية أعمت في غطرستها وتصورها انها قادرة على القضاء على كل حركة قد يقوم بها العراقيون ، وقد فاتهم ان حرية الشعوب لن يقوى على مقاومتها أحد . على الرغم من ان اسلحة

الثوار كانت بسيطة تتمثل بـ (الفالة والمكوار) وبعض البنادق القديمة ، وما كان يغمه التوار من الاسلحة والمدافع التي كانوا في كثير من الاحيان لا يحسنون استخدامها ، ومع ان الثورة لم تحقق اهدافها المباشرة اذ تمكنت القوات الانكليزية من اخمادها بعد حوالي ستة أشهر ، الا ان ثوار الرميثة والسماعة الذين أعلنوا الثورة

لم يستسلموا للانكليز ولم يلقوا السلاح الا بعد مفاوضات انتهت بعقد اتفاق بين الطرفين ينص على ست مواد ، أولها : (ان تكون للعراق حكومة عربية مستقلة) الذي ومع في ١٨ تشرين الثاني

عام ١٩٢٠^(٣) ، لكن الانكليز لم يفوا بوعودهم لان اعلان الحكومة المؤقتة في ٢٥ تشرين الثاني ١٩٢٠ برئاسة السيد عبد الرحمن النقيب واشراف (السير بيرسي كوكس) لم يؤد الى نتيجة مرضية

للعراقيين ولم يحقق مطالب الثوار سوى ما تبعه من تأسيس مملكة يرأسها الملك فيصل الاول ، وقد غير الشيخ علي الشرقي عن نهاية الثورة بقوله : (وبوسعي ان اقول ان الثورة لم تتجح في جميع

اهدافها ... لان شياطين الانكليز خدعوا العاملين واسسوا وضعاً وجهه وطني وياطنه اجنبي (١). وقد علل الشيخ الشرقي بعض الاخفاق الذي لحق بالثورة الى ان الشعب لم يكن كله قد اتخذ خطة واحدة ، فالذين لا يريدون الاحتلال والانتداب كانت اساليبهم مختلفة قبل الثورة في اسلوب مقاومة الاحتلال : (ففي بغداد والموصل كانت تشيع فكرة القيام بالمظاهرات والاجتماعات ضد المحتلين ... وفي النجف وكربلاء اتجاة يدعو الى العصيان المدني ، اما في الفرات فقد كانت الدعوة قوية الى اعلان الثورة المسلحة وضرب الانكليز بالبنانق ، اما رأي المنتفك والغراف فهو بين بين ، يريدون الأناة حتى يكمل الاستعداد) (٢). وقد عبر عن هذه الحال الشيخ محمد رضا الشبيبي بقوله : (واتضح لهذا الشعب أن هناك خطة استعمارية اعتبرت الثورة العراقية الكبرى جريمة منكرة ، وحركة مضادة لمظاهر التقدم والحضارة) (٣).

أولاً - الشعر والثورة :

اهم ما يلفت نظر الباحث في الشعراء الذين اشتركوا في ثورة العشرين ، ومشوا معها ، أو حضروا الناس على الاشتراك فيها ، أو الاشادة بابطالها ومواقفها ، أنهم ليسوا كل الشعراء الذين انتظمتمهم مرحلة ما قبل الثورة ، الذين ناهضوا السيطرة العثمانية ، ووقفوا ضدها ، والذين شاركوا في الترحيب باعلان الدستور سنة ١٩٠٨ ، وممن دعوا الى الحرية والاستقلال والعدالة ، أو اولئك الذين كانت لهم أصوات مدوية في مرحلة ما قبل ثورة العشرين إذ لم تسمع اصواتهم خلال الثورة ، ولعل للاستعداد العثماني الثقيل الطويل أثراً في إلهاب الحماس عند توفر الظروف الملائمة ، فقاموا ضده وحرضوا عليه ، اما الاحتلال الانكليزي ، فقد اطلق في بدايته وعوداً خلافة لاستمالة السكان واظهار انفسهم بمظهر المنقذين وما مقولة قائد الاحتلال الجنرال مود ببعيدة عن اذهان العراقيين حتى اليوم (جئنا محررين لافاتحين) ، فخدع قسم من الناس بتلك الوعود . ولعل العامل الأهم ان اكثر (الشعراء الكبار) كانوا بعيدين عن مواطن الثورة قبل الثورة واثناها ، ممن كان يتنقل بين الحجاز وسوريا وفلسطين ومصر .

فمن الكبار : (الرصافي) الذي كان في القدس اثناء الثورة ، وبقي فيها سنة ونصف ، لذلك لم تكن له مشاركة في الثورة على الرغم من بغضه للاستعمار . و (الكاظمي) (كان في القاهرة)

اما الشاعر (محمد رضا الشبيبي) ، فقد كان موفداً من العراقيين في أواخر رمضان سنة ١٩١٩ الى الشريف حسين ملك الحجاز في مهمة قومية معروفة ، وقد استقر به المطاف في دمشق أيام الثورة ثم غادرها عائداً الى العراق أواخر تشرين الاول سنة ١٩٢٠ (٤) ، وقد كانت الثورة في نهايتها ، ولعله اكتفى بمهمته الوطنية عن ممارسة النظم في الثورة وأحداثها ، سوى خطرات قليلة (٥) أما الشيخ (علي الشرقي) الذي كان في العراق حين

قامت الثورة ، فكان يرى ان الثوار تسرعوا في الاصطدام بالانكليز وانه كان يجب ان تتم الاستعدادات الكاملة حتى تتجبع ، فلم يكن راضياً عن قيامها في هذا الوقت ، انما بعد استعداد مناسب لها ، فلذا (انتحى شطرة المنتفك آنذاك ، فلم يشارك في عمل أدبي يدل على انفعاله بالثورة مع انه قد أرسل الى الغراف ليحرض لها) (٦) .. أما أبرز شعراء العراق في هذه المرحلة (جميل صدقي الزهاوي) فقد كان ممن استقبلوا الاحتلال بروح التسامح ، بعد ان كان خلال الحرب الاولى مع الاتراك ، أما في عهد الاحتلال ، فقد كان شاعر المناسبات والحفلات التي كانت تقام في بغداد ، وكان متجاوياً مع التيار الجديد ، ولم يبد منه ما يدل على مناورته أو تدمره من الاحتلال أو حتى السكوت على الأقل بل شارك في المناسبات الأدبية والصحفية التي أرادها جيش الاحتلال فكان من أبرز من كان يكتب ، وينشر الشعر في (جريدة العرب) لسان حال الاحتلال في بغداد . وعندما قامت ثورة العشرين لم يشترك فيها لتصوره أنها غير مجدية وان عاقبتها وخيمة ، وقد صرح بهذا حين قال : (وحدثت ثورة ١٩٢٠ فلم اشترك فيها لعلمي بوخامة عاقبتها) (٧) لكنه قال : انه قد طالب باستقلال العراق امام المندوب السامي - ولسن (٨) ، ولعله كان يظن ان الانكليز في المستعمرات مثلهم في لندن يحترمون الحريات ويقدرون كرامة الانسان ولكن ظنه ذاك قد خاب ، وأخطأ في ظنه ، وبقي بين سلبية تلوم وتؤنب الثوار ، وبين ايجابية تبكي شهداء الثورة بعد ذلك ، ولكنه بعد أن عرف حقيقة الانكليز وخداعهم ، ندم على موقفه ، وصار يذكر عزة أيام الاتراك ومكانته لديهم ، وليس بخاف على كل الناس بيتة المشهور .

ابن عزي في دولة الاتراك

انا بك عليك انا بساكي
على اننا نذكر ان معظم شعراء العراق كانوا خلال الحرب الاولى مع الدولة العثمانية ، حتى اذا ما احتل الانكليز بغداد ، وانشئت الصحافة الانكليزية بلغة عربية ، ومن أبرزها صحيفتا (العرب ، ودار السلام) انضم فريق من الشعراء الى تلك الصحافة المشبوهة ، ومنهم الشاعر الزهاوي ، وصاروا يمالئون الانكليز باسماء مستعارة أول الامر ، فاذا ما اختفى الامل بعودة الاتراك رفعوا الاقنعة عن وجوههم ، وصارت اسماؤهم الصريحة تظهر على وجوه الصحف ...

هذا ما كان من موقف بعض (الشعراء الكبار) من الثورة ، اما غيرهم ، فقد كانت لهم وقفات كثيرة وشعر كثير قبل الثورة والتحريض عليها ، وخلالها في اسنادها ، وبعدها في الفخر ببطلانها وبكاء شهدائها والدعوة لتجديدها .

وقد يكون من المفيد ان نجعل مواكبة الشعر لثورة العشرين في ثلاثة محاور :

الاول : الشعر الممهد للثورة .

الثاني - الشعر في ركاب الثورة .

الثالث - الشعر في اعقاب الثورة .

الشعر الممهّد للثورة : - وهو كثير ، وطبيعي ان الشعراء لم يكن يستطيعون ان يستبقوا الاحداث أو يتنبأوا بحوادث المستقبل ومجرياتة ، الا ان احساسهم بوجود محتل اجنبي غريب جديد على ارض الوطن كان يثقل عليهم ، فعبروا عن مقاومتهم له ، بزم الاحتلال والمطالبة بالاستقلال ، والدعوة لاجراج المحتلين ، او المتمثل في الشعر القومي في رثاء المدن العربية التي تتعرض للاحتلال مثلما تعرضت بغداد للاحتلال على يد الانكليز ، ودمشق للاحتلال على يد الفرنسيين ، ولعل من أبرز قصائد هذا الاتجاه قصيدة الشاعر (محمد رضا الشبيبي) التي بعنوان (دمشق وبغداد التي نظمها بعد احتلال الفرنسيين لدمشق ، ومنها قوله :

ماذا بنا وبذي الديار يراؤ
فقدت دمشق وقبلها بغداد
بردى واودية الفرات ودجلة
والنيل غص بمائك الوزاد
حل العلوج من الاحامر بيننا
وتعذر الاصدار والايراد
اعياؤ هذا الشرق صرن ماتما
لكنها لعدائنا اعياد
وعدوكم الاصلاح فلتتوقعوا
برقاً جوانب وعده ايمان
حسب الطغاة الظالمين تريض
بالمسلمين وحيلة وكياد
ان الزعامة سلّمت لزعانف
في الشرق قادوا اهله فانقادوا^(١٢)
وينظم الشاعر (حسين كمال الدين) قصيدة حافلة بالدعوة لمقاومة الانكليز ، وقد أشار فيها الى بعض من يدعي انهم من رجال الدين ، واتهموا بممالة الانكليز الذين كانوا يتربصون على سراي الحكومة ويتسلمون منهم الرواتب او المكافآت ممن سقوا به (علماء الحفيظ) اي (الاوفيز - الدوائر الحكومية) . منها قوله :

ايبقى العراق بلا منجد
عديم النصير بلا ناشل
محال على يعرب أن تنام
على الضيم من دونما كافل
تعال معي فيبذل الدماء
نعض على حقنا العادل
وكيف تنال المنى ساسة
هم عنه في شغل شاغل
ايخدعنا علماء (الحفيظ)
ونأبى على العالم العامل
اولئك هم علماء السدخيل
تفانوا على طمع زائل^(١٣)

اما الشاعر (محمد حبيب العبيدي) فقد اظهر حنقه على الانكليز حين اعلنوا وصايتهم على العراق ، بقصيدة طويلة ، منها :

اضرموا النار ياسراة العراق
واغسلوا العسار بالدم المهرق
ان ضيماً حملتموه عظيم
كاحتمال الاطواق في الاعناق
يارجال العراق لستم أسارى
لتمدوا اكتافكم للوثاق
يارجال العراق لستم يتامى
لتؤدوا (وصايسة) في العراق^(١٤)

لقد رفض العراقيون الاحتلال الانكليزي باديء ذي بدء ، ورأوا الآ فرق بين الاحتلالين الانكليزي الجديد والتركي السابق ، فالاستعمار هو الاستعمار ، سواء اكان تركيا او انكليزيا او غيرهما ، يجيء لامتصاص دم الشعوب ونهب خيراتها وقد غذى في النفوس روح النقمة على المحتلين امتهاهم لكرامة الشعب ، وحكمه حكماً عسكرياً متعسفاً ، واثقاله بالغرارات والمطاردات والمنافي والسجون ولكنهم نسوا ان هذه الاعمال الاستفزازية ستثير في نفوس الشعب الحقد والكراهية عليهم ، ومعروف ان الشعب العراقي شعب يعتز بكرامته وفرديته كثيراً ، وقلمنا انصاع الى حاكم او سلطان جائر ، لذلك بدأت التهيئة للثورة اول الامر على شكل همسات او الشكوى ، ولكن هذه الهمسات والشكوى تحولت الى خطب في المساجد والاجتماعات في المناسبات الدينية والوطنية ، ثم خرجت حركة التمرد من طور الفكرة والخطبة الى حيز التنفيذ ، وقد كان محور الحركة أول الامر في بغداد ثم امتدت الى مدن العراق الاخرى ، حيث اجتمع الوطنيون وقرروا القيام بمظاهرات سلمية لاثارة الرأي العام ، وصارت تعقد في محلات بغداد ، او تنقل من محلة الى اخرى ، وفي احدى المناسبات خطب الشاعر (عيسى عبد القادر) خطبة في جامع الحيدرخانة اتبعها بقصيدة دعا فيها الى تضامن العراقيين ، ولم الشمل ، وهاجم فيها الانكليز صراحة . منها قوله :

بني النهريين نسل الطيينا
ايقوا واسمعوا الحق اليقينا
تفرقنا صوائف واختلفنا
فاصبحنا جميعاً صاغرينا
فجاروا واستبدوا ما استطاعوا
وذا شأن البغاة الظالمينا^(١٥)

ولكن السلطات العسكرية عمدت الى اعتقال الشاعر ونفيه الى البصرة ، فما كان من الوطنيين الا اغتنام هذه الفرصة ، فاجتمعوا وقاموا بمظاهرات كبيرة احتجاجاً على هذا الاعتقال^(١٦) .

ويتابعه الشاعر (ناجي القشطيني) ، الذي يسخر من وعود المحتلين الكاذبة ويدعو الى عدم تصديقها ، واسترداد

الحقوق بالقوة :

يسلمنا ايها المسيري قم
واقعدح زنادك ينقعدح
واقسج طريقك بالظبا
فيفيرزها لا ينصنع
وخسد الحقوق جميعها
او مئت عزيزاً واسترح
قد غزك البرق اللمو
غ فبات صدرك منشرح
وفرحت من كسل السوعو
د ، وخاب فيها من فسر
قد خسان عهدك هازئاً
لمسنا بتجبرته ريج^(١٧)

وحين انتفضت بغداد في تظاهرة ضد الاحتلال في ٢٥ أيار ١٩٢٠ واطلق المحتلون الرصاص على المتظاهرين كتب الشاعر (محمد مهدي البصير) الذي انتقل من مدينته الحلة الى بغداد ليشترك في هذه المناسبات - متحمساً أكثر - فانه نظم قصائد كثيرة يحرض فيها للثورة وقد امتازت تلك القصائد بحماسة أسلوبها ومثانة تعبيرها ورصانة الفاظها والتي كانت مدعاة لاعتقاله وسجنه ومن ثم نفيه الى جزيرة (هنجام) في المحيط الهندي مع ثلة من المناضلين ، ففي تلك الانتفاضة ينظم البصير قصيدة يحفز فيها المواطنين على رفض الاحتلال :

غضبنا فقمنا شائرين لغضبة
تهون المنافي دونها والمشتاق
وردت الاجواء قصف زئببرنا
فردت عليه بالسدي البنادق
فهل تنطق الزوراء وهي اسيرة
وتسكت عما تبغيه المناطق^(١٨)

وفي قصيدة أخرى للبصير يرتفع لديه فيها نبض الحماسة والدعوة الى نزع قيود الاحتلال بايدي الناس ، ولا يأخذون الاستقلال منة من المحتلين - فيقول :

ليحطم المستعبدون قيودهم
فالجور أيسهم من الاعتاق
واشق من أسيري علي بان أرى
يد أسيري يوماً تحل وثاقي
هب ان رحمة أسيري ستفكني
او لست احصل منة الاطلاق
ولسوف اكسر غل عنقي في يدي
كي لا اسلمها الى الاطواق
ان لم تعش نفسي العزيزة حرة
فلأسعين بها الى الازهاق^(١٩)

لتن القصيدة الأقوى دويًا والاعلى رنيدًا للبصير تلك التي نظمها والقاهها في حفلة اقيمت بجامعة الحيدر خانة ببغداد قبيل اعلان الثورة ، وكان لهذه القصيدة الأثر الكبير في تحريك الجماهير واشعال غضبها لما كان فيها من قوة سبك وحسن تصوير وشدة عاطفة وجمال معانٍ ، والتي مايزال الناس يترنمون فيها حتى الآن .. والتي منها قوله :

ان ضاق ياوطني علي فضاكا
فلتسع بي للامام خطاكا
بك همت بل بالموت دونك في الوغي
روحي فداك متى اكون فداكا
ومتى بحبك للمشائق ارتقي
كي ترتقي بعدي عروش علاكا

هب لي بربك مودة تختارها
ياموطني او لست من ابناكا
كم اورثك يد السياسة علّة
فاشرب دمي فلعل فيه شفاكا

ويروقني ان الجراح تضاحكت
في جسمي الدامي وان ابكاكا
ماذا علي وما خسرت مكانة
اني اموت لكي اصون حماكا
كذبتك اقطاب السياسة عهدها
فلتضمن لك الحياة ظباكا

افيطلبون لك الرعاية ضلة
ماكان اقصرهم وما احجاكا
ويؤملون لك المعونة باكلها
ماكان افقرهم وما اغناكا
لسو انصفوك لحروك لانهم
ريحوا قضيتهم بظل لسواكا^(٢٠)

والقصيدة طويلة كلها على هذا النفس العالي والاسلوب المسبوك والصور الممتعة ..

ومن هذا الرهط المناضل من الشعراء ، الشاعر (محمد حبيب المبيدي) ، الذي يزخر ديوانه بالكثير من الشعر الممتع في هذا المجال^(٢١) ، والشاعر محمد الباقر^(٢٢) ، والشاعر عبد الكريم العلاف^(٢٣) ، والشاعر ابو المحاسن الكريلاني^(٢٤) ، وسعد صالح^(٢٥) ومنير افندي خطيب^(٢٦) جامع ابي حنيفة ببغداد ، وغيرهم ..

ثانياً - (الشعر في ركاب الثورة) :
حين استنفذ الحاكم العسكري الانكليزي لمنطقة الديوانية شيخ عشيرة الظوالم شعلان ابو الجون وامر بسجنه ، كان مرسل

خلال التصدي لهم ، وما اوقعه الثوار فيهم من قتلى وجرحى
واسرى وهاربين :

لنحسرنُ بلادننا
بشبا المهندة القواضب
ولنهزمن جوشهم
وابيك ان الحق غالب
انا تجنبنا الشقا
ق ، فكيف يحكمنا الاجانب^(٢٧)

اننا نسمع في هذه الابيات صوت البصير العالي والمتدفق ،
الذي لا يريد ان يقف او يتمهل ، ويدل على ذلك كثرة الابيات
المدورة موسيقياً فيها ، بحيث لا يسمح لنفسه ان يستريح .
وقد ذكر الاستاذ ابراهيم الوائلي ان البصير كان يرى ان
تختم الثورة بصلح شريف بين الثوار وجيوش الاحتلال ، بعد ان
رأى تقهقر الثوار وكثرة خسائرهم^(٢٨) وعلى ان فكرة السلام لا بأس
بها ، لكن الصلح يكون بين دولتين او بين قوتين متقاربتين ، لا بين
جيش مدجج بالسلاح الحديث ، وشعب اعزل الامن سلاح بدائي .
ان الصلح بهذا المعنى يعني الاستسلام ، ولكن الثورة انتهت
بخضوع الانكليز للثوار في العشرين من تشرين الثاني ١٩٢٠
وموافقتهم على مطالب الثوار التي نصت على الاعتراف
 باستقلال العراق بحكومة دستورية تحت اشراف احد انجال
الشريف حسين ، ولو ان الانكليز حاولوا بعد ذلك ان يتنصلوا عن
اتفاقهم هذا ، ولكنهم اجبروا على انجاز الاستقلال الشكلي وقيام
حكومة اهلية ترتبط بالانكليز بمعاهدات ذات مصالح .

ويشارك الشاعر الذجفي (كاظم السوداني) في
استنهاض الهمم وعدم الركون الى الضيم مخاطباً العراقيين
باسلوب خطابي ذي طابع قومي ، وقال :

بني العرب خلّوا السلم قد جاشت الحرب
وانتم بها اولى واجدز يا عرب
ادعوا الضيم عنكم واطلبوا بحقوقكم
فقد غصبت قسراً وضيعها الغضب
الى الان جيش الظلم وسط بلادكم
وما انتاش في اثقاله النهب والسلب
بني الغرب نهضاً ليس يجدي احتجاجكم
لقد جلت الجلي وقد عظم الخطب
الا انتبهوا من غدره وخداعه
سياسته ظلم ومصادقها الكذب^(٢٩)

ويخاطب الشاعر الموصلي محمد حبيب العبيدي أهالي
الموصل ويحفزهم ان يثوروا مثلما ثارت بغداد والمدن العراقية
ال اخرى في قصيدة حماسية طويلة ، منها قوله :
يا رجال الموصل الحديباء من
كل شهم نخذ المجد شعارا

الغضب على المحتلين على اشده في العراق ولاسيما في مناطق
الفرات فكان ذلك الاستفزاز الشرارة الاولى في قذيفة الثورة ، فهب
الشعب فيها بين مقاتل بالسيف ومتبرع بالمال ومحرض وشاعر
ينشد للثورة وهو يمشي في ركابها ، وقد تتسارع الاحداث ، فيضطر
الشعراء الى استبدال القصيدة بالخطبة ، والرجز بالمقالة ، وقد
كان (الشاعر مهدي البصير) من ألمع شعراء الثورة الذي وقف
الى جانبها من أول يوم سمع بانفجارها ، فنظم الكثير من الشعر
وهو في بغداد في تأييد الثورة ، والتحريض على الالتحاق بها او
التبرع لها ، او اسناد ثوارها . ولاشك في اننا لا نستطيع في هذا
البحث ان نلم بكل الشعر الذي قيل في ركب الثورة ولايكل شعر
البصير في هذه الساحة ، انما نقتطف منه مايدل على ما اداه هذا
الشاعر المجاهد من واجب وطني وقومي تجاه امته ، وتمتاز اكثر
قصائده بالعاطفة المشبوبة ، والنفحة الحادة ، والاوزان الخفيفة
السريعة .. فهذه قصيدة طويلة من مجزوء الكامل المرفل ببارك
فيها الشاعر قيام الثورة ، ويحرض للالتحاق بها ، واخراج
المحتلين من البلاد بالقوة ان لم ينفع التفاهم :

بين الاسنة والقواضب
شرف الميسادي والعواقب
ابغ السلام فان تخب
فيما قصدت له فحارب
فاض الفرار جفافاً
وجرى ديمالي بالمقائب
اهلاً بخافقة البنو
د ، تظل زاحفة المواكب
اهلاً بلامعة السيو
ف ، حماقها عند النواكب

وفيهما يشير الى دسائس المحتلين واتخاذ سياسة (فرق
تسد) ويحذر الشعب ان يقيموا في حبالهم :

ظنوا العسراق فريسة
وقد التقت فيها المخالب
فتسلحوا لرجالهم
بمكائد الخصم الموارب
وسقوا لشق صفوفه
مكراً فكسان السعي خائب
حتى اذا ماجش كالتيار
ر ، ملتطم القوارب
كانوا كناكصة الذئبا
ب ، يشلها لاسد المغاضب
فتراجعوا مهابين مق
تلول ، ومأسور وهارب
وهنا يشير الى كثرة الخسائر التي كان يمتنى بها المحتلون

تلك بغداد سعى ابنائها
فاصابوا دوننا اليوم فخارا
ونبي الله هذا شاهداً
ان من خان غدا يلقي بواراً^(٢٠)

ويبقى شعراء العراق يمدون الثوار بالحماس والعزائم
ويسيروا في ركاب الثورة، ويمشون مع المقاتلين، ويقفون معهم
في ساحاتهم وخنادقهم.. منهم الشاعر محمد علي اليعقوبي،
الذي نظم شعراً كثيراً في شذاز الثورة، وان ديوانه المطبوع ليؤكد
مواقفه تلك، منها قصيدته التي بعنوان (نحية الثوار) التي
خاطب فيها ثوار السماوة والرميثة حيث حمى الوطيس واشتد
اشتباك الثوار مع جيش الاحتلال. صاغها بأسلوب خطابي
تقريري هدفه الاستنهاض والتصدي:

احببتنا بساحات الكفاح
ثقوا بالنصر فيها والنجاح
نفرتم للوغي لما دعاكم
لهما الداعي بشوق وارتياح
ففرتم بالفخار بهما وأبث
اعبادكم بخزي وافترضاح
زأتم كالاسود وغداة رامث
ترؤعها الاعادي بالنجاح
كان منادي الهيجاء واغى
يناديكم بحي على الفلاح
كتبتكم بالدماء سطور مجد
نواصع، مالها في الدهر ما حي^(٢١)

وفي بداية الثورة اجتمع في كربلاء المجلس الحربي للثورة
في ١٨ ذي الحجة من عام ١٣٢٨ هـ / ١٩٢٠، وقرر تعيين
(السيد محسن ابو طيخ) متصرفاً فيها، رافضاً السلطة
الانكليزية المركزية في بغداد، ورفعوا العلم العربي بالوانه الاربعة
الزاهية فوق بناية المتصرفية. فاستبشر الناس وهتفوا لهذا
الحدث التاريخي العظيم^(٢٢)، والقى العديد من الشعراء القصائد
الحماسية بهذه المناسبة، التي مدت الثورة بالقوة الممنوبة،
ويشعرهم بوجود حكومة ثوار وطنية تمثلهم. منهم الشاعر (خليل
عزمي) . قال فيها:

بشراك ياكربلا قومي انظري الغلما
على ربوعك خفاقاً ومبتسماً.
وشاهدي كيف امسى القلب مبتهجاً
من الحماس ويهفو ان يريق دماً
شعب تفاني وراء الحق مبتغياً
نيل الكرامة جوار الغرب أو ظلماً
لله در بني قسومي الضياغم ما
اشدهم بوطيس الحرب حين حمى^(٢٣)

وتفقد الثورة وهي في عذفوانها رجلاً من ابرز رجالاتها، ذلك
هو (الشيخ محمد تقي الحائري) صاحب الزعامة الدينية الاولى
في زمن الثورة، وصاحب الفتوى الشهيرة بوجوب مقاومة الاجنبي
وعدم جواز خضوع المسلم لغير المسلم، الذي توفي في آب من
سنة ١٩٢٠ والثورة مشتتة، فكان لوفاته اثر حزين بالغ في
نفوس الثوار. لكن الشعراء اتخذوا من هذه الحادثة المفجعة
مناسبة لتحفيز الثوار والسير في طريق المقاومة الذي افتى به
الشيخ الحائري، ونادى له.. وقد اقيمت مأتم التابئين ومجالس
العزاء لفقدته في كربلاء والنجف والكاظمية وسامراء، وفي هذه
المجالس القى الشعراء شعراً في الثورة والاشادة بها.. منهم
الشاعر (ابو المحاسن الكريلائي) في قصيدة تناولت الثورة
ووجوب دعمها، ثم تبيان اثر الحائري في تأجيحها، وان يكون
التعبير عن الوفاء له والحزن عليه هو تنفيذ رغبته في كفاح
المحتلين ومطاردتهم وليس مجرد البكاء عليه:

ياغلة الاحشاء غناض المورد
ياألزمة الايام غاب المنجد
غمارتنا والخطب داج ليله
واليوم من صبح الحوادث اسود
فمن المدافع والاسنة شرع
والبيض تبرق والمدافع ترعد^(٢٤)
وكذا، لم تقتصر مرثية الشاعر محمد علي اليعقوبي التي
القاهها في مجلس التابئين في النجف على رثاء الحائري فقط،
انما وصف فيها بسالة الثوار. وذكر شماتة الاعداء الانكليز
بموته. قال فيها:

ريع الحمى وخلا العرين المسبغ
وهوى من الدين العماذ الارفع
وقع الذي كنا نحاذر وقفه
فلاني هول بعده نتوقع
ذهب الذي كل الاصابع فوقه
معقودة، وله تشير الاصبع
الآن والهجاء شب ضرامها
والى السماء شرارها يتدفع
اليوم، قد أمن العدو وطالما
من بطش كفك بات وهو مروع
ابدى الشماتة يوم نعيك، معلناً
فيها واظهر ما تجن الاضلع
اما عن الثوار. فانهم:

ثبتوا بمشترك النزال مع العدى
فكانها الاطواد لا تتضعضع
لم تحم طائفة العدو جيوشه
منهم ولا اسطوله والمدفع

ثم يخاطب الفقيد :

فعلت يراعتك القصيرة في العدى
ماليس تفعله الطوال الشرع
حررت شعباً للعدى مستعبداً
اضحى يذل لفاتحيه ويضرع
فالفء في ايدي الطفافة مقسم
والحكم مابين الطفام موزع
حتى اذا ما الجور عسعس ليله
لاحت به انوار رأيك تسطع^(٢٧)

ثالثاً : الشعر في اعقاب الثورة :

طبيعي ان الشعر سيستمر بعد ثورة العشرين ، فمنذ انتهاء
اعمالها الحربية في العشرين من تشرين الثاني ١٩٢٠ وهو اليوم
الذي وقع فيه الاتفاق بين الثوار والانكليز بالاعتراف باستقلال
العراق وانشاء حكومة محلية ، والى هذا اليوم مايزال الشعر يتذكر
ثورة العشرين واحداثها بين أسف عليها ، وفخر بها ، واستلها
لها . ولاشك في اننا لا نحتاج في هذا البحث الى تتبع كل هذا
الشعر ، انما تجتزي منه مايمكن مما نظم في اعقاب الثورة
مباشرة او بعدها بسنوات مما كانت مازال سيرتها حية وريحتها
عطرة ، ودماؤها ندية ..

المعلوم ان المندوب السامي الانكليزي (برسي كوكس)
كان قد انشا حكومة مؤقتة في ٢٥ تشرين الثاني ١٩٢٠
باشرافه ويرئاسة السيد عبد الرحمن النقيب ، واستندت الوظائف
الى من جارى الانكليز خلال الثورة ، ثم جاء فيصل الاول فتوج
ملكاً على العراق في آب من عام ١٩٢١ ، بعدها بعثر زعماء
الثورة ووزعهم بين المنافي والسجون ، وخابت الامل في تحقيق
الكثير مما كان ينتظره الشعب العراقي ، ومن ثم فقد كان الشعر
يراقب ويستوعب الاحداث ، والمرارة تملأ افواههم ، فصار ييكي
المنفيين ويندب المسجونين ، ويرحب بالعائدين ، ويرثي الشهداء
وييكي ضياع الاحلام ، ويتذكر مواقف المدن والقرى والارياف التي
جاهدت او دُمّرت او تعرض اهلها للسوء ..
فالشاعر ابو المحاسن نظم قصيدة بعد خروجه من سجنه
يذكر فيها خيبة الثوار واسناد الحكم الى اصدقاء الانكليز
واعوانهم . قال فيها :

ثورة اصبح من آثارها

حظوة الخائن والمفتتن

معشر في نغم قد اصحبوا

من مساعي معشر في محن^(٢٨)

وكان الشاعر مهدي البصير في طبيعة من شعر بخيبة الامل
والشعور بالكآبة بعد جهد وتضحيات ثمينة . فنظم شعراً استوحاه
من النهاية المحزنة للثورة :

كافحت اعدائي ولسث بسواقي

ان النجاح مقدر لكفاحي

لكنما وطني دعا فاجبته
وابيت للباغين خفض جناحي
ولئن رجعت بغير ما املته
ونزعت من يد قاهري سلاحي
فلقد افدت من المصائب خبرة
ستكون عند العود سز نجاحي^(٢٩)
كما سجل في أبيات اخرى انتهازية بعض الناس ممن
استهوتهم المناصب : قالوا :

فلان قد تقلد منصباً
هو منه في عز وفي سلطان
فاجبتهم كم كنت منتظراً لما
تستفرون من انقلاب فلان
لابيض وجه متاجر ببلاده
كلف يحب الأصفر الرنان^(٣٠)
ويصف سعد صالح الخراب الذي لحق القرى والمدن
المكافحة :-

سُميت العيش في وطن
يُضام يذل يضطهد
محتة يد القضاء فرا
ح لا روح ولا جسد
ريوع غير سرح الوحش^(٣١)
لا يباوى لها احد

وإذا كان الشاعر الزهاوي قد اصطف اول الامر مع الانكليز
لاسباب لم تعد خافية الا انه بعد ان خاب فيما امله منهم ، فعاد
يذرف الدموع على شهداء الثورة ويبيدي العواطف الحارة لمن
اشترك فيها ، فقد هزته لحظات التأمل في مصير الأمة والشعب
والمواطنين بعد ان اطلع على المآسي التي انزلها الانكليز بالبلاد
وبالثوار ، وبمدنهم وقراهم او كانه اراد ان يكفر عن مواقفه الاولى
بعد أن لاكته الالسن بما لايجب .. لذلك صار يركز في هذه المرحلة
في شعره على اهم منطقة دارت فيها معارك الثورة وهي منطقة
(الرميّة) التي استبسل فيها الثوار (وايماء استبسال وضحا
فيها اعظم التضحيات ، فنظم قصيدة متميزة لم ييك الثوار بها
وخسائرهم انما تناول بطولاتهم وبسالتهم ومجدهم واثنى على
كفاحهم في قصيدة رائعة قل نظيرها بين قصائد رثاء الثورة
والثوار :

قال :

ماذا بضاحية الرميّة من غطافة ججاج
ولمن اقيمت في البيـــــــو
ت على كرامتها المناوح
ولايسّة نــــدبت من اللي
ل الحمسامات الصواح

قــوْمٌ الى دار البــوا
ر مشوا فمن غــاد ورائــح
طلبوا مساواة الحقــو
ق فطوحت بهم الطوائــح
فزكت دماء قــد اريــح
قت فوق حصاتيــك الاباطــح
قتلى الــدفعاع عليهم
ناحت من الحزن النوائــح
فهي المراثي اليوم تنشد فيهم عوض المدايح
ولقد اصاب القوم ما
ابكى العيون من الفسواح
اذ هاجموا يوم الوغى
غلب المدافع بالصفائح
من فتية خاضوا عجا
جتها على الشقر السوابح
وممـرضين وجـوههم
بيضا لنيران لوافح

ومطـوحن بنفــسهم
خوف المذلــة في المطاوح
ترك العدى فيتــانهم
صرعى على طول المسارح
اقلسوك من عيــد به
كثرت من الغــرب الذبايح
اذ بــاد حي كامــل
عن عــز بيضته يكافح
لهفي على الغــر الشبــا
ب مجندين على الصالح
ولقد تغــور جــروحهم
بين الترائب والجــوانح
انظر الى تــلك الوجــو

٥ ، فما تغيرت الملامح (١)
وبعد فهذه جولة سريعة ومقالة مقتضبة في حدث كبير ، قلنا
فيهما مايناسب ومايتسع له مقال او بحث في مجلة ، وقد حرصت
على ان أسهم في ملف (المورد) عن ثورة العشرين العظمى .

هوامش

- ١ - ماضي النجف وحاضرها - جعفر محبوبة - ط١ صيدا ١٣٥٢ هـ
- ٢ - العراق - دراسة في تطوره السياسي - ايرلاند - ترجمة جعفر خياط ص ٢٠٤
- ٣ - ثورة العشرين في الشعر العراقي - ابراهيم الوائلي - مط الايمان - بغداد ١٩٦٨ ص ١١
- ٤ - الاحلام - علي الشرقي - ص ١٣٣ - بغداد ١٩٦٣
- ٥ - الاحلام / ١٠٧
- ٦ - جريدة الايام - العدد ١٢٤ في ١٠ ايلول ١٩٦٢
- ٧ - رحلتي في بادية السماوة - محمد رضا الشيبلي - ص ٥٠ / ط بغداد -
- ٨ - انظر - مثلاً - ديوان الشبيبي - ص ٤٢ ، ٦٨ مط لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة ١٩٤٠
- ٩ - الاحلام ٩٩
- ١٠ - مقدمة رباعيات الزهاوي / ص ٤ مط القاموس - بيروت ١٩٢٤
- ١١ - مجلة الكاتب المصري - رسائل الزهاوي - مجلد ٤ العدد / ١٥ - القاهرة ١٩٤٦
- ١٢ - ديوان الشبيبي ٢٣ - ٢٨
- ١٣ - ثورة العشرين في الشعر العراقي ٣٤ - ٣٥
- ١٤ - ذكرى حبيب (ديوان السيد محمد حبيب العبيدي) ص ١٠٥ - ١٠٦ مط الجمهورية - الموصل ١٩٦٦
- ١٥ - الشعر العراقي الحديث - د. يوسف عز الدين - القاهرة ١٩٦٥ ص ١٤٢
- ١٦ - في غيرة النضال - سليمان نياضي / ٤٧
- ١٧ - مجلة الاخلاق - العدد / ١٦ سنة ١٩٢٨
- ١٨ - البركان - ديوان محمد مهدي البصير - ص ٤٥ مط المعارف - بغداد
- ١٩ - البركان ٤٦ - ٥٠
- ٢٠ - البركان ٥١ - ٥٤ وانظر القصيدة ايضاً - في : الادب العصري - روفائيل
- بطي ٩٧/٢ القاهرة ١٩٢٢ ، والوقائع الحقيقية في الثورة العراقية - علي البارزكان - ص ٩٦ بغداد ١٩٥٤ .
- ٢١ - ديوانه (ذكرى حبيب) ، ولاسيما موشحته الوطنية الطويلة في هذا الموضوع ص ٢١٠ - ٢١٣
- ٢٢ - انظر قصيدته (ياشعب كيف) في ماضي النجف وحاضرها ٢٥٩/١
- ٢٣ - ثورة العشرين في الشعر العراقي / ٦٣
- ٢٤ - انظر ديوانه ص ١٧٧ - ١٧٨ - مط الباقر - النجف ١٣٨٣ هـ
- ٢٥ - انظر قصيدته (وقفت بطامس آثارها) في / ثورة العشرين في الشعر العراقي ص ٤٣
- ٢٦ - انظر قصيدته (جزد الحزم) - في : ثورة العشرين في الشعر العراقي / ٥٦
- ٢٧ - البركان ٥٨ - ٦٠ - ٢٨ - ثورة العشرين في الشعر العراقي / ٧٢
- ٢٩ - انظر القصيدة كاملة في : جريدة الاستقلال (النجفية) العدد ٧ تشرين الاول ١٩٢٠
- ٣٠ - ديوانه (ذكرى حبيب) ٦٥ - ٦٦
- ٣١ - ديوان اليعقوبي ١٦٤ / ١ - ١٦٥ - مط النعمان - النجف ١٩٥٧
- ٣٢ - الحقائق الناصعة في الثورة العراقية - فريق ال مزهر ال فرعون ص ٢٧٧ مط النجاح - بغداد ١٩٥٢
- ٣٣ - الحقائق الناصعة / ٢٧٨ - ٢٧٩
- ٣٤ - ديوان ابن المحاسن الكرملاني - / ص ٤٠ النجف ١٣٨٣ هـ
- ٣٥ - ديوان اليعقوبي / ١٩٣ - ١٩٥ - ٢٨ -
- ٣٦ - ديوان ابي المحاسن / ٥١
- ٣٧ - البركان ٧٢ / ٢٨ - البركان / ١١٩
- ٣٩ - سعد صالح - محمد علي كمال الدين / ١٣٦ ، ١٤٠ مط المعارف - بغداد ١٩٤٩
- ٤٠ - ديوان الزهاوي / ١٧٦ - ١٧٧ المط العربية - القاهرة ١٩٢٤

ليجن

القائد العام للصراع

تأليف

هـ . ف . ف . ونستن

دور ليجن في حرب العراق ومصرعه

عرض وترجمة

كاظم سعد الدين



تقايم :

لم تكن ثورة العشرين بنت يوسها ولا وليدة أحداث طارئة مرت بالوطن العربي والعراق . فقد كان للبريطانيين خبرة في تاجيج الصراع بين القبائل المتجاورة في الجزيرة العربية وأطرافها وقبائل اخرى في العراق . وليس هذا غريباً على سياستهم فقد مارسوا ذلك في الهند وفي افريقيا واميركا وغيرها من المستعمرات بارسال مبعوثين سرين الى كل طرف .

درس البريطانيون طبيعة البلاد العربية ، ومنها العراق وتاريخها وثرواتها ، وسر قوتها ، وضعفها ، وطبيعة الحكم العثماني وولاتهم ، وفتحوا ملفات للعشائر ورؤسائهم ، وللشخصيات الاخرى ، واحصوا ما يمتلكون من اموال وسلاح وأنفس طوال اكثر من مائة عام ، وصاروا يجددونها ، ويضيفون اليها كلما اقتضت الضرورة الفياض بذلك .

لم تكن في بلاد ما بين النهرين حكومة عربية طوال اربعة قرون من الحكم العثماني ولم يكن في الادارة حاكم عربي واحد ولا سيما في بغداد ، الا ما ندر ، ومنعت اللغة العربية في دواوين الحكومة . وخربت البلاد عمرانياً ، وزراعياً ، واندثرت مشاريع الري العريقة ، وتدهورت الثقافة وعمت الامية وتناقصت نفوس العراق من ثلاثين مليوناً الى ما لا يزيد عن مليونين نسمة عند اندلاع الحرب العالمية الاولى . ولم يكن الجيش العثماني الا جيش قمع وتنكيل وابادة ، ولم تكن الادارة العثمانية الا ادارة جباية ضرائب ، ومع ذلك فان القبائل العربية والمدن العراقية وقفت مع الجيش العثماني لا حباً فيه وإنما دفاعاً عن الدين والارض ولكن الجيش العثماني سرعان ما انهار وهرب في اغلب الجبهات ولم يصمد الا في الاماكن التي كان ابناء المدن والقبائل العربية سنداً يستسجلون في دفاعهم ، في الشعبية ، الكوت ، النجف ، الشرقاط وغيرها من مدن العراق .

دخل الجيش البريطاني البصرة من جهة منطقة الكويت غازياً مستعمرأ ، ولم يكن في العراق كما ذكرنا للعرب جيش ولا ادارة ولا مشاركة فيهما ، فهبوا وتكونت الجمعيات الثورية المسلحة من شمالي البلاد الى جنوبيها باسلحة بسيطة وقليلة وشجاعة عظيمة .

والرميثة ، والحلة ، والرمادي ، وعانة ، والبوكمال حتى دير الزور . وحصل ما حصل ، كما سترى ، حتى قتل على ايدي ابطال عراقيين شجعان هم قدوة لابناء العراق اليوم في تصديهم لكل مستعمر طامع .

إن ما نقدمه في هذا العرض الموجز عن حياة ليچمن ودوره التأمري في تهيئة سبل احتلال بريطانيا للعراق ، وايجاد الفرص المناسبة لذلك . يكشف بما لايقبل الشك حقيقة البريطانيين العدوانية في محاولة زرع الفتنة والشقاق بين ابناء الوطن الواحد تمهيداً لإحكام سيطرتهم المقيتة عليه .. وليكون هذا العرض عوناً للدارسين والباحثين الذين يتصدون لدراسة هذه الحقبة من تاريخ العراق الحديث .

وقد افدت في ايضاح بعض ما غمض بالرجوع الى كتب السادة محمد علي كمال الدين « الثورة العراقية الكبرى لسنة ١٩٢٠ » وكتاب السيد عبد الحميد العلوجي وعزيز جاسم الحجيبة « الشيخ ضاري » والسيد عبد الجبار العمر « مصرع الكولونيل لجهان » ولا سيما ما في الكتابين الاخيرين عن مقابلة ولدي الشيخ ضاري : سليمان وخميس بصدد مصرع ليچمن .

ليچمن وتحركاته ودوره في حرب العراق

ولد جيرارد ايفلن ليچمن في ٢٧ تموز سنة ١٨٨٠ وتخرج في الكلية العسكرية في سنة ١٩٠٠ ، وارسل الى كيب تاون في جنوبي افريقيا للدفاع عن حدود الامبراطورية البريطانية الاستعمارية ولا سيما عن الاطماع الروسية ، واشترك في حرب

ولم تكن ثمة قيادة سياسية وعسكرية مركزية موحدة . وبرغم ذلك قاوموا الجيش البريطاني وعساكره من الهند وغيرها واسلحته المتطورة في حينها ، وقيامهم باستمالة بعض ذوي النفوس الضعيفة بالمحاربة الى جانبهم او الركون وعدم محاربتهم او مساندة الثوار . فاحبطت الثورة في اماكن متعددة على الرغم مما قام به الثوار من قتل قادة عسكريين بريطانيين امثال : كاولي cowley قائد الباخرة في حصار الكوت وميچل Mitchell وثورن Thorne والكابتن مارشال Marshal في النجف وبيرسن Pearson وويلي Willey وماكدونالد Macdonald في كردستان وبل Bill في الموصل ، وستة ضباط في البوكمال واربعة ضباط في تلعفر وغيرهم ، وتوجوا مآثرهم بقتل ليچمن Leachman في خان النقطة قرب ابو غريب في ١٢ آب ١٩٢٠ .

الف كاتب بريطاني اسمه هـ . فـ . ثـ . فـ . ونستن . H . V . F . Winstone كتاباً في سيرة ليچمن ، منذ ولادته حتى مصرعه واطلق عليه « ليچمن القائد العام للصحراء OC : Leachman Desert » وعرف الكتاب بأنه حياة الكولونيل جيرارد ليچمن (١٨٨٠ — ١٩٢٠) القائد البريطاني في حرب الصحراء . نشر الكتاب في ١٩٨٢ م . وهو احدث كتاب عن ليچمن ، تتبع فيه حركاته في اصقاع مختلفة من افريقيا والهند والتبت والجزيرة العربية والعراق وارمينيا وايران ، وما قام به لتعزيز حركة الجيش البريطاني لاحتلال العراق ، وتوطيد قواعده العسكرية في اماكن مختلفة . ويتبين من ذلك ان المنطقة التي استقر فيها لم تكن واضحة ولا منقطعة عن بعضها بعضاً ولا سيما الفرات من الجنوب حيث المنتفك ، والشامية ، والنجف ، وكرلاء ، والكوفة ،

البوير (١٨٩٩ - ١٩٠٢) التي نشبت بين البوير (المزارعين الهولنديين) والبريطانيين بعد اكتشاف مناجم الذهب والماس والنحاس واليورانيوم والمنغنيز وغيرها من المعادن النفيسة . كانت القوات البريطانية بقيادة روبرتس Roberts و لورد كچنر Lord kitcher . تدرب ليچمن في هذه الحرب التي خسرها البريطانيون في اول الامر ثم انقلب الوضع وغلب البريطانيون ، عندئذ صار البوير يشنون حرب عصابات ، دفعت كچنر الى ضربهم واعتقال النساء والاطفال ، وبناء سلسلة حواجز من المباني لفصل مناطق واسعة ، وراحت قواته تمشط المنطقة جزءاً جزءاً بحثاً عن الثوار ، فاجبروهم على الاستسلام وعقد معاهدة ٣١ أيار ١٩٠٢ .

افاد جيرارد ليچمن من تجربته في حرب البوير وطبق كثيراً من أساليبها في الحرب ضد العراق ، واثرت تلك الحرب في مجمل تصرفاته واخلاقه ، فقد اختلط الهدوء والعزلة بالنشاط ، ونوبات الانفجار في المزاج والصمت الطويل .

وتوسعت فيه القيادة صفات لم تجدها في غيره فكلفته بمهمات سرية ما تزال مجهولة لدى عائلته ، وحتى الاستخبارات البريطانية . ولم يدون شيئاً عن حركاته وتنقلاته فظلت طبي الكتمان .

نقل ليچمن الى البنغال واقسام اخرى من الهند ، واتصل بالماسونية وتعمق فيها . وفي ١٩٠٥ ارسل في رحلة تحرر الى التبت ثم عاد منها ، وارسل الى كشمير في ١٩٠٦ ، وفي ١٩٠٧ ذهب الى كراچي ، ومنها ذهب في اجازة الى بلاده فمر بجزيرة هرمز في الخليج العربي حيث سمع بالكابتن وليم هنري شكسبير W . H . Shake spear الذي سيكون له دور مهم في الجزيرة العربية .

ومن هرمز ذهب الى بوشير حيث الادارة البريطانية للخليج . وانتقل الى البصرة ، واتصل بعائلة لنچ Lynch ، اصحاب شركة البواخر النهرية بين البصرة وبغداد . وواصل رحلته الى الفلوجة ومنها الى عانة في طريقه الى حلب . وفي ١٩٠٧ وصل اسطنبول حيث علم بوجود نشاط دبلوماسي وعسكري للسعي الى التغلغل في البلاد العربية والقيام بتأسيس « مصادر » رسمية وسرية ، وعلم بوجود منافسة بين اميرين في وسط الجزيرة العربية للسيادة عليها ، وادعاء السلطان التركي السيادة عليهما . وعلم ايضاً بصراع الدول الاوربية على المنطقة العربية ، والتحركات السرية لبريطانيا ، وفرنسا ، وروسيا والنمسا وقيامهم باستكشاف المنطقة .

ماذا ستفعل بريطانيا في هذا الخضم المضطرب الشائك ! ارسلت شابين هما ليچمن وشكسبير . والتقى الاثنان في

اسطنبول بالملحق العسكري الكولونيل سرتيس Surtees وبعض الشخصيات الارستقراطية امثال الكابتن مارك سايكس Mark Sykes (شريك الفرنسي بيكو Gcorye Picot في تقسيم الوطن العربي في الاتفاقية المعروفة باسميهما) وكذلك جورج لويد Lloyd وجون لامبتن Lambton . ومن هناك رحل الى بريطانيا وامضيا الصيف فيها . وعاد الاثنان الى الهند في خريف سنة ١٩٠٧ ، كل في طريقه الخاص به . وصل ليچمن في تشرين الثاني ١٩٠٧ الى راو لپندي ، واوكلت اليه مهمة خطيرة هي مراجعة ودراسة (٢٠٠٠) التي ملفتة سرية مؤشرة باسم « الجزيرة العربية » . اعدتها شركة الهند الشرقية طوال قرنين من الزمان . وكان شكسبير قد راجعها ودرسها قبل اربع سنوات . ولما استكمل ليچمن المعلومات وتشبع بها واستوعبها خلال عدة شهور في سنة ١٩٠٨ اصبح عندئذ حلقة وصل حيوية بين دوائر الاستخبارات العسكرية في لندن والهند . وهذا يلقي شيئاً من الضوء على مهمته السرية دونما معرفة باطنها الخفية . وسوف يقوم هو وشكسبير بغزو الصحارى نفسها في منافسة علنية وترتب على ليچمن دراسة اللغة العربية ، وزيارة كراچي ، ومسقط ، وبوشير والمحمرة ، ومسقط مرة اخرى ، والقيام بمهمات في بلاد محظورة رسمياً على الرحالة .

كانت مهمته الاولى الموكلة اليه ان يتعلم الاختلاط بالصدى والعدو ويعيش مع عرب المدن والصحراء ، ويميز بين اليهودي واليوناني والاثوري والارمني والتركي والكلداني في خضم الجماهير التي تموج في اسواق البصرة وبغداد ودمشق ، والف مدينة صغيرة بين تلك المدن الكبيرة . فان استكمل مهمته تلك واستعد لامر آخر فانه سيقوم بعدئذ برحلات اكثر حيوية في اراضٍ تقل فيها الاسواق ولا يجد من يحميه ، ولا حتى جندرية (شرطة) عثمانيين .

جرى مسح المناطق البعيدة عن المركز عند بداية العقد الاول من القرن العشرين . وقد كان مارك سايكس قد سبق ليچمن بالقيام برحلات في سوريا والاناضول وكردستان في ايام دراسته في اواسط ثمانينات القرن التاسع عشر ، وكان يرافقه والده « تاتون » Tatton . وتلكه جرتود بيل واشخاص آخرون مثل اوبري روبرت . وكانوا يقدمون تقاريرهم عما يجدونه الى الملحقين العسكريين والسكرتاريين في اسطنبول والقاهرة من طريق دوائر المستشاريين في دمشق وفي تركيا نفسها . وقامت مجموعة اخرى من المحترفين باعمالهم التجسسية بذرائع شتى كالاستكشاف والمسح والحيل الاخرى .

وكان غيرهم من الدول الاوربية الاخرى يقوم باعمال تجسسية مكشوفة ، منهم اليهودي الالماني ماكس فون اوبنهايم

Oppenheim الاثاري المعروف بالجاسوس من القاهرة الى مسقط، واليهودي البوهيمي الويس موزل، Musil الاكاديمي المتميز ووكيل الاستخبارات الذي قام باستكشاف الصحراء العربية.

في ١٩٠٩ ذهب ليچمن الى بوشير لمقابلة بيرسي كوكس Percy Cox ولكنه لم يجده فقد كان مسافراً الى المحمرة، فاستقبله آرولد ولسن A. Wilson الذي قدمه الى زائر آخر على شاكلتهم، هو ايلي بانستر سون E. B. Soane المعروف بجولاته السرية متكرراً بين الاكراد وقد استمتع ليچمن بصحبته. وقد بدأ هو نفسه يتعلم فنون التنكر والتخفي واخذه ولسن لمقابلة الشيخ خزعل شيخ المحمرة ثم نوى ليچمن التغلغل الى معقله الثاني في المستقبل القريب. اما الآن فقد كان ملاذه في البصرة، مارسيليا الشرق، المشيع جوها بالمكائد. وانغمس في حياة المغتربين فيها ومبازلهم في بيت احد التجار الفرنسيين، في رقص وشرب حتى الثالثة صباحاً بصحبة ثلاث نساء مشبهات، وامضى ايامه يمارس اللغة العربية.

ثم واصل رحلته الى بغداد التي وصلها في الثاني من كانون الاول ١٩٠٩ على احدى بواخر لينچ. وفي بغداد التقى شخصيتين متميزتين من رجال الادارة البريطانية، هما جون گورن لوريمر Lorimer (صاحب دليل الخليج)، المقيم البريطاني المعين حديثاً بدلاً من الكولونيل رامزي Ramsy، والشخص الآخر هو وليم ويلكوكس W. Willcocks، مهندس الري المعروف، واستمع الى احاديثهما عن الحكومة والحكام الذين اخفقوا في دفع رواتب الجند والشرطة، في بلد كان البريطانيون والفرنسيون والالمان والايطاليون قد وضعوا قوانينهم الخاصة بهم والسير تحت شروط مواد «الامتيازات الاجنبية» المفروضة على السلطان خلال قرون من الاسراف والديون الاجنبية المتزايدة. وواصل ليچمن الرحلة الى كربلاء حيث نزل لدى مجيد خان الامير الفارسي. وهنا سيكون مركز اعماله للاتصال بقبائل الفرات

في السنوات العشر المقبلة، وفي الكوفة زار ممثل يهود بغداد الموالي للانكليز المدعو منشي دانيال. وفي الحلة زار مدرسة الاليانس اليهودية. ثم عاد الى لوريمر في بغداد في ايام عيد الميلاد ١٩٠٩. وفي كربلاء عوّفه محمد حسن القنصل البريطاني بمبعوث بدوي ثقة وارسله الى الشيخ عبد الله من فخذ العبدية من قبيلة شمر التي تجوب البادية الشمالية للجزيرة العربية نيابة عن آل رشيد حكام حائل الذين اعترف البريطانيون بسيادتهم على حائل.

قام ليچمن برحلته متكرراً الى آل الرشيد في حائل في ١٢

كانون الثاني ١٩١٠ في ثياب عربية قذرة يرافقه دليل من بني حسن اسمه خضر بن عباس الذي كان بوسعه التنقل بين شمر واعدانهم بشيء من الامان.

وجرى اتفاق بين عدوين قديمين، قبيلتي شمر والمنتكف تحت رئاسة ابن سعدون في القسم الجنوبي من العراق للقيام بغارة لاختضاع عدوهم المشترك ابن سعود وصاحبه مبارك الصباح. كان ليچمن مبعوثاً سرياً من بريطانيا الى آل الرشيد، حلفاء تركيا، وكان في الوقت نفسه، بريطانيان آخران في تلك المنطقة، احدهما دوكلاس كاروترز D. Carruthers متوجهاً الى الجوف، والاخر شكسبير متوجهاً من الكويت الى الدهناء.

نشبت المعركة واغارت شمر على عنزة، ونهبوا خيمهم وعددهم، وكان شخص انكليزي آخر يروم الذهاب الى ابن رشيد هو كابتن بتلر S. S. Butler. وقد كان ليچمن حاضراً المعركة الى جانب عنزة وصور بعض مشاهد المعركة ثم ذهب الى خيمة ابن رشيد ومكث معهم خمسة اسابيع. وحدثت معارك اخرى اخبر شكسبير المقيم البريطاني عنها. واصبح مبارك تابعاً لبريطانيا.

رجع ليچمن وشكسبير بعد اجراء اتصالات باهم رؤساء الجزيرة العربية، وكان لوريمر يرسم خارطة للجزيرة العربية لتكون دليلاً سرياً للمصالح البريطانية في المنطقة.

وتقررت المهمات ليچمن للذهاب الى الموصل وكردستان وارمينيا وسوريا وفلسطين. وقدم تقاريره الرسمية الى لوريمر في بغداد. فماداً كانت مهماته في تلك الجهات ويمن كان يتصل ولاي شيء تقتضي تلك المهمات انتقاله مباشرة من الجزيرة العربية الى كردستان وارمينيا؟

كانت المنطقة العربية تمر بنشاط وكلاء الدول الاوربية. وصارت كل جهة تكتب عن نشاط الجهة الاخرى. فاخذ رجل المخابرات البريطاني في اسطنبول فيليب غريفز P. Graves يكتب عن نشاط مهندسي سكة حديد الالمان في العراق وسوريا بحجة التنقيب في بابل وآشور ووصلت بعثة نمساوية للقيام برحلة الى قلب الجزيرة العربية، وكذلك بعثة هولندية، لها صلات بوكلاء المان في كوينهاكن، لزيارة الجزيرة العربية من طريق الكويت الى الرياض، مما اضطر الاستخبارات العسكرية في لندن والقاهرة للقيام بعمل دونما استشارة وزارة الحرب البريطانية.

اصبح ملف «الرحالة الى البلاد العربية» في القسم السياسي والسري في دائرة الهند ضخماً حين قام السفير الجديد الى الباب العالي العثماني جيرارد لوثر G. Lowther باخبار سكرتير الخارجية لدى فيتزموريس Fitzmouice عن شكوكه بصد

مؤامرات وكلاء فرنسيين والمان وصهاينة وحتى ماسونيين .
كان التعاون الحميم بين الجمعية الملكية البريطانية ووزارة
الحرب في مستهل القرن العشرين قد يشر عدداً من الرحلات
السرية لاغراض جغرافية او اكاديمية مزدوجة ، وبهذا اعطت
غطاء مناسباً للضباط للقيام بمهام خاصة ، انها ذريعة
استعملتها جميع القوى الكبرى .

ووجهت الجمعية الجغرافية الملكية دعوة الى ليچمن
استحسنها وزارة الحرب للقيام بزيارة مجددة الى الجزيرة
العربية ، وهي ضرورية لمراجعة الخرائط القديمة لسوريا والجزيرة
العربية في ضوء اكمال خطة انكليزية - فرنسية للحرب . وثمة
حاجة ماسة ايضاً لفتح ملفات حديثة عن القادة العرب ، وتقرر
ذهابه الى الرياض والقصيم . وصل ليچمن البصرة في ١١ تشرين
الثاني ١٩١٠ ، وحدثت امور غريبة بعد وصوله البصرة ، ولكن
يجب النظر اليها على اساس نشاطات القوى الاوربية الاخرى في
المنطقة . فقد قام في نهاية السنة الماضية شريف مكة بهجوم
على ابن سعود . وكان ابناء شمر بقيادة ابن رشيد قد ساعدوا
شريف مكة ولكن ابن سعود اعترف بسيادة شريف مكة مقابل
اطلاق سراح اخيه سعد الذي وقع اسيراً في المعركة .

وفي آذار ١٩١١ التقى شكسبير ابن سعود على مشارف
الاحساء ، وساله عن حقيقة اتفاق ابن سعود واعترافه بسيادة
شريف مكة على نجد ، ولكن ابن سعود انكر وعلم شكسبير انه
جرت مراسلات بعد المعركة بين جميع الشيوخ العرب ، وبضمنهم
شريف مكة - وزامل رئيس حائل بالوصاية على ان يقوموا
بانتفاضة ضد القوة العثمانية وجاء اقتراح للقيام بانقلاب عربي
من الضباط العرب بالدرجة الاولى العاملين في الجيش العثماني ،
الذين شكلوا جمعية ثورية باسم "العهد" مقرها في دمشق ولها
اعضاء مهمون في بغداد والبصرة .

ذهب ليچمن بعد وصوله البصرة الى الكويت لمقابلة ابن
سعود قبل مفاتحة الالمان له . ولكن المقابلة تعطلت . فذهب الى
الهند وبقي فيها حتى آذار ١٩١٢ . ثم ذهب الى انكلترة في
اجازة وعاد قاصداً الجزيرة العربية . وكان جميع المسؤولين
البريطانيين في دمشق والهند وغيرهما يجهلون مهمة ليچمن .
وبعد لاي وصل ليچمن لمقابلة ابن سعود مبعوثاً سرياً من لندن
بصدد المحادثات الانكليزية التركية لعقد معاهدة تعترف فيها
بسيادة تركيا على اواسط الجزيرة العربية واعتبار ابن سعود مذكراً
على المنطقة . ولما كان ليچمن سائراً في المدينة مع ابن سعود ،
سأل احد الشيوخ عبد العزيز :
لماذا تكرم وفادة هذا النصراني بمثل هذا النحو ؟ فاجابه ابن

سعود : ان اي انكليزي ، سواء اكان نصرانياً ام لم يكن فانه
صديقي ، وهو أعز عندي من كثير من مسلمي المذاهب الاخرى .
وغادر ليچمن الرياض الى البحرين وذهب الى القنصلية
ليقدم تقريراً الى الميجر (تريفر Trevor) ولكنه لم يجده ، فقدمه
الى صديقه ماكفيرسن Mc Pherson الذي كانت له مصالح
تجارية في البحرين وفي البصرة ايضاً .

وفي سنة ١٩١٢ قرر الضباط العرب في دمشق وبغداد
القيام بانتفاضة واعلان الاستقلال ، ولكن عملاء فرنسيين سريين
كشفوا خطة الثورة واحبطوها .

في ٣ تشرين الثاني ١٩١٤ دخلت تركيا الحرب . وفي
كانون الثاني ١٩١٥ ارسل شكسبير في مهمة الى ابن سعود
طلباً لمساعدته الحلفاء . واشترك شكسبير مع الجيش السعودي
في معركة ضد ابن رشيد ، حليف الاتراك فقتل عند تل جرب وعين
ليچمن خلفاً لشكسبير . ثم عين بعد ذلك للعمل في العراق فركب
باخرة سارت في شط العرب في صباح ١١ آذار ١٩١٥ ، وزوده
الحاكم السياسي العام في البصرة ، يرسي كوكس بتعليمات
اساسية .

دخلت بعض القوات البريطانية العراق من منطقة الكويت الى جنوبي
العراق بحجة حماية النفط في المحمرة ، وكان الاولى ان يدخلوا
المحمرة وعرف الاتراك بذلك ولم يفعلوا شيئاً لاعاقه تقدم تلك
القوات . واحتلت القوات البريطانية الفاو ودخل
الجيش البصرة في ٢٢ تشرين الثاني واعلن يرسي كوكس لاهل
البصرة بان البريطانيين جاءوا اصدقاء وحلفاء ، وان دينهم
واماكنهم المقدسة ستكون محترمة ، غير ان قبائل [الاحواز] قد
التحقت ببغيلة بني لام وكان يقودهم غضبان البنية الشديد
البأس ، وقاموا بغارة على انابيب النفط في الاحواز .

وكان ثمة خطر آخر على جناح الجيش البريطاني الايسر في
ما وراء الفرات حيث اتحاد المنتفك القبلي تحت قيادة عجمي
السعدون ، وكان ليچمن خصماً لدوداً له . وكانت مجموعة كبيرة من
الجواسيس البريطانيين في العراق امثال كامپيل ثومپسن ولورنس
وولي وجربون وكريگسن .

سعى ليچمن للعمل في الاستخبارات المدنية والعسكرية
ولانشاء شبكة خاصة به بين العرب [على غرار ماكان
البريطانيون يعملون في الهند] . وصار ليچمن مسؤولاً عن تهدئة
بعض القبائل من القيام باعمال ثورية ضد القوات البريطانية
وعدم تعاونهم مع القبائل الثائرة وراح يعمل وراء خطوط الاعداء
عند تقدم الجيش البريطاني الهندي نحو بغداد ، فاستأنف
علاقاته القديمة باصدقائه في البصرة ، ولم يكتف بذلك فقد

الطريق ع. عراء الاطفال بالحلويات لجمع المعلومات ، وكذلك بعض مجموعات من الشباب الذين استطاع ان يكسب ثقتهم به . وحاول فك الحصار في الكوت واستطاع ان يقلت من الاسر هو و ٥٠٠٠ جندي ودليله خضر بن عباس وخادمه الهندي الشاب حسن ، بعد ان تذكر ليجمن كالمعتاد بملابس عربية وتغلغل في صفوف الاتراك . ولكن القبائل العربية بين العمارة والكوت كانوا يعرقلون سير قطعات الجيش البريطاني ويقطعون خطوط الهاتف . ويطلقون الرصاص عليهم ويقتلونهم . تكبد الجيش البريطاني في عمليات حصار الكوت خسائر قدرت بعشرات الالاف من القتلى والجرحى . ولم تجد محاولات فك الحصار نفعاً برغم جهود كثير من الشخصيات والقادة البريطانيين ، واستعانوا بشخصيتين عربيتين كانا في البصرة آنذاك هما الدكتور الشابندر ، ونوري السعيد الضابط في الجيش العثماني الذي قدم خدماته للبريطانيين .

وقتل الضابط القدير كاولي وهو يقود باخرة تحمل ٢٧ طناً من المؤن الى الجيش البريطاني المحاصر ، واسر ملاحوها . ويكى عليهم ليجمن وهيرت A. Herbert وبيج Beach وهم واقفون على ضفة النهر ناظرين الى الباخرة الماسورة .

واستسلم تاونسند Townsend بعد حصار دام ١٤٧ يوماً . وقاد ليجمن كلاً من هيرت ولونس بين صفوف الاعداء للاجتماع بخليل باشا ، قائد الجيش التركي . فقال احد الاتراك لهم : لماذا لا نكف عن قتل بعضنا بعضاً ونقتل العرب بدلاً من ذلك ؟ فوجد هيرت الفكرة جيدة ولكن ليجمن لم يكن يحب التحالف مع الاتراك او العرب .

بعد ذلك وجد ان الوقت قد حان لاعادة بناء الجيش البريطاني المشتت في العراق ولا سيما في هذا الخضم من الاطماع والمؤامرات والمعارك .

ورأى ان الحرب ستبدأ مجدداً ، لذا فعليه العودة الى اماكن ترده السابقة في الصحراء لبناء سلسلة مواقع لجمع المعلومات وانزال العقوبات باولئك الرجال والشيوخ الذين سلبوا ابناء بلده في محتنتهم ! فاخفى طوال سنة ١٩١٦ وقد لبس العباءة والكوفية العرييتين ، ومعه غلامه الهندي حسن الذي كان يرسله بالمعلومات الى المقر العام بين حين وحين لاطلاع القادة . وقد كتب احد الجرحى قائلاً : كان ليجمن على اتصال بالهيئة القيادية بوصفه ضابطاً سياسياً وضابط استخبارات ، وقد علمت قبل الكارثة التي حلت بنا في اثناء تقدمنا الى بغداد ان استخباراته ممتازة ، واخبر نكسن Nixon عن عدد القطعات المعادية بالضبط وحتى اسم كل كتيبة ، ولكن نكسن لم يصدقه ، ف وقعت الكارثة ، فقد كان ليجمن قادراً على التحرك بين العرب

بحرية تامة ولا يضايقه احد .

ثم ذهب ليجمن الى المحمرة . وكانت مهمته هذه المرة فرض حصار صحراوي على الاتراك في اثناء اشتراك جيش مود Naude بالمعارك في الاراضي الاعتيادية بمحاذاة دجلة في طريقه الى بغداد . اصبح ليجمن القائد العام للصحراء OC Desert ، ولكن بلا جيش ، وقد استعان الاتراك بقيادة المان مثل بروسير Preusser على طول نهر الفرات .

في ٩ تشرين الثاني ١٩١٧ انطلق ليجمن في ما رآه مهمة صغيرة لـ « عقاب العرب » : فكتب الى اهله رسالة قائلاً : جمعت (٦٠٠) خيال عربي من الفرسان الاشداء ، عبرت بهم الجسر في شيخ سعد ، ووصلنا مخيم عرب معادين لنا على بعد خمسين ميلاً وطوقناهم واستولينا على (١٠٠٠٠) رأس غنم ... واصاب الاعداء (٣٠٠) من فرساننا . قطعنا نحو (١٠٠) ميل فلم يبق من الغنم سوى (٢٠٠٠) رأس في خلال (٢٤) ساعة .

جاء طيارون فرنسيون لنجدة القطعات الانكليزية وحمايتها ولكنهم كانوا يخشون الطيران فوق الصحراء لئلا يميزهم العرب ارباً اذا ما اضطروا للهبوط .

اصبح ليجمن قائداً قنبلياً معترفاً به . قال عنه تيننت Tennant ، عاش ليجمن في الصحراء طوال العام في ملابس عربية ، متجولاً مع غلامه حسن بين القبائل ، ساعياً في اثر الاتراك ، يقوم بالتنظيم وفرض القوة لاختضاع بعضهم ، والحصول على المعلومات المهمة . كان رأسه مطلوياً ، وعاش وهو يحمل حياته على كفيه ، فقد جرت ثمان محاولات جريئة في ثلاثة اسابيع لقتل ليجمن بعد مطاردته قبائل الفرات . وقد جاء الى شتائه بسيارته المحملة بقنابل ملز ومعه خادمه حسن ، فقد كان فيها بعض جيوب المقاومة ، بقي خادمه في السيارة ، وحمل هو بعض قنابل ملز في جيوبه ويندقية اوتوماتيكية . وتوجه الى ساحة القرية حيث ترتاح القوافل المتوجهة الى الشام وتطعم حيواناتها وتسقيها الماء . ولما اقترب اطلقت النار عليه من عدة زوايا فاضطر الى التراجع . وكان شاب عربي على سطح احدى الدور قريباً اليه ، وكان الرمي على ليجمن عشوائياً . وواصل الشاب على سطح الدار الرمي ولكن لم تصبه اي رصاصة ، فنزع ليجمن مسمار قنبلة واقترب ثم رمى القنبلة على السطح فتفجر البيت والقناص .

وفي شباط ذهب الى البصرة لتلقي التعليمات النهائية عن الحملة التي ستحقق الهدف المنشود .. ثم ارسل الى القاهرة حيث التقى سلطان مصر في قصر عابدين وقادة انكليز مرموقين ثم ذهب الى الحجاز حيث اجتمع في (رابغ) و (الوجه) بفصيل

ولورنس وقد شكك لورنس باخلاق ليجمن لملاحقته خادمه دون هواة مما اثار فضيحة في المعسكر فاضطر الى وضعه في سفينة واباعه الى القاهرة .

وفي اثناء غياب ليجمن عن العراق قتل اثنان من اصدقائه القادة في العراق هما « ميجل » و « ثورن » .

ونقل ليجمن بعدئذ من العمل العسكري الى إمرة بيرسي كوكس للقيام بمهمات سياسية ، ولا ينكر أحد من الانكليز انه الرجل المناسب للمناطق الصعبة .

وحدثت اضطرابات في كربلاء فعاد اليها واقام مقره فيها مع « رودويل Radwell » . جاء الى البادية التي اعتادها خارج كربلاء حيث التقى فهد الهذال اول مرة قبل عشر سنوات . واستأنف حياة التجوال على فرسه ، وكان المسؤول الوحيد اغلب سنة ١٩١٨ عن منطقة شاسعة من بادية الفرات ، جنوبي النجف الى الرمادي في الشمال ، وكانت المنطقة تغلي بثورة غير معلنة .

وفي ٢١ آذار ١٩١٨ قتل الكابتن « مارشال » ، الحاكم السياسي في النجف . سمع مارشال صوت اطلاق رصاص من بندقية خارج بيته ولما فتح الباب ليرى ماذا يجري ، اطلق الرصاص عليه من قرب وقتل واصيب ضابط آخر جاء لنجدته . ولكن السيد محمد علي كمال الدين في كتابه الثورة العراقية الكبرى يذكر حقيقة مقتل مارشال . فقد قرر حزب النهضة الاسلامية السري قتل الحاكم السياسي مارشال . دعا الحاج نجم المعروف بالبقال رئيس احدى كتل الحزب الثلاث ، دعا الجناح الفدائي الذي اتفقوا على تسميته بالجناح الدموي . وكان عددهم مئتي شاب مسلح ، حضر نحو مئة عضو اختاروا عشرين رجلاً وبقي الآخرون قوة احتياطية وقاد الحاج نجم البقال الفرقة الفدائية في الساعة الواحدة بعد منتصف ليل يوم ١٩ آذار سنة ١٩١٨ ، اقتحموا السراي بعد قتل الحارس الهندي بخنجر محسن ابو غنيم . وتوزعوا مفتشين حجرات السراي ولكن الكابتن مارشال والطبيب وضابطاً آخر كانوا نائمين على اسرة في وسط ساحة السراي . صوب الثلاثة مسدساتهم الى المهاجمين واصابوا بعضهم ، وسرعان ما اصلى الحاج نجم وجماعته الثلاثة بنيران اسلحتهم واجهز الحاج نجم البقال بنفسه على مارشال واراده قتيلاً .

حل محل مارشال الميجر بلقور حاكم الشامية وجرت محاولة اغتياله الا انه نجا من القتل . وجرد الثوار في النجف بعد مقتل مارشال من اسلحتهم وحوصرت النجف خمسة واربعين يوماً وفرضت شروط قاسية على المدينة للاستسلام .

وتشكلت محكمة برئاسة بلفور وعضوية ليجمن وضابطين

آخرين ومترجم مصري اسمه جاد غاوي . اصدرت حكمها في مايس ١٩١٨ باعدام احد عشر شخصاً ونفذ الحكم في ٢٠ مايس وكان اولهم الحاج نجم البقال . ونفي كثير من الثوار الى خارج العراق .

كان ولسن الذي تولى الادارة المدنية من وليم ويلكوكس ، قد كلف ليجمن بمسؤولية تعقب القاتلين . واستفاد ليجمن من سور المدينة في حصارها في الوقت الذي كان يجب البادية متذكراً ، كشيخ من الشيوخ ، مفتح العينين والاذنين ، من اجل معرفة قتلة مارشال . وجرت محاولة اغتياله من شخص كان في احدى بساتين المسيب في اثناء مروره من هناك .

كان ليجمن يختفي في حياة البادية ولا يعلم عنه احد شيئاً واذا صدر طلب عاجل بحضوره الى بغداد فانهم يرسلون مبعوثاً خاصاً للاتصال به .

في ربيع ١٩١٨ . علمت الاستخبارات البريطانية وجود اتفاق بين شيوخ بغداد والفرات للقيام بعصيان مسلح ، بتحريض من جمعية العهد ، وجمعية الفتح في مصر بتمويل مما كان يدفع من كميات كبيرة من الذهب الى شريف مكة واولاده لمساعدتهم في محاربة الاتراك والالمان .

لما عاد ليجمن الى النجف من بغداد في شباط ١٩١٩ . اخذ ١٢٠ فارساً من عنزه يقودهم متعب بن فهد الهذال الى آبار اللطيف على مسيرة يومين من النجف كما ذكر فهد الهذال في ملاحظات له كتبها قبل موته في سنة ١٩٢٨ قائلاً : صادفوا قافلة تحمل بضائع من السماوة الى الاتراك ، فهاجمها ليجمن وهو على رأس فرساننا ونجح في أسر الرجال والاستيلاء على البضائع ثم ذهب الى بغداد مسروراً ... وما ان عاد ليجمن الى العشائر حتى وصله خبر مقتل مارشال وقد اكتشف بعد قليل ان الجماعة التي هجمت على باب الحاكم السياسي [مارشال] كان يقودها عطية ابو كلل [كذا] الزعيم العربي في النجف . وبعد مقتل مارشال لاذ عطية ابو كلل واعوانه ببادية الشامية في الجنوب والتجأوا الى عجمي بن سعدون ، رئيس المنتفك . فأمر الكولونيل [ليجمن] ولدي متعب بالهجوم على عطية وعلى جماعته وكان عددهم ١٢٠٠٠ من المحاربين الاشداء وكان ولدنا على رأس عشرة آلاف يرافقهم ليجمن . هاجموهم وحرقوهم واستشهد ست مئة من رجالهم والسبب في ذلك قيادة الكولونيل ليجمن الشخصية . ولما رأى عطية ان المعركة كانت موجهة ضده هرب على حصانه الى الشناقية طالباً حماية حاكمها السياسي .

ذهب الكولونيل [ليجمن] بعد تلك الغارة الى بغداد ، وبعد مداولة مع ولسن ، عاد ليجمن وأمر بالهجوم مجدداً على عجمي السعدون أفضل عون لاعداء بريطانيا بين العرب ... كان عجمي

مصدر خطر مستمر فجرد ليجمن حملة من آلاف المقاتلين من رجالنا وقادهم مع ابني متعب وانطلقوا يرومون القبض على عجمي وتتبعوه شهراً حتى هرب ودخل جبل سنجار وعبر النهر والتحق بالأتراك ...

اصبحت مسؤولية ليجمن عندئذ تمتد من منطقة كربلاء الى منطقة قبائل الدليم في اعالي الفرات .

ولكن اقوال فهد الهذال وادعاءه ان عطية ابو كلل كان على رأس المهاجمين لقتل الكابتن مارشال يذكرها كتاب « الثورة العراقية الكبرى » للسيد محمد علي كمال الدين بالقول : ان جماعة عطية ابو كلل استولت في شهر نيسان ١٩١٧ على قافلة تجارية لقبيلة عنزة الموالية للانكليز ، من جماعة فهد الهذال فاستاء الحاكم البريطاني واتهم عطية ابو كلل بالمتاجرة بالمواد المحرمة ... وان جماعة عطية ابو كلل اطلقت الرصاص على مفرزة هندية وقتلت جندياً وجرحت آخر . وبعد مرور شهرين على ذلك امر بلفور يطلب حضور عطية ابو كلل وكاظم صبي وكريم الحاج سعد اليه لمحاسبتهم عن قضية نهب قافلة عنزة فحصلت مشادة بينهم ، صفع كاظم صبي على اثرها بلفور فاطاح قبعته . عززت القوات البريطانية بقوات اضافية . واكتسب بنو ابو كلل الى البادية في اواخر ١٩١٧ . ولكن ليجمن ، حاكم البادية الجديد ، اوعز الى صناعته من عنزة ان يغزو ابو كلل على حين غرة فانتهبوا بيوتهم وجميع اموالهم وشتموا عائلته وجماعته وبقي ابو كلل وحيداً في البادية فجاء الى الشنافية وتقدم الى حاكمها فاحاله الى محكمة الكوفة التي حكمت بنفيه ، ونفي اولاده الى الهند في اواخر ١٩١٧ كما ذكر آنفاً ، في حين ان مارشال قتل في ١٩ آذار ١٩١٨ يوم كان ابو كلل منفياً الى الهند . لقد ذكر فهد الهذال ذلك ليبرر عملياته تلك في الانتقام من عطية ابو كلل وجماعته ومن آل السعدون المناهضين للاحتلال الانكليزي بعد ان التجأ اليهم . وصدر الامر الى ليجمن بالالتحاق بجيش الجنرال كوب Cobbe في اثناء تقدمه نحو الموصل وكردستان . ووضعت طائفة تحت تصرف ليجمن لكي يبقى على اتصال بشيوخ عنزة وبعض الشيوخ المواليين في منطقة الدليم الذين تعاون بعضهم مع الاتراك ، وهي الآن تنذر بالخطر .

ولا يفوتنا ان نذكر ان الجنرال مود قد مات في تشرين الثاني ١٩١٧ في ظروف غامضة وتقارير متضاربة عن موته ، ولعله مات مقتولاً في اغلب الظن ، وظل السر مكتوماً .

توجه ليجمن ، بعد صدور الامر المذكور آنفاً ، الى الشرقاط واشترك مع ضباط آخرين في تطويق الجيش التركي المتراجع واسروا اكثر من ١١٠٠٠ جندي وعين ليجمن حاكماً عسكرياً على ولاية الموصل وظل يراقب نقاط القلق على الفرات ، فضلاً عن

حكم أشد مناطق الامبراطورية العثمانية جموحاً وتمرداً على الحكم . وقبل التحاقه بالجيش المتوجه نحو الموصل على نهر دجلة قام بزيارة سريعة بالطائرة الى منطقة الدليم ، وأمر متعب الهذال بمهاجمة شمر ، ولكن متعب مات متأثراً بجروحه في المعركة . وعاد ليجمن في سنة ١٩١٩ بالطائرة من الموصل ليأمر محروث بن فهد الهذال الاخر للقيام بمهاجمة القبيلة نفسها التي كانت موضع ازعاج على طول نهر الفرات ، وحين كان محروث يلاحق شمر قام ليجمن باستطلاع من الطائرة فوجد ان شمر كانوا هاربين ودخلوا المنطقة التركية . فأمر محروث بالعودة ، على ما ذكر فهد الهذال .

وذهب ليجمن بالطائرة الى الجبال لتصحيح ما كانت تقوم به قبيلة كردية مناهضة .

وتنامت المعارضة في اثناء سنة ١٩١٩ وغدت تمرداً مكشوفاً . وقتل ثلاثة حكام سياسيين في كردستان هم : النقيب بيرسن وويلي وماكنالند ، فقرر ولسن ان يتمتع ليجمن باجازة في بلاده ، وعين في محله موظفاً مدنياً من الهند له تجربة يعتمد بها في تشرين الاول ١٩١٩ اسمه ج . هـ . بل . ولم يكن هذا ناجحاً في كبت نداءات الجهاد ، فقتل هو ايضاً على يد متمردي كردي خلال شهر من تعيينه . وبعد ذلك بأيام قتل الكابتن ووكر Walker ، صديق ليجمن .

وذهب ليجمن الى بلاده يصحبه خادمه حسن ولكنه تسلم برقية من ولسن في بغداد تطلب اليه العودة ، فقد كانت البلاد في حالة اضطراب عظيم . ووجد ليجمن نفسه والدنيا قد تغيرتا . مات ابوه وشاخت امه ، وامتصت سنوات الخدمة العسكرية المتواصلة دون انقطاع حيويته وقوته ، ولم يكد يبلغ الاربعين ولكنه شعر بالشيخوخة ، بل بدا شيخاً مسناً .

في اواخر شهر كانون الاول ١٩١٩ استدعت دائرة الهند ليجمن الى لندن لتسند اليه الوكالة السياسية في الكويت ليحل محل شكسبير الذي قتل في معركة ضد ابن الرشيد ، ولكن ليجمن رفض الدعوة واعلن انه سيمود الى مناطقه الحربية لان العراق قد يكون على حافة انفجار هائل . وكان ولسن يعتمد عليه اكثر من غيره في زمن الاضطرابات .

عاد ليجمن الى العراق من لندن بسيارته الخاصة التي اشتراها في لندن ، وفي ٣ آذار ١٩٢٠ ذهب بناء على طلب ولسن الى الجبهة في الرمادي . ولدى وصوله مركزه الجديد ، كان القوميون العرب في دمشق والقاهرة قد اعلنوا فيصلاً « ملكاً على سوريا » واخاه عبد الله « ملكاً على العراق » . واجتمعت مجموعة من الشخصيات سراً في بغداد لاعداد صيغة للمطالبة بالاستقلال

اطلقه العراقيون ليلاً ذات مرة ولم يصيبوه ... وخرج جنوده يتعقبون جماعة اغارت على اسلاك التلغراف على طريق دمشق وقطعوها ، ولحقوا بهم وامسكوكهم وقتل كثيراً منهم .

وفي ٣٠ أيار اخذ ليجمن ثلاث سيارات مدرعة لقمع معركة شجرت بين قبيلتين شرقي القائم .

وكتب العريف فزانك قائلاً : جاء الكولونيل ليجمن الى المعسكر في الرمادي باوامر سرية ، فقد قام بعض العرب المعادون باخذ ضابطين اثنين من ضباطه السياسيين رهيئتين الى عانة وطلبوا مبلغاً باهضاً ثمناً لهما . اختار ليجمن ضابطين وستة جنود ، فضل ان يكونوا غير متزوجين اذ لم يكن رجوعهم سالمين محتملاً لوجود آلاف العرب المقاتلين في عانة ونصحهم ان يكتبوا وصاياهم ان كان لديهم ما يتركونه ... فقد قرر ان تكون مهمتهم الضرب بعنف والقاء القبض على الخاطفين ... وانطلقوا ليلاً الى هيت قبل طلوع الفجر وجاء احد الجواسيس واخبرهم ان العرب حفروا حفرة عميقة فقطعوا الطريق الى حديثة . وقرر ليجمن الاختباء حتى المساء والقيام بدورة في الصحراء والاتجاه الى عانة . وفي الساعة الرابعة عصراً جاء مخبر آخر بتقرير ان الضابطين قد قتلوا . لذا رجعوا الى الرمادي خائبين .

هكذا كان العمل اليومي لرجل هيمن على بادية الفرات والمناطق التي سيطر عليها اعداؤه خمس سنين قاسية . ولم يفش يوماً سر حقيقة طبيعة عمله حتى لمائلته .

وكتب هذا العريف يقول : انهم حين تركوا البوكمال كانت المنطقة بكاملها قد انتفضت وهجموا عليهم ولكن ليجمن وجماعته قاتلوهم بضراوة شديدة على طول طريق العودة الى عانة ، ٧٠ ميلاً . كان المهاجمون العرب في جميع ارجاء المنطقة في الوقت الحاضر وكنا في وضع نستطيع تسديد الضربات اليهم ... وكنت امضي ساعات في الجو امطر مخيماتهم بالقنابل ... انني لا ارى نهاية لهذا الاهتياج العظيم وعلى الرغم من انه عنيف ، غير مريح وخطير فانه افضل من الجلوس في مكتب الادارة .

انتفضت العشائر في كل مكان من الشمال الى الجنوب وقتل مزيد من الضباط .

وقد اخبر ولسن الاستخبارات تحت عنوان : مساعدة مالية للمتطرفين » بانه « امسك الذئب من اذنيه » . ولكن وزارة الخارجية هي التي مسكت من اذنيها . فقد جاءتها احتجاجات نطالب بـ « فرض متساوية للمواطنين الاميركيين في مفاوضات امتياز النفط »

تجديد الانتداب البريطاني على العراق ... بناء مصفى للنفط شمالي بغداد واعادة النظر في امتياز حقول نفط الموصل .

العربي . والتقت جرتروود بل بممثل الجماعة في ما بعد واثنت على « مشاعرهم الودية » التي نقلتها الى الحاكم العسكري الجنرال ايلمر هولدين A. Haldane ، خليفة مارشال . وصدقتها القيادة العامة فايقت الجنود في التكنات . وتبع فيليب Philby ، من ضباط ولسن الصفار ، ليجمن في نزته في مناطق قبائل الدليم بشيء من الافتتان . ووصل ليجمن الرمادي ومنها ذهب ومعه حسن بالطائرة الى البوكمال حيث جبهة ولسن المتقدمة في حربه الخاصة ضد العرب ، كما يقول فيليب : وقد وجد ستة ضباط قد قتلوا قبل عشرة ايام . فانتم انتقاماً شنيعاً اذ قام ومعه جماعة من الجند وبعض الموالين له بقتل المتهمين وحرق عشرة أميال من الاكواخ ، وساق الماشية ودمر كل شيء وقع بصره عليه وأباد القلة من العرب الذين وجدوا الشجاعة الكافية في انفسهم لمقاومته . وقال عنهم : هم أسفل السفلة ، ولكنهم خطرون جداً ...

ويعود ليجمن مسروراً الى بغداد بعد ان لقن اشباه البدو درساً ، على حد تعبيره ، وقال : « ساقى هنا حتى اجعلهم تحت سيطرتي . وعندئذ ساعدوا الى الرمادي حيث « كارفر » وقلة من الضباط الذين لا تزيد اعمارهم عن ٢٥ عاماً » .

وبدأت الامدادات العسكرية تصل من بريطانيا والهند ، جنود صفار لا خبرة لهم بالحرب ، ليحلوا محل الجنود الذين سرحوا بعد الحرب . وارسلت هيئة المساعدين العسكريين القديمة الخاصة به ، وخبوله وكلاهما من الموصل ليلتحقوا به والبقاء بصحبته في المنطقة القديمة التي عاد اليها .

في نهاية اذار كتب الى اهله : « اننا متورطون في متاعب عسيرة . ان السبب الذي يدعو الى وجوب بقائنا للسيطرة على هذا الوضع من العراق الذي انا فيه الان يدفعني الى الخيبة . » كان فكره مشغولاً بمسألة جمع الغرامات المفروضة على ابناء قبائل البوكمال التي يرفضون اداءها على الرغم من قصفهم بنحو منتظم بالقنابل التي يبدو انهم لا يعيرونها اهتماماً كبيراً . وكان من نتائج محادثات السلام في باريس ومطالبة القوميين العرب أن دعيت بلاد الرافدين بالعراق ، وصارت المنطقة الممتدة من دير الزور الى البوكمال جزءاً من سوريا . ويبدو ان العراق كان جزءاً من مؤامرة اوسع واكثر تعقيداً مما يتصور المرء . في ظل هذه الاوضاع كتب أحد رفاق ليجمن في الصحراء ، العريف فرانك ونك Frank Wing ان ليجمن اعتاد استخدام كثير من الاطفال الذين كان يدفع لهم مبلغاً ضئيلاً ، واستخدم رجلاً لتدريب جيشه من الخيالة للقيام بدوريات في الصحراء ومساعدته في جباية الضرائب ... وكانت له دائرة في الرمادي ، واصبح جدار الحجرة التي يعمل فيها كالغريال من الرصاص الذي

حاكم بغداد العسكري رئيساً له ، ومعاونه نائباً ، وعضوين من الموالين وأصدر أمراً بالقاء القبض على المندوبين الخمسة عشر الذين قدموا مطالبهم بشأن استقلال العراق فهرب من هرب والقي القبض على بعضهم وحكم على آخرين بالنفي خارج العراق ، وعلى جماعة أخرى بالاعدام (١٢) .

اقول : لا ريب ان ليچمن يعلم بذلك لانه حين التقى الشيخ ضاري اخبره باعتقال الشيخ احمد الداود وهرب يوسف السويدي وجعفر ابو التمن ، فامتقع وجه الشيخ ضاري وبقي ساكناً والكرية ترتسم على وجهه (١٣) .

ذلك ان ليچمن على علم بصلة الشيخ ضاري بقيادة الثورة واخباره بذلك كان تهديداً له واحباطاً لمعنوياته .

لم تكن منطقة الدليم منعزلة عن الثورة في الفرات الاوسط وفي بغداد فقد هبوا لمقاومة الاحتلال البريطاني وقتلوا سكة الحديد من جنوبي المحمودية الى شماليتها وانتهالت جموع الثوار على القطار القادم من بغداد الى الحلة بالرصاص وقتلوا من جند الانكليز اكثر من مئة وخمسين جندياً وغنموا كثيراً من السلاح والعتاد . ولما سمع ليچمن بتخريب السكة واشتعال الثورة في المحمودية وغيرها ، استدعى رؤساء العشائر في المنطقة فاستجاب له بعضهم ولكن الشيخ ضاري امتنع وتذرع بحجج مختلفة .

الكابتن وليمز مدير شرطة منطقة ليچمن كتب بعد سبع سنوات من مقتل ليچمن قصة مفصلة معقولة في جريدة الديلي ميل Daily Mail قال : « في ١١ آب أمضيت الليلة نائماً في خيمة الشيخ ضاري . وكان ضاري غائباً لحل بعض المنازعات العشائرية ولكنني في الحقيقة وجدت في ما بعد انه كان يتداول مع بعض الشيوخ المعادين [لنا] . عدت في اليوم التالي الى الرمادي لتقديم تقرير الى الكولونيل ليچمن بان البلد قد هب مستعداً للحرب . فانطلق الكولونيل ليچمن الى بغداد للتشاور مع مركز القيادة وفي طريقه بعث رسالة الى الشيخ ضاري انه يريد لقاءه في خان النقطة .

ولما عاد كان ضاري وولده ، وحرس قوي من الفرسان العرب بانتظاره . وكان ليچمن وضاري منغمكين بالنقاش حين وصل تجار عرب قالوا : ن قافلتهم تعرضت للسلب ، فارسل الكولونيل ليچمن فوراً الاثنى عشر رجلاً من الشبابة (الشرطة العرب) في النقطة لالقاء القبض على اللصوص ، وارسل ضاري ابنه الاصغر وثلاثين خيلاً لتعزيزهم . وبذلك لم يبق في الخان سوى حارس واحد ، واقتراح الكولونيل ليچمن على ضاري ان يذهب الى خيمة ضاري فقال ضاري ان الطريق رطب لا يتحمل سير السيارة ، فترك المركز وعاد مع ابنه خميس وبعض رجاله وامرهم ان يطلقوا النار على

وقد أصبح الاستعمار النفطي صفقة منافسة في حلقة الاحداث المفرغة التي توشك ان تنفجر في اي لحظة في ثورة عارمة . وتدفع ولسن من الدائرة السياسية الى الترحيب بالسلاح القادم من شركة النفط الانكليزية - الفارسية .

وفي حزيران ١٩٢٠ رأى ولسن جمعية من خمسة عشر عضواً من ابناء بغداد تطالب بمجلس تأسيسي بدل الحكومة الموقته على ان تضمن عصبة الامم ذلك ... ونقل ولسن خبر مقتل اربعة ضباط في تلعفر ، قرب الموصل . وطالب بزيادة جيش مسلح لجعل الانتداب فاعلاً ... فعين پرسي كوكس مندوباً سامياً في انراق بدلاً من ولسن وصار يتلقى تعليماته من كيرزن Curzon . وطردت فرنسا حكومة فيصل من سوريا .

وقد قال ليچمن في اوائل تموز ان الاضطرابات مروعة في العراق ولكن فرقتي العسكرية مستتب الامن في أرجاء نفوذها ... وأن الطريقة الوحيدة للتعامل مع القبائل الآن هي المذايح بالجملة في المناطق المتمردة .

واوضح ليچمن ذلك في رسالة الى عائلته قال فيها : اننا نعاني ألماً مبرحاً من صراع داخلي . إذ يبدو ان العراق جميعاً يحاربنا ، ولكنني سعيد لان منطقتي ، التي اسيطر عليها برجال القبائل وهي تمتد ١٥٠ ميلاً من الرمادي الى الحدود ، هادئة . ليس لدي جيش ، كارفر وحده مع ٤٠٠ من السفاحين ، قاطعي الحناجر في عانة ، على بعد ١٢٠ ميلاً ، ولدي بعض الضباط المتقاعدين في نقاط متباعدة .

وكتب ولسن : « يبدو ان ليچمن كان واثقاً مطمئناً لانه ما دام علي السليمان مسيطراً على الدليم فليس ثمة مشاكل خطيرة بين بغداد والفلوجة او الى شماليتها . وقد ترك دائرتي في نحو الحادية عشرة من صباح اليوم التالي قائلاً : انه سيكون في الفلوجة في الساعة الثالثة ، وسوف يرسل لي برقية . واضاف انه اخبر الشيخ ضاري ان يقابله في خان النقطة في منتصف المسافة بين بغداد والفلوجة »

نتساءل لماذا ذهب ليچمن هذه المرة الى ولسن في بغداد ؟ ولماذا رتب لقاءه بضاري على الطريق ؟ ومتى حدد الترتيبات هذه ؟

ليس ثمة دليل في اي جملة من كلام ولسن ومن تقارير المخابرات ، فقد جاء مباشرة من الرمادي وليس ثمة ما يوحي انه التقى اياً من شيوخ الدليم في طريقه . ثمة اراء متضاربة بهذا الشأن ، يحسن الرجوع بشأنها الى كتاب الشيخ ضاري تاليف العلوجي والحجية (١٤) .

ولا ريب ان ليچمن علم بشأن تكوين مجلس عسكري يكون

الكولونيل ليجمن وهو جالس داخل مركز الشرطة . قد تكون القافلة المنهوبة حقيقية إم غير حقيقية ، غير أن خيالة ضاري سيطروا على الشبانة في الطريق على بعد ميلين ، وانطلق ضاري وولده مع منتي خيال ... وهربوا أخيراً الى المنطقة التركية .

غير أن الشيخ سليمان بن الشيخ ضاري يلقي الضوء الحقيقي على دور والده في الثورة العراقية وعلى مصرع ليجمن فيقول : ان لوالده الشيخ ضاري يداً في ثورة العشرين وكانت له مراسلات مع كربلاء والنجف وبغداد . وقد جمع ليجمن ذات يوم رؤساء القبائل في الرمادي وكان أبوه معهم . وقال ليجمن انه يود الوقوف على رأيهم لانهم يطالبون السلطات الانكليزية بقيام حكومة مستقلة فنهض ابي ليجمن : يا ليجمن ، ليس في ديننا سنة ولا شيعية ، نحن دين واحد وعراق واحد وكلمة واحدة واجماع على تشكيل حكومة وطنية ، فاذا لبيت مطالب الثورة فان الاستقرار والامن يسودان العراق ، وانني في موقعي اخاطبك بلسان المجتمعين ...

وغضب ليجمن وحقد على أبي . وبعد مرور شهر او اقل ارسل ليجمن رجلين من الشبانة لتبليغ ابي بوجوب مقابلة ليجمن صباحاً في مخفر (ابو منيصر) بجوار خان النقطة . واعتذر ابي ... وفي ضحى يوم الخميس ١٢ آب ١٩٢٠ وافق ابي على مقابلة ليجمن . وتحرك الى خان النقطة بصحبة أخي خميس وابني عمي مجباس : صعب وصلبي وانا وجماعة من زويج ... وكان مجموعنا عشرين نفرأ .

ثم يروي الشيخ سليمان كيف بلغت المشادة بين ليجمن والشيخ ضاري واهانتة له .. ولما خرج من باحة المخفر الى المجاز القريب من الباب الرئيس اقتحم سليمان وجماعته المكان فامطروا ليجمن بثلاث طلقات الى راسه وكتفه وظهره . واراد ليجمن ان يختطف بندقية من المشجب القريب ولكنهم أصلوه

بثلاث طلقات أخرى وأردوه قتيلاً ، ثم اجهز الشيخ ضاري عليه بضربة سديدة الى رأسه (٥) .

وعلى اثر مقتل ليجمن هبت عشائر زويج واحلافهم لمجابهة الانكليز واحلافهم الذين استعملوا الطائرات والمدافع واسقط الثوار طائرة واسروا ضابطين كانا فيها . وكلف الانكليز فهد الهذال بالتوسط لدى الشيخ ضاري باطلاق سراحهما ، واستجاب الشيخ ضاري لطلب فهد واطلقهما .

وهدد علي السليمان الشيخ ضاري بالخروج من ديار الدليم وسحب جيشه منها خلال اربع وعشرين ساعة (٦) .

واتسعت شرارة الثورة في كل مكان في الجنوب والوسط والشمال ، المنتفك وكفري وقتل ضابط آخر اسمه سالمون في الكوفة ، ووثارت الحلة ، وسامراء ، وديالى ، وأماكن أخرى .

ولكن الجيش البريطاني واتباعه قاموا بقصف قلعة الشيخ ضاري قرب خان النقطة واقترفوا اعمالاً عدوانية رهيبه فاحرقوا قرى زويج ، وخيمهم ، وقرى وخيم احلافهم وقتلوا النساء والاطفال ..

وقال هولدين : لو كان بعض شيوخ منطقة الدليم واتباعهم مشتركين بالثورة لاثّر الثوار في موقف الحكومة البريطانية ، ولكانت بغداد في خطر عظيم مؤكد .

وانسحب الشيخ ضاري واولاده ورؤساء قبيلته ، وامر ولديه بالذهاب الى الشمال ، اما هو فقد ذهب الى الوند .. قرب كربلاء ثم الى النجف ومنها الى الشامية واحتفي بهم حيثما حلوا ... واخيراً اتجهوا نحو الجزيرة حيث كانت زويج على ابلها ورحلوا جميعاً الى مناطق شمر في الشمال قرب سنجار حيث استقروا هناك (٧) . وهكذا تمكن الثوار العراقيين من قتل ليجمن ليكون عبرة لمن يريد ان يندس ارض العراق ، ويتنكر لمطالب ابناء العراق والامة العربية المشروعة في التحرر والاستقلال .

الهوامش

Leachman : « OC Desert » by H. V. F. Winstone

٢ - الشيخ ضاري قاتل الكولونيل ليجمن في خان النقطة تاليف عبد الحميد العلوجي وعزيز جاسم الحجية ، مطبعة اسعد ١٩٦٨ ، ص ص ٤٩ - ٥٧ .

٣ - الثورة العراقية الكبرى لسنة ١٩٢٠ تاليف السيد محمد علي كمال الدين ، مطبعة التضامن ، منشورات دار البيان ١٩٧١ ، ص ص ٢٢٠ - ٢٢١ .

٤ - الشيخ ضاري ، العلوجي والحجية ص ٥١ .

٥ - الشيخ ضاري : العلوجي والحجية ، ص ص ٤٩ - ٥٤ .

مصرع الكولونيل ليجمن ، عبد الجبار العمر ، دار الشؤون الثقافية ١٩٨٦ ص ١١٢ وامكن أخرى .

٦ - الثورة العراقية الكبرى ، محمد علي كمال الدين ، ص ص ٢٥٨ - ٢٦٠ .

٧ - الشيخ ضاري ، العلوجي والحجية ص ص ٦٩ - ٧٠ .

جزء فيه تعاليق من النحو واللغة وابيات معان عن السيرافي رحمه الله " دراسة وتحقيق "

د. مي فاضل الجبوري

د. محمد عبد المطلب البكاء

نضع بين أيدي طلاب العربية كراساً قديماً يحمل جانباً من دروس السيرافي في طلابه. وكان يدرس النحو ولا سيما كتاب سيبويه وشرح الكتاب وكان يقرأ عليه القرآن وقراءاته ويقصده الناس من الأفاضل ولم يكن له نظير في علم العربية وكان يدرس التفسير والفقه واللغة والشعر وما يتعلق به من عروض وقواف ومعان. وكان له علم بالكلام والحساب وقام بتدريسهما. وهذه القطعة الصغيرة من دروسه وهي مدونة طالبه أبي القاسم عبيد الله بن محمد بن جبرو الأسدي تبين لنا تنوع معلومات ذلك العالم الفذ ولعل أبرز ما فيها أبيات المعاني التي قام بتفسيرها فهذه الأبيات ليست شائعة بحيث يسمح لمتبعها العثور عليها في المصادر أو نسبها إلى أصحابها. إن ذلك من دلائل تعمقه في الاطلاع وثراء علمه وتفرد ولا ريب. قبيل أن نجلس قريباً من أبي القاسم الأسدي ونسند ظهورنا إلى أعمدة قاعة الدرس ولعلها إحدى قاعات جامع الرصافة الذي افتى فيه السيرافي خمسين سنة و قبيل أن ننصت إلى صوت السيرافي على البعد لحظة الدرس نقدم شيئاً عن هذا المخطوط الثمين الذي لم يذكر في مؤلفات السيرافي وتعريفنا بصاحبه.

السيرافي : هو الحسن بن عبد الله بن الرزبان، أبو سعيد السيرافي النحوي (١).

والسيرافي (بكسر السين وسكون الياء) نسبة إلى مدينة (سيراف) هذا ما اتفقت عليه كتب التراجم التي ذكرته ، ومنها أصله أيضاً ، قال ولده أبو محمد يوسف : أصل أبي من سيراف وبها ولد . وكان اسم أبيه بهزاد فسماه ابنه أبو سعيد عبد الله . ولادته : كانت سنة أربع وثمانين ومائتين ، وهو ما ذهب إليه الخطيب البغدادي ، قال : حدثني هلال بن الحسن ، قال : توفي القاضي أبو سعيد يوم الاثنين ، الثاني من رجب ، سنة ثمان وستين وثمانمائة ، عن أربع وثمانين سنة . قال ابن النديم : مولده بسيراف ، وفيها ابتدأ بطلب العلم وخرج عنها قبل العشرين ، ومضى إلى (عمان) وتفقه بها ثم عاد إلى (سيراف) ومضى إلى (العسكر) فأقام بها مدة ولقي محمد بن عمر الصيمري المتكلم وكان يقدمه ويفضله على جميع أصحابه وقال ياقوت : وبها قرأ فيما أحسب على البرمان .

(١) تنظر ترجمته وما قيل عنه في هذا البحث في : طبقات النحويين ١١٩ ، فهرست ٦٢ ، تاريخ بغداد ٢٤١/٧ ، الأنساب ٣٢١ ، معجم البلدان ١٤٥/٨ ، انباه الرواة ٣١٢/١ ، وفيات الأعيان ٧٨/٢ ، تاريخ أبي الفدا ١٢٦/٢ مرآة الجنان ٢٩٠/٢ ، لسان الميزان ٢١٨/٢ ، النجوم الزاهرة ١٣٢/٤ ، بغية الوعاة ٥٠٧/١ ، كشف الظنون ٤٠/١ ، شذرات الذهب ٦٥/٢ .

ونقل السيوطي عن تلميذه ابي حيان في محاضرات العلماء قوله: كان ديننا ورعا تقيا نقيًا زاهدا عابدا خاشعا، له دأب بالنهار من القرآن والخشوع ، وورد بالليل من القيام والخضوع ، ما قرئ عليه شيء قط فيه ذكر الموت والبعث ونحوه إلا بكى وجزع ، ونغص عليه يومه وليلته ، وامتنع عن الاكل والشرب.

ونقل السيوطي عن الخطيب قوله: كان زاهدا ورعا ، لم يأخذ على الحكم اجرا ، وإنما كان يأكل من كسب يمينه ، فكان لا يخرج الى مجلسه حتى ينسخ عشر ورقات بعشرة دراهم تكون بقدر مؤنته. وقد أفتى في جامع الرصافة خمسين سنة لم يأخذ على عمله في القضاء فيها اجرا .

ذكرت كتب التراجم ان السيرافي كان يدرس ببغداد ، القرآن والقراءات وعلوم القرآن والنحو واللغة والفقه والفرائض والكلام والشعر والعروض والقوافي والحساب وعلوما سوى هذه ، كان اروى للحديث ، واقضى في الاحكام وافقه في الفتوى ، كتب اليه ملوك عدة كتباً مصدرة بتعظيمه ، تسأله فيها عن مسائل في الفقه والعربية واللغة.

اما النحو فقد كان فيه رأسا وكان اعلم الناس بنحو البصريين وعد في طبقة ابي علي الفارسي والرماني ، وتفوق عليهما وعلى معاصريه بشرحه لكتاب سيبويه.

قال ابو حيان التوحيدي: رأيت اصحاب ابي علي الفارسي يكثر ان يطلب لكتاب شرح سيبويه ويجهلون في تحصيله. فقلت لهم: انكم لا تزالون تقعون فيه وتزرون على مؤلفه، فما لكم وله ؟ قالوا: نريد ان نرد عليه ، ونعرفه خطاه فيه . قال ابو حيان: فحصلوه واستفادوا منه ، ولم يرد عليه احد.

اساتذته : من اشهرهم :

١- محمد بن عمر الصيمري المتكلم ، ذكره اغلب من ترجم للسيرافي ، وكان يقدم السيرافي ويفضله على جميع اصحابه ، والتقى به في عسكر مكرم.

٢- ابو بكر ، محمد بن مزيد بن ابي الازهر الخزاعي (ت ٣٢٥هـ) صرح السيرافي باسمه في شرحه لكتاب سيبويه ، وقال: قرأته على ابن ابي الازهر عن بندار في معاني شعر بندار . وروى عنه في اخبار النحويين البصريين.

٣- ابن السراج ، ابو بكر محمد بن السري (ت ٣١٦هـ) ، ذكره اغلب من ترجم للسيرافي ، وقال عنه السيرافي: اخذت عنه اغلب النحو ، وقرأت عليه كتاب سيبويه.

٤- مبرمان ، محمد بن علي ، صرح السيرافي باسمه ، وقال: اخذت عنه اكثر النحو ، وقرأت عليه كتاب سيبويه.

٥- ابن دريد ، ابو بكر محمد بن الحسين الازدي (ت ٣٢١هـ) قرأ عيه السيرافي اللغة ، وقرأ هو عليه النحو.

٦- ابن مجاهد ، ابو بكر احمد بن موسى بن العباس (ت ٣٢٤هـ) قرأ عليه السيرافي القرآن ، وقرأ عليه النحو.

٧- عبد الله بن محمد بن زياد النيسابوري ، قال الخطيب: انه احد من حدث عنهم السيرافي ببغداد.

٨- ابن حريويه ، ابو عبيد ، علي بن الحسين بن حرب بن عيسى (ت ٣١٩هـ) .

٩- القاضي ابو محمد بن معروف ، خلفه السيرافي في القضاء بالجانب الشرقي من بغداد ثم بالجانبين ثم بالجانب الشرقي ، وكان استاذة في النحو.

تلاميذه : اهمهم:

١- ابو حيان التوحيدي ، علي بن محمد بن العباس: توفي في حدود سنة ثمانين وثلثمائة ، وكان متفنتا في جميع العلوم من النحو واللغة والشعر والادب والفقه والكلام.

٢- علي بن المستنير ، ذكره ابو حيان وقال: كان يختلف الى مجلس ابي سعيد ، وكان ابو سعيد يعرف له تقدمه على كثير من اصحابه.

٣- الحسين بن محمد بن جعفر الرافقي النحوي المعروف بالخالع: كان من كبار النحاة ، وتوفي سنة ثمان وثمانين وثلثمائة.

٤- ابن النديم : (ت ٤٢٨ هـ) صاحب كتاب الفهرست المليء بالنقول عن السيرافي .

٥- ابو عبد الله الحسين بن احمد خالويه النحوي: كان من ائمة اللغة ، توفي بحلب سنة سبعين وثلثمائة.

- ٦- الجوهري : ابو نصر اسماعيل بن حماد : صاحب الصحاح ، كان من اعاجيب الزمان ، ذكاء وفطنة وعلماء ، وتوفي سنة ثلاث وتسعين وثلثمائة ، وقيل في حدود الاربعمائة .
- ٧- ابو العباس بن ماهان : من اصحاب ابي سعيد ، وممن لازمه سنين عدة ، وعلق عنه على ما ذكره الشاشي ، زهاء عشرة آلاف ورقة من شرحه لكتاب سيبويه وغيره ، درسا ومذاكرة .
- ٨- الحسين بن مردويه الفارسي : احد من شرح له السيرافي ترجمة المدخل الى كتاب سيبويه .
- ٩- ابو محمد يوسف بن ابي سعيد السيرافي : قرأ على والده ، وخلفه في جميع علومه ، وتمم كتباً كان شرع فيها ، منها : الاقناع ، وتوفي سنة خمس وثمانين وثلثمائة .
- ١٠- ابو محمد عبد الله بن حمود الزبيدي الاندلسي : قال عنه الصفدي : كان من فرسان النحو واللغة والشعر ، لازم السيرافي والفارسي والقال .
- ١١- ابو العلاء ، صاعد بن الحسن بن عيسى الربيعي البغدادي : كان مقدما في علم اللغة ومعرفة العويص ، صاحب السيرافي والفارسي والخطابي ، وروى عنهم ، وتوفي سنة سبع عشرة واربعمائة .
- ١٢- ابو علي الحسن بن ابراهيم بن هلال الصابي : قرأ على ابي سعيد كتاب (ما يلحن فيه العامة) لأبي حاتم .
- ١٣- عبد السلام بن الحسين بن محمد ، ابو احمد البصري اللغوي : سكن بغداد وحدث بها عن محمد بن اسحاق وجماعة من البصريين ، وكان يتولى ببغداد النظر في دار الكتب واليه حفظها والاشراف عليها .
- ١٤- علي بن عبيد الله بن الغفار ، ابو الحسن السمسعي ، اللغوي النحوي : كان جيد المعرفة بفنون علم العربية ، صحيح الخط غاية في اتقان الضبط .
- ١٥- علي بن عيسى بن الفرج بن صالح ، ابو الحسن الربيعي النحوي : كان اماما في النحو متقنا له . قال الرضي : قال لي شيخنا ابو الحسن علي بن عيسى النحوي صاحب ابي علي الفارسي : بدأت بقراءة مختصر الجرمي على ابي سعيد الحسن ابن عبد الله السيرافي رحمه الله في سنة اربع واربعين وثلثمائة ، ثم انتقلت الى ابي علي .
- ١٦- ابو القاسم عبيد الله بن محمد بن جرو الاسدي : قدم بغداد وقرأ على شيوخها علم الادب فأخذ علم الادب عن ابي علي الفارسي وابي سعيد السيرافي وغيرهما (ت ٢٨٧ هـ = ٩٩٧ م)
- ١٧- محمد بن عيسى بن عثمان العطار النحوي : من مصنفاته : شرح امثلة كتاب سيبويه .

آثاره:

ترك لنا السيرافي مجموعة من المؤلفات العلمية الجليلة ، التي تصور شخصية مؤلفها وسعة ثقافته وتنوعها ، الا ان يد الزمان لم تحفظ لنا من هذه الثروة العلمية الا كتابين هما شرح كتاب سيبويه و أخبار النحويين البصريين و مؤلفاته التي عرفت له :

- ١- كتاب شرح كتاب سيبويه
- ٢- كتاب اخبار النحويين البصريين
- ٣- الاقناع في النحو
- ٤- ألفات الوصل والقطع
- ٥- كتاب جزيرة العرب
- ٦- كتاب صنعة الشعر والبلاغة
- ٧- كتاب المدخل الى كتاب سيبويه
- ٨- كتاب شرح مقصورة ابن دريد

ولا نجد ذكرا للنص الذي نقدمه اليوم بين مؤلفات السيرافي التي ذكرت في الحديث عنه والترجمة له في كتب التراجم لانها آمال املها على طلابه وفيهم ابو القاسم الاسدي الذي اجتمعت له مجموعة منها زاد عليها شيئا من تعليقاته ثم

ها ذي بين ايدينا نتداولها اليوم بعد كل هذه القرون بالدرس والتأمل في جانب غير جانب النحو المشتهر عن السيرافي هو جانب تتبع كلمات العرب شعرها ونثرها ومعاني لغتهم ولطف تعبيرهم . اذ ان هذا الدرس او مجموعة الدروس التي وجدناها في الجزء المشار اليه في العنوان هو واحد من آثار السيرافي القليلة التي سلمت من الدهر ووصلت اليها غير شرح كتاب سيبويه واخبار النحويين البصريين له . اما الثاني فمنتشور وفيه معرفة السيرافي بالنحاة من البصريين واما الشرح فنشرت اجزاء قليلة منه وبقي سواده حبيسا ينتظر من يحرره ليطلع عليه عشاق هذه اللغة والمتطلعون الى علم هذا العلم في النحو والكتاب خاصة . من هنا تبرز اهمية نشر هذا الكراس الصغير وهو اضاءة لجانب من جوانب علم السيرافي .

عبيد الله بن محمد بن جرّو أبو القاسم الأسدي (١)

النحوي ، العروضي ، المعتزلي . ذكره ابن المقدر في المعتزلة . من اهل الموصل ، قدم بغداد وقرأ على شيوخها ، فأخذ علم الادب عن ابي علي الفارسي وابي سعيد السيرافي ، وغيرهما .

وكان ذكيا حاذقا جيد الخط صحيح الضبط . صنف كتابا ، له (تفسير القرآن) و (الموضح) في العروض و (المفسح) في القوافي و (الأمد) في القراءات . وله شعر .

حكى بعض الاشياخ من اهل صناعة النحو ان عضد الدولة الديلمي التمس من ابي علي الفارسي اماما يصلي به ، واقترح عليه ان يكون جامعا الى العلم بالقراءة العلم بالعربية ، فقال : ما اعرف من قد اجتمعت فيه مطلوبات الملك الا ابن جرّو — احد اصحاب ابي علي ، وهو ابو القاسم عبيد الله بن جرّو الاسدي — فقال : ابعثه اليها . فجاء به ، وصلى بعضد الدولة .

ومات فيما ذكره هلال بن الحسن في يوم الثلاثاء لاربع بقين من رجب سنة سبع وثمانين وثلاثمائة . ٢٨٧هـ — ٩٩٧م . وقد ذكر اسمه اكثر من مرة في هذا المخطوط معلقا على اقوال السيرافي من الصفحة الاولى وسائلا للسيرافي ورادا عليه ومسؤولا عن بعض المعاني ويبدو انه نظر في امالي السيرافي التي دونها بعد ذلك فعلق عليها و اضاف اليها ومما يدل على ذلك انه قال في اخرها (قال الشيخ ابو سعيد السيرافي رحمه الله) .

ولعل ذلك من اضافات النساخ للمخطوط فيما بعد — ولهم فيه أثر — اذ يبدو انه منسوخ من آخر اختلطت بعض اوراقه قبل النسخ بالعنوان وهو (جزء فيه تعاليق من النحو واللغة وأبيات ممان عن السيرافي رحمه الله) ثم اضاف اليه : وفيه تعليق اخر عن غيره وبعد ذلك كتب : قال ابو سعيد السيرافي : المجلة : الكتاب مثل التوراة والانجيل والكتب التي تتعاور قراءتها وتجل . وانشد قول النابغة :

مجلتهم ذات الاله ودينهم قويم فما يرجون غير العواقب

وروى قوم : مجلتهم . اراد بقوله : مجلتهم : الكتاب الذي يدرسونه من كتب الله المنزل وكانوا نصارى .

وبعد هذه الصفحة التي استغرقت فيها المعلومات التي نقلت عن السيرافي في كلمة المجلة خمسة اسطر بدأ في الصفحة التالية بالبسملة وكتب بعدها وبه نستعين ثم : قال ابو سعيد الحسن بن عبد الله السيرافي : حدثنا ابو بكر ميرمان ... الخ مما يدل على ان هذا اول المخطوط حقيقة والسابق سقط منها من مكان ما في صفحة او ورقة مقتطعة و اضاف الى ما قبل البداية في المجموع الذي منه هذا الجزء .

اما وقد وصلنا الى **الخطوط وحديثه** فلنقدم وصفا له

كتب النص بخط نسخي واضح ومضبوط بالشكل على خمس عشرة صفحة صغيرة تحتوي الصفحة تسعة عشر سطرا تقريبا . احدى عشرة كلمة في السطر . وفي حواشيه تعليقات على ما جاء في متنه من كلمات وابيات بخطوط مختلفة . وفي نهايته كتب التعليق الاتي :

(١) تنظر ترجمته وما قيل عنه في هذا البحث في معجم الادباء ٦٢/٢ — ٦٨ — وانباء الرواة ١٥٤/٢ — ١٥٥ — وارشاد الاربيب ٥/٥ وبغية الوعاة ٢/ ١٢٧ والاعلام ٩٧/٤

الحمد لله مولى النعم وبارئ النسم ومعلم الانسان ما لم يعلم . انهيت هذا التعليق المنسوب الى ابي سعيد السيرافي رحمه الله قراءة بحث بحسب فتور همتي و ضعف قوتي على وحيد دهره وفريد عصره الشيخ نور الدين البحيري المالكي خامس عشر شعبان المكرم سنة ٩٢٤ . كتبه سليمان عبد الرحمن الحربي المغربي حامدا ومصليا ومسلما (١) .

وليس في المخطوط ما يدل على تاريخ نسخه سوى خط الناسخ وقد قدر تاريخ نسخه المختصون في دار الكتب المصرية بسنة ٦٢٥ هـ . تقريرا . واثبت ذلك على الصورة التي حصلنا عليها منها .

وهناك نسخة من المخطوط في مكتبة كوبرلي رقمها ١٢٩٢ / ٤ وهو جزء من مجموع يحتل منه الوريقات (٥٠ - ٥٧) .
العنوان الموضوع للمجموع (جزء فيه تعليقات من النحو واللغة وابيات معان عن السيرافي رحمه الله) وضعه ابو القاسم عبيد الله بن محمد بن جبرو الاسدي كما هو باد في تعليقه على احد الابيات وشرحه لآخر على غير ما شرحه استاذ ابو سعيد اذ قال بعد ذلك : وقد مر تفسيره في هذا الجزء . فعلى هذا يكون ابو القاسم صاحب العنوان الذي يحمل كلمة جزء ايضا . وتكون كلمة (وفيه تعليق اخر عن غير) للناسخ لانه قرأ فيه اسم ابي انقاسم في اكثر من موضع مع كلمة قال . كما جاء في اول المخطوط في صفحة البسمة .

عملنا في التحقيق والدراسة : لا بد اولا ان نسجل ان المخطوط قد وقع اينا منذ زمن وقمنا بتحقيقه ودراسته ومع النهايات واجهنا عسرة الوصول الى كثير من اصحاب النصوص الشعرية فيه فكان ان طلبنا معونة احد الاساتذة المختصين في مجال التحقيق الدكتور حاتم صالح الضامن . والمفاجأة كانت ان النص قد اخذ نصيبه من التحقيق على يد الدكتور سليمان بن ابراهيم العايد قبل سنين . ولم يشر الاستاذ حاتم الى المكان الذي نشر فيه التحقيق وبعد انتظار كانت نسخة من التحقيق بين ايدينا تفضل بها الدكتور حاتم الضامن . وليس بين المعلومات التي ثبتت عليها مكان النشر وان كان على الوجه مع العنوان اسم الدكتور سليمان العايد وانه استاذ مشارك في كلية اللغة العربية - جامعة ام القرى .

ملاحظتنا الاولى كانت رجوعنا منته الى المصنفات التي يلجأ اليها اغلب المحققين لتخريج معلومات المخطوطات ومن ذلك لسان العرب والمعاجم الاخرى وكتب التراجم والدوربين وهي وامات كتب العربية كانت مصدرا للتحققين . والملاحظة الاخرى ان الدكتور العايد وقف عند كثير من الابيات التي وقفنا عندها ولم نجد لها اثرا في الذي مر بين ايدينا من كتب على الرغم من سؤالنا مجموعة من المختصين بالتراث اللغوي العربي القديم . ولكننا استطعنا ان نتوصل الى نسبة مجموعة لا بأس بها من الابيات التي لم يظفر الدكتور سليمان بنسبتها ووجدناها مثبتة في المظان . وانتبهنا الى بعض الاخطاء .. وجل من لا يخطئ .. فصححناها في مواضعها ووضحنا كثيرا مما لم يكن واضحا او مطروقا في التحقيق الاول وهذا لا يعني عدم افادتنا منه فتحققنا مكمل له ان شاء الله .

ولا بد ان نذكر هنا ان السيرافي نفسه كان يجهل اسماء بعض الشعراء الذين ذكر ابياتهم في درس المعاني الذي رافقه درس النحو و الصرف في هذه المخطوطة ومما يثبت ذلك انه تحدث عن بيت للخنساء هو قولها

وداهية جرها جارم جعلت رءاءك فيها خمارا

بقوله قال الشاعر او بقوله عند الشرح : يقول خمرت به رؤوس الناس .. وبقوله : وفيه قول اخر : اراد انك جددت في هذه الحرب .. الخ وهذا كله اشارة الى انه لا يدري ان صاحبة البيت امرأة هي الخنساء .

وبعد فقد حاولنا خدمة المخطوط جهد امكاننا ليخرج على ما وضع عليه اصلا فنقدم صورة لدرس اسلافنا في مناحي هذه اللغة الكريمة ونرى ان اهل العربية بين ظهرانينا حقيقون بان يطلعوا على هذا النص الثمين الذي احتوى ما احتوى من ابيات نادرة ومعلومات عزيزة سفعناها بدراسة تناولت تتبع منهج سرد النصوص المدروسة في تلك المخطوطة وعرضت ابيات المعاني على دروس المحدثين في الدلالة ووثقت القضايا النحوية والصرفية من مواضع عزت على كثيرين لنفاستها مثل شرح كتاب سيبويه للسيرافي رحمه الله وغير ذلك . نضع بين ايدي طلاب العربية النص محققا نلحقه بالدراسة .

(١) نقل د . سليمان العايد تاريخ القراءة بشكل مختلف في مقدمة تحقيقه وجعله سنة ٩٢٦ هـ ونقل لقب القارئ بكلمة الجربي . ونرى ان ما اتبعناه هو الصحيح . والظاهر من خلال اطلاعنا على تحقيقه ان نسخته من المخطوط هي صورة مثيلة لنسختنا ومن المصدر نفسه .

جزء فيه تعاليق من النحو واللغة وأبيات معان عن السيرافي - رحمه الله



وبه نستعين

* قال ابو سعيد الحسن بن عبد الله السيرافي: حدثنا ابو بكر مبرمان (١)، قال: سمعت أبا العباس ثعلباً (٢) ينشد:

ولا اتمنت علي مال ولا ولد
الا يد الخلبوت (٣) الخائن الخدعة (٤)

ويعيبه بانشاده اتمنت (٥) والصواب ولا انتمنت بالهمز. وقال أبو القاسم عبيد الله بن محمد بن جرو
الأسدي (٦): والذي قال أبو العباس فيخرج على أنه أبدل من الهمزة واوا ثم أبدل منها تاءً وأدغم وهو ضعيف.

* ما حكاه الكوفيون (٧) من حتاه وحتاك وحتاي يؤكد أن علامة الإضماع ليست بأصل في حَتَّى، لأنها لو كانت أصلاً
لغيرت كما غيرت مع على والي، فقليل: حَتَّيه كما قيل: اليه وعليه.

* هَرَبُ قَسْقَاسُ (٨): سريع، والقَسْقَاسُ: الجوع، قال الشاعر:

(١) أبو بكر محمد بن اسماعيل العسكري. توفي سنة خمس وأربعين وثلاثمائة تنظر ترجمته في طبقات النحويين واللفويين ١١٤، وبغية الوعاسة ١٧٥/١ - ١٧٧.

(٢) أحمد بن يحيى بن يزيد النحوي، ولد سنة مائتين، توفي سنة إحدى وتسعين ومائتين، تنظر ترجمته في طبقات النحويين ١٤١ - ١٥٠، وبغية الوعاسة ٢٩٦/١ - ٢٩٨.

(٣) الجهمرة واللسان (خلب): رجل خالب وخلاب، وخبوت، وخبوب، الأخيرة عن كراع: خداع كذاب.

(٤) الجهمرة واللسان (خدع): الخدع: اظهر خلاف ما تخفيه. ورجل خدعة: يخدع الناس كثيراً. لم نقف على صاحبه.

(٥) اللسان (أمن): والامانة والامنة: نقبض الخيانة.... وقد أمنه وأمنه وأمنه، عن ثعلب، وهي نادرة.

(٦) اخذ الأدب عن الفارسي والرماني والسيرافي، توفي سنة سبع وثمانين وثلاثمائة. تنظر ترجمته في بغية الوعاسة ١٢٧/٢ وقد سبق الحديث عن أبي القاسم.

(٧) قال أبو حيان في ارتشاف الضرب ٤/ ١٧٥٥ - ١٧٥٦: ولا يكون المجرور بحتى ضميراً، هذا مذهب سيبويه. وإجاز الكوفيون والمبرد جرّها الضمير فتجره متكلماً ومخاطباً وغائباً.

(٨) اللسان (قسس): هرب قسقاس: سريع شديد ليس فيه فتور ولا وتيرة. وقيل صعب بعيد. والمقصود نوع من السير وعلى هامش المخطوطة وجدنا: القرب: هرب من السير. وفي متنها (هرب) بالفاء بدلاً من القاف المثناة (تصحيف). وفي اللسان أيضاً: القسقاس: شدة الجوع والبرد.

أتانا به القسّاسُ يُرْعِدُ متنهُ
والقسّاسُ : نَبَتْ يُسْتَقَاءُ (٢) به. وأنشد:

ولليل أسدافُ على البيدرُ همدُ (١)

وكنْتَ مِنْ دَانِكَ ذا افلاسٍ

فاستسقينَ بثمرِ القسّاسِ (٢)

والنسناسُ : الجوعُ (٤)، وأبو عمرة : الجوعُ (٥).

* كان رجلٌ قد تزوجَ خمسَ نسوةٍ فَمَتْنٌ كلُّهنَّ، ثم إنَّه تزوجَ امرأةً سادسةً، وكانت هذه المرأةُ السادسةُ قد تزوجتَ خمسةَ أزواجٍ فماتوا كلُّهم، فتزوجتَ هذا الرجلُ وهو السادسُ، فقال في نفسه وفيها هذه الابيات:

(٥١ ب)

وتعتدني إن لم يق الله ساديا (٦)

وسادية اعتدتها من رجائيا

براها ويقضي الله ما كان قاضيا

بويزلُ اعوامٍ اذاعتَ لخمسة

ومن قبلها واريْتُ خمسًا حلانلا

كلانا مطلٌ مشرفٌ لغنيمية

وقال آخر في الخامي، وهو يريد الخامس:

ثلاثة آباءٍ كرامٍ ورابع

أقاموا عمود الدين ثم تتابعوا

وأنشد الكسائي (٨):

وما الخام منها بالبخیل الملوّم
على سُنّة الهادي الكريم المکرّم (١)

(١) اللسان (سدق) : السَّدَقَ بالتحريك : ظلمة الليل .. والجمع اسداف .. أبو زيد (النواير ١٧٧) : السدقة : في لغة تميم : الظلمة .. قال والسدقة في لغة قيس الضوء وقد سها الدكتور سليمان العايد وظن ان الناسخ كتب اسراف بالراء فقال : (ولم يظهر لي معناه على هذا والذي يظهر لي والله اعلم انه بالشين المعجمة وهو جمع شرف وهو كل نشر من الارض قد شرف على ما هو له : المكان العالي) . والصحيح ان الكلمة بالدال المهملة . اللسان همد : الهمة : السكنة . همدت اصواتهم أي سكنت . أي جاءنا به الجوع وهو يرتجف في بيدا ليلها مظلم ساكن . ولم نقف عليه .

(٢) في المخطوط (يستقاء) خطأ من الناسخ كما يبدو والصحيح يستقاء وهو من القيء . لان الافلاس المذكور في الرجز هو رغبة الانسان في التقيؤ (ينظر اللسان : قلس) والقسّاس يستعمل لذلك من النبات فتكون الكلمة التي في البيت التالي فاستقنا بنون التوكيد الخفيفة والهمز او فاستقين بتخفيف الهمز بدلا من فاستشفين التي في المخطوط .

(٣) فاسط على امك سطو الماسي وكنْتَ مِنْ دَانِكَ ذا افلاس . مجموع اشعار العرب (ديوان رؤية) ١٧٥ ومنه ومن اللسان تصحيح البيت .

فاستقنا بثمر القسّاس

في اللسان (قس) : القسّاس : بقلة تشبه الكرفس ، قال رؤية :

وكنْتَ مِنْ دَانِكَ ذا افلاس

القسّاس نبت اخضر خبيث الريح ينبت في مسيل الماء له زهرة بيضاء .

(٤) اللسان (قس) : النسناس بكسر النون : الجوع الشديد . وفي المخطوطة بالفتح .

(٥) اللسان (عمر) : ابو عمرة كنية الجوع .

(٦) البيت في هامش المخطوط بدون اشارة الى موقعه ولعل هذا مكانه الصحيح لانه روي مع بيت اخر قبله كما سيأتي وقد جعله د. سليمان العايد اخيرا في ابيات المخطوطة بتحقيقه . ذكره ابن جني في سر الصناعة ٢ / ٧٤١ وفي هامشه : البيت لرجل كانت له امرأة تفارعه ويقارعها ايها يموت قبل وكان تزوج نساء قبلها فمتن وتزوجت هي ازواجها قبله فماتوا فقال : ومن قبلها اهلكك بالشوم اربعا وخامسة اعتدتها من نسايا بويزل اعوام اذاعت لخمسة وتعتدني ان لم يق الله ساديا

وذكره ابن عصفور في المقرب ٢٤٢ وانظر في القلب والابدال ٦٠ وتهذيب الالفاظ ٥٩٠ وابدال ابي الطيب ٢ / ٢١٧ وشرح شواهد الشافيه ٤٤٧ . قصد ببويزل اعوام انها مسنة ينظر اللسان (بزل) .

(٧) شرح شواهد الشافيه ٤٧٧ مع بعض الاختلاف الذي لا يستقيم المعنى معه في البيتين متتابعين اذ في شرح شواهد الشافيه (ثلاثة ايام كرام ورابع) ولعله من اخطاء النساخ .

(٨) الكسائي علي بن حمزة بن عبد الله الاسدي ، وهو احد السبعة وكان يتخير القراءات ولم يكن احد اضبط منه ولا اقوم بالقراءة في زمانه ت ١٨٩ هـ . غاية النهاية في طبقات القراء ١ / ٥٢٥ .

وعام حلت وهذا التابع الخامي (٢)

خلا ثلاث (١) سنين منذ حل بها

وقال آخر:

على سفع جوائم فوق أس
ثمانية وهذا العام تاسي (٣)

مررت بربعها فوقفست فيه
وقد مرت سنين بعد عهدي
* قال عمارة العبسي (٤):

ولا تبیت جيايدي وهي أعمار
قال الفراء (٥): معناه ما حمل إلا سيفاً قد كنت ضربت به في الحروب، وجربت جودة ضربه. وقال الكسائي: معناه ما حمل السيف إلا وقد ضربت به، فاضمر الواو.
وقال النابغة (٦):

لا يقطع الخرق الا طرفه سامي (٧)

لهم لواء بكفي باسل بطل
يريد إلا وطرفه.
وقال آخر:

سراج لنا الا جبينك أنور (٨)

إذا ما ستور البيت أرخين لم يكن
يريد إلا وجبينك.
وقال آخر:

ألا غداً أكثر الأيام لي عجباً

وما خلوت بها يوماً فتعجبني
يريد إلا وغداً.

مركز بحوث كميونر علوم إسلامي

وعام حلت وهذا التابع الخامي

(١) ويروي: مضت ثلاث سنين منذ حل بها
ارتشاف الضرب ٥ / ٢٤٢٧ .

(٢) البيت للعامة النيباني ،

ينظر الهمع ٢ / ١٥٧ ، والدرر ٢ / ٢١٢

(٣) الضرائر الشعرية للقرواني ٢٤١ ومن هامش المخطوطة: الأس: الرماد . وفي اللسان سفع: السفعة: ما في دمنة الدار من زبل او رمل او رماد او قمام ملتبد تراه مخالفا للون الارض .

(٤) عمارة بن زياد العبسي ، شاعر وسيد جاهلي . الاعلام ٥ / ١٩٢ . ولم نهتد لقوله في معاني الفراء . وقوله أعمار أي لم تجرب خوض المعارك .

(٥) الفراء يحيى بن زياد عبد الله ابو زكريا الاسلامي النحوي الكوفي روى الحروف عن ابي بكر بن عياش والكسائي . توفي قبل ٢٠٧ هـ غاية النهاية في طبقات القراء ٢ / ٣٧١ .

(٦) النابغة النيباني الشاعر الجاهلي صاحب المعلقة تنظر ترجمته في الشعر والشعراء ٩٢ - ١٠٦ .

(٧) وفي ديوانه ص ٢٢١ : لهم لواء بكفي ماجد بطل
لا يقطع الخرق الا طرفه سام

(٨) البيت في شرح القصائد السبع (٤٦٧) وفيه (الا ووجهك انور) وذكره للاستشهاد باظهار الواو لا اضمارها ، قال : وكذلك تقول : مارايت عالما الا وابوك افضل منه ، وان شئت قلت : الا ابوك افضل منه ، وفي اظهارها (البيت) .
وانظر : الازهية ص ٢٤٨ وفيها : (الا ووجهك انور) .

قال ابو بكر الأنباري : قال ابو العباس : وقال النحويون ، يعني بهذا الفراء وهشاما : (الله اكبر) معناه : الله اكبر من كل شيء ، فحذفت (من) لان الفعل خير ، كما تقول : ابوك افضل واخوك اعقل ، فمعناه افضل واعقل من غيره ، واحتجوا بهذا البيت . اراد انور من غيره . انظر : الزاهر ١ / ١٢٤ .

وقال الفراء : ويجوز في (ليس) خاصة ان تقول : ليس احد الا وهو هكذا ، لان الكلام قد يتوهم تمامه بليس ويحرف نكرة ، الا ترى انك تقول : ليس احد ، وما من احد ، فجاز ذلك فيها ولم يجز في (اظن) . قال الشاعر : (البيت) فلو قيل : الا ووجهك انور ، كان صوابا . انظر : معاني القرآن ٨٢ / ٢ .

وانظر في تفصيل المسألة ارتشاف الضرب ايضا ٢ / ١٨٢ وفيه وقال لم يكن سراج لنا الا ووجهك انور .

(١٥٢)

* قول جرير: ما في عطائهم من ولا سرف (١)

قال: ليس من الإسراف؛ لأنه لو كان كذلك لم يكن مدحاً؛ لأنهم إذا اسرفوا في العطية فقد جادوا، وإذا قصرُوا فقد بخلوا، وإنما هو من الإغفال والخطأ هاهنا. أي: لم يضعوا معروفهم غير موضعه. وحكي عن أبي الجراح العقيلي عن أبي طيبة (٢) أنه قال: أردتكم فسرقتكم، أي أردتكم فصرت إلى غيركم.

* قال الشاعر (٣):

تاب جليح توبة قرشية مبارك غراء حين يتوب

وكان جليح فاتكا في زمانه له في النساء الطامحات نصيب (٤)

فيارب فاغفر للجليح ذنوبه فإنه يارباً إليك منيب

قال: الجليح: اسم ذكره، وقوله: توبة قرشية أراد أن يخلص توبته ويتنوق فيها، فقال: توبة قرشية أي خالصة لا يعود إلى شيء من المعاصي. وأنشد (٥):

وما يداوي من ضمير الحب رقية عراف ولا ذي طب

الا التزام ركب إرب تنزع منه العرد نزع الضب

والضب في صوانه مجبي

* وقال آخر:

وهمت رجال يشفعوا لي فلم أجد شفيعاً إليه غير جود يعادله (٦)

ويروى يقابله. أراد أن يشفعوا لي فأضمر أن وأعملها.

* وقال المهلهل (٧) يرثي أخاه:

قتلوا ربهم كليباً سفاهاً ثم قالوا: سفيهاً مقتولاً

يريد هذا سفيهاً فأضمر هذا.

* وقال النابغة:

(١) تمام البيت: أعطوا هنيئة يحدوها ثمانية ما في عطائهم من ولا سرف

شرح ديوان جرير ص ٢٨٩. جرير بن عطية الخطفي الشاعر الأموي المعروف تنظر ترجمته في الشعر والشعراء ٢٧٤ والبيت من قصيدة في مدح يزيد بن عبد الملك ويهجو آل المهلب، مطلعها:

انظر خليلي بأعلا ثرمداء ضحى والعيس جائلة اغراضها خنف

وهو في اللسان سرف: والسرف الخطأ، وأخطأ الشيء وضعه في غير حقه. والمقصود بالسرف الإغفال. كما في اللسان وقيل: ولا خطأ، يريد أنهم لم يخطئوا في عطيتهم ولكنهم وضعوها موضعها أي لا يخطئون موضع العطاء بأن يعطوه من لا يستحق ويحرموه المستحق.

(٢) وفي لسان العرب - (سرف) - نقل حديث أردتكم فسرقتكم عن أبي زيد الكلابي.

وأبو الجراح العقيلي وأبو طيبة من الاعراب الموثوق بهم أخذ عنهما علماء الكوفة مثل الفراء ينظر الزهر ٢ / ٤١٠.

(٣) لم نعرفه.

(٤) اللسان طمع: طمعت المرأة تطمع طماحاً وهي طامح: نشرت ببعلها.

(٥) لم نعثر على قائله.

(٦) البيت لم يسم قائله، ويروى: وهم رجال يشفعوا لي فلم أجد شفيعاً إليه غير جود يعادله. جمع الهوامع ١٧ / ٢، والدرر اللوامع ١٢ / ٢.

(٧) المهلهل بن ربيعة حياته وشعره ص ٢٢٥. والشرط الثاني مختلف وهو: ثم قالوا ما إن نخاف عويلاً. فبينتقي الشاهد فيه. قال السيوطي في الزهر ٣ / ٤٢٤ و ٤٢٦ وفي طبقات الشعراء لأحمد بن سلام أن اسمه عدي. وكان أول من قصد القصائد وذكر الوقائع المهلهل بن ربيعة التغلبي في قتل أخيه. وفي اللسان - ريب - قال ابن منظور: ولا يقال الرب بالالف واللام لغير الله وقد قالوه في الجاهلية للملك.

نظرت اليك بحاجة لم تقضيها
نظرت اليك باستحياء وانكسار طرف، لأنها لم تف بوعدها كما أن السقيم ينظر الى وجوه عواده بتكره وخضوع
انكسار طرف:
وقال النابغة:

ولا أنا مأمون بشيء اقله
وانت بأمر لا محالة واقع (٣)
نال ابن الاعرابي (٣) : يريد: لا محالة واقع بي فأضمر كما قال الشاعر:
ومقعد كربة قد كنت فيه
يريد مكان الاصبعين من القبال مني. فأضمر مني، واكتفى بالمعنى، كما قال الشاعر (٥):
ان الفواني من وعثن كذبته
حتى ينال كواكب الجوزاء
يريد: لا ينالهن حتى ينال كواكب الجوزاء، فأضمر واكتفى بالمعنى.
* وانشد الفراء (٦) قول الشاعر يصف القانص:

قد جعل الارطاة جنتين
يقال: لم قال: جنتين ولم يقل: جنة، وانما هي شجرة واحدة؟ فالجواب: انه إنما أراد انه جعلها جنة للقانص الذي
يريد أن يرمي الطي، وجنة للطبي، لأنها تسر كل واحد منهما عن صاحبه لكيلا يراه، فصارت جنة لهما جميعاً، فقال:
جنتين.
* وانشد الفراء:

ومهمهين فنفين مرتين
يقال: لم قال: ومهمهين ثم قال: قطعته ولم يقل: قطعتهما، قال الفراء: انما اراد به: ورب مهمه بعد مهمه
والأم: القصد والسمت: الطريق، ثم شناه على المعنى الاول. وقال الاصمعي (٨): انما اراد مهمهاً واحداً فضم اليه آخر
فسماهما مهمهين وانما هما واحد، والعرب تفعل مثل هذا، واحتج بقول زهير بن أبي سلمى:

(١) وفي ديوانه ص ٢٥: نظرت اليك بحاجة لم تقضيها

ونقل الدكتور شكري فيصل في هامش ص ٢٥، ٢٦ رواية عن ابي عبيدة:

ورنت اليك بمقلتي مكحولة

والبيت من قصيدة مشهورة للنابغة مطلعها:

امن آل مية رائج او مفتد

(٢) وفي ديوانه ص ٥١ ولا أنا مأمون بقولنا

(٣) هو محمد بن زياد ابو عبد الله بن الاعرابي، توفي سنة احدى وثلاثين ومائتين. ترجمته في طبقات النحويين ص ١٩٥ - ١٩٧ وبغية الوعاة ٢ / ١٠٥

(٤) البيت لعمر وذي الكلب، من كاهل وكان جارا لهذيل، يقول: توسعتها كما يتوسط قبال النعل الاصبعين.

والبيت من قصيدة مطلعها: الا قالت غزية اذ راتني

ينظر ديوان الهذليين، القسم الثالث ص ١١٩. والبيت غير منسوب في تحقيق الدكتور سليمان العايد.

(٥) لم نعرفه.

(٦) معاني القرآن للفراء ١٨/٢.

(٧) لخطام الجاشعي، ويرى: ومهمهين فنفين مرتين

ينظر الهمع ٤٠/١ والبر ١٥/١ والخزانة ٣٤/٢ وفي معاني القرآن للفراء ١٨/٢، رواية السراقي نفسها، وانظر المجالس ص ٣١٢ والبغداديات

للفارسي ص ٣٤. اللسان مهمه: المهمه: المفازة والبرية القفر. واللسان قنف: فلاة قنف.. اي بعيدة تقاذف بمن يسلكها. واللسان مرت: المرت:

مفازة لانبات فيها.

(٨) عبد الملك بن قريظ ٢١٦ هـ تنظر ترجمته في طبقات القراء ٤٧٠/١.

دارُ لأسماءَ بالغمَرينِ ماثلةٌ كالوحيِ ليس بها من أهلها أرمُ (١)

قال : إنما هو غمرٌ واحدٌ، وضُمَّ إليه آخرُ فسماهما الغمرينِ مثلُ قولهم : المرَّدينِ وإنما هو مرَّيدٌ واحدٌ.

* مسألة : يجوز أن يَجْيءَ في جوابِ أيُّهما عندك نَعَمُ أو لا على وجهين :

أحدُ الوجهين أن يجعل أي مصدرًا من قولك : أُوَيْتَ له أيُّ (٢) وتُحذفُ ألفُ الاستفهامِ.

والجوابُ الآخرُ أن تقولَ لرجُلٍ : هــ / جئتُكَ في حاجةٍ، وعلمتُ أنَّ لي عندك فيها نَعَمُ أو لا، فأَيُّهما عندك ؟ فيقول نَعَمُ أو لا. وهذا لغزٌ.

(١٥٢)

* وقال الشاعر :

إذا كوكبُ الخرقاءِ لاحَ بسُحرةٍ سهيلٌ اشاعتَ غزلُها في القرائبِ (٣)

يصفُ امرأةَ خرقاءٍ، يقولُ : خَرَقْتُ وفَرَطْتُ فلم تغزلُ حتى طلعَ سهيلٌ وجاءَ الشتاءُ فاستغزلتُ قرائبها.

* امرؤ القيس :

بردتُ مراشِفُها عليَّ فصدنيَ عنها وعن قُبلايَها البردُ (٤)

البردُ ههنا النومُ بعينه، يعني أنه عانقها، فلم يَشَمَّ طيبَ رائحتها، ووجدَ لِينَ مَسِّ جسدِها، ولِبرْدِ ثَنائِها واشفتيها على فيه ذهبَ به النومُ، فصَدَّه النومُ عنها وعن قُبلايَها.

* انشد القراءُ : (٥)

أحبُّ لُحبِّها السودانَ حتى أحبُّ لُحبِّها سودَ الكلابِ

قال : هذا رجلٌ عَشِقَ جاريةً بيضاءَ، وكان الذي يَخْتَلِفُ فيما بينهما جاريةً سوداءَ، فكان إذا اشتدَّ ما به من الوجدِ واتَّتهُ السوداءُ برسالتها استراحَ إلى ما تورَّدَ عليه من خبرها، وإذا ابطلتُ عنه السوداءُ اشتدَّ غمُّه وقلقه، فتشوفُ إلى كلِّ خيالٍ أسودٍ يراه من إنسانٍ أو كلبٍ أو غيرِ ذلك، فكان يحبُّ كلَّ شيءٍ أسودٍ لُحبِّها.

* وانشد لبعض الشعراءِ (٦) :

فلو أنَّ أُمِّي لم تلدني لحلقتُ بي العُربُ العنقاءَ عند بني كَلْبِ

هذا رجلٌ كانت أُمُّه كلبيةً، وكان أخواله من كَلْبٍ، فقاتلَ، فأَسْرَهُ رَجُلٌ من كَلْبٍ، فلما عرفَ أنَّ أُمَّهُ كَلْبِيَّةٌ خَلَّى سبيلَه، ولم يقتله، فقال : لو لم تلدني امرأةٌ من كَلْبٍ لَكُنْتُ قد قُتِلْتُ حين أُسِرْتُ.

* قال الأعشى :

(١) شرح ديوان زهير ١٤٦. و البيت من قصيدة يمدح فيها هرم بن سنان و مطلعها :

قف بالديار التي لم يحفظها القدم بلى و غيرها الا رواح و الديم.

اللسان - غمر : و الغمر و ذات القمر : مواضع. و اللسان - و حي / ابو زيد : من امثالهم : (وحي في حجر) يضرب مثلا لمن يكتف سره يقول الحجر لا يخبر احدا بشيء.

و اللسان - لرم : ما بالدار لرم .. اي ما بها احد .. و مثل له ببيت زهير المذكور .

اللسان - ريد : قال الاصمعي / المريد كل شيء حبست به الابل و الفنم، و لهذا قيل مريد النعم الذي في المدينة و به سمي مريد البصرة انما كان موضع سوق الابل.

(٢) لم نجد اويته له أي في الجمهرة و الصحاح و اللسان (أوا) و وجدنا اويته له أويًا و إويًا . و شرح اللفظ في الدراسة .

(٣) البيت من شواهد المفصل ٨١٢/، و انظر الخزائنة ١١٢/٣، و المعين ٢٥٩/٢. و اللسان (غرب) لان آخر كلماته في رواية اللسان القرائب بدلًا من القرائب .

(٤) امرؤ القيس بن حجر صاحب المعلقة ترجمته في الشعر و الشعراء ٧٥٥٠ و قد ذكر الدكتور سليمان العايد انه لم يجد هذا البيت في ديوانه و قد وجدناه في ديوانه ٢٢١. و قال ابو بكر الانباري : و يقال قد برد الرجل، اذا نام، من ذلك قوله عز وجل : لا يذوقون فيها بردًا ولا شرابًا (النبا ٢٤).

قال ابو عبيدة : معناه لا يذوقون فيها نومًا. و انشد بيت امرئ القيس . اراد النوم، و قال غير أبي عبيدة : البرد برد الشراب و زعموا ان العرب تصف فاه المرأة بالبرد، و احتجوا بقول النابغة : (الديوان ٢٧) :

زعم الهمام بأن فاهها بارد عذب إذا ما ذقتة قلت الرَّدْم الزاهر / ٢٩٧ (٥) معاني القرآن للقرافي ١٣٥/١

(٦) لم نهتد اليه و عثر عليه الدكتور سليمان العائد في المعاني الكبير لابن قتيبة منسوبًا للذهلي ٢٨١/١ و ليس في اشعارهم . اللسان عنق : العنقاء : طائر ضخم ليس بالعقاب و قيل العنقاء المغرب كلمة لا اصل لها.

الواهب المائة الهجان وعبيدها
السؤال عن هذا كيف تسوق هذه الابل اطفالها، وأطفالها خلفها وهي قد تقدمت. فانما اراد أنها اذا لم تتبع
أمهاتها حنت الامهات والتفتت / فحينئذ تنساق الاطفال.
ومثله قول الشاعر :
(٥٣ ب)

غدت لفرافنا سلمى، وسلمى
ترجيه وتلجفه إذا ما
كأم الخشف ذي الجدد الأغن
تخلف بالبعام وبالتحنن (٢)
فأراد أن أم الخشف تسوق الخشف ببعامها وبتحننها، وكان ينبغي ان يقول بالبعام وبالتحنن. وهذا على قوله :
تقصي البازي إذا البازي كسر (٢)
* انشد ابن الاعرابي :

ولنا روايا يحملون لنا
الروايا : القوم الذين يحملون الثيات وهم السادة.
ومثله قول حاتم طيبي :
اغزوا بني ثعل فالغزو دونكم
يقول : عدوا الاشراف، ولا تبكوا على من قتل.
قال الشاعر :

وداهية جرها جارم
يه قولان :
جعلت رداءك فيها خمارا (٦)
حدهما الرداء : السيف، يقول خمرت به رؤوس الناس : ضربتهم به، يقال : خمره بالسيف وجلله بالسيف إذا ضرب به،
بعممه بالسيف ايضا.
وفيه قول آخر، اراد انك جدت في هذه الحرب وتعصبت فيها بردائك كما قال النابغة :

- (١) ديوان الاعشى ص ٢٩، و البيت من قصيدة يمدح فيها قيس بن معد يكرب و مطلعها :
رحلت سمنة غداة اجمالها غصني عليك فما تقول بنا لها
و البيت من شواهد سيبويه، انظر : الكتاب ١/ ٩٤.
و انظر : المقتضب ١٦٢/ ٤، الخزائن ١٨١/ ٢، الهمع ١٤٩/ ٢، الدرر ٥٧/ ٢، ١٩٢
و يروي : الواهب المائة الهجان وعبيدها عودا تزجي بينها اطفالها
اللسان عود - عودا : الابل حديثة النشأ لأن ولدها يموذ بها أي يلوذ . اللسان - زجا ، تزجي : تسوق برفق . اللسان هجن : الهجان : كرام الابل .
(٢) لم نهتد الى قائلها .
اللسان - خشف . الخشف : الظبي بعد ان يكون جداية . و قيل هو خشف اول ما يولد . اللسان - جدد : حين جديد أي مقطوع . و الجدة نقيض البلى
يقال شيء جديد و الجمع اجدد و جدد . اللسان - غنن : ظبي اغن : يخرج صوته من خيشومه - اللسان بغم : بغام الظبية : صوتها . اللسان
(جني) تحننت الناقة على ولدها تعطف
(٣) للعجاج ديوانه ١٢٠ و المقرب ٢٥٨ .
(٤) البيت لعمر بن شاس الاسدي و الروايا : الابل في الاصل ينظر اللسان - روى و البيتان فيه هذا و الذي يليه و ينظر شعر عمرو بن شاس الاسدي
ص ٤١ و لم ينسبه الدكتور سليمان العائد في تحقيقه .
(٥) و في ديوان حاتم ص ٢٠٢ :
اغزوا بني ثعل فالغزو حركم
عدوا الروايا و لاتبكوا لن نكلا
(٦) للخنساء تماضر بنت عمرو الشاعرة الصحابية ديوانها ٥٥ مع اختلاف في مقدمته و قد نسبه اليها صاحب اللسان و بالرواية نفسها التي اوردها
السيرافي و شرحه كشرحه الاول ينظر اللسان - ردي .

يَقِي حَاجِبِيهِ مَا تُثِيرُ الْقَنَابِلُ (١)

يَحِثُّ الْحُدَاةَ عَاصِبًا بَرْدَانَهُ

* وقال الشاعر (٢):

أَوَاقِي سُدَى تَغْتَالُهُنَّ الْحَوَائِكُ

فَشَبَّهَتْهُمُ فِي الْآلِ حِينَ أَرَاهُمْ

الأواقي قصبة العائكة التي تكون فيها لحمه الثوب يرمي بها من هذا الجانب فتخرج من الجانب الآخر، فشبه هذه الابل التي عليها / الظعائن في الآل يخفون عليها مرة فيغيبون كما تغيب القصبة، ويظهرون أحياناً كما تظهر القصبة.

(١٥٤)

* وانشد لكثير :

وَأَنْتَ أَمْرٌ لَأَهْلٍ وَذَكَ تَارِكُ (٣)

تَجَنَّبْتُ سُدَى عَنُودٍ أَنْ تَزُورَهَا

وانما مدحه بهذا البيت؛ لأن معنى تارك مبق، أي انت تبقي مودتك لاهل وذك وتبقي عليهم، وفي القرآن ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمْ فِي الْآخِرِينَ﴾ (٤). ومعناه - والله أعلم - وابقينا عليه ثناءً حسناً وذكرًا حسناً.
* قال : يقال : فلان رخي اللب إذا كان حليماً، ورخي اللب إذا كان لا يملأ قلبه شيء ولا يجبن عند الحرب. ويقولون للذي يغضب سريعاً، وللجبان : إنه لضيق اللب (٥). قال الشاعر (٦) :

عِنْدَ أَهْلِهِمْ بِهَاسٍ وَهَبٍ
أُمِّهِتِي خَنْدِفٌ وَأَسْ أَيْسِي
إِنِّي لَدَى الْحَرْبِ رَخِي اللَّبِّبِ

• وقال الشاعر (٧) :

أَتَى النَّدَى فَلَا يُقَرِّبُ مَجْلِسِي مَرْتَحِقَاتِ كَيْتُورٍ عَاطِمٍ وَأَهْوَدُ لِلشَّرَفِ الرَّفِيعِ جِمَارِي
أَي لَا أَهْدُرُ أَنْ أَرْكَبَ مِنَ الْأَرْضِ، لِأَنِّي قَدْ ضَعُفْتُ وَصِرْتُ شَيْخًا، فَأَتَى إِلَى مَوْضِعٍ رَفِيعٍ لِيَمَكِّنَنِي أَنْ أَرْكَبَ.

(١) في الاصل يحث الحداة. اللسان قنبل : القنبلة : طائفة من الناس و من الخيل و في ديوان النابغة ص ١١٧ :

يحث الحداة جالزا بردانه يحي حاجبيه ما تثير القنابل

و نقل الدكتور شكري فيصل في الهامش رواية الاصمعي يحي حاجبيه الماثرات . و في هامش الديوان جالزا، و الجالز : الذي يشد وسطه و راسه بردانه و انما اخذ من جالزا لاسهم، و كل شد جلز . و البيت من قصيدة للنابغة يرثي بها النعمان بن الحارث .

(٢) لم نعرفه، الال : السراب ينظر اللسان - آل .

و في اللسان - سدا : السدى المعروف : خلاف لحمه الثوب و قيل اسفله و قيل ما مد منه و احدثه سدا .

(٣) البيت في ديوانه : تجنبت ليلي عنود ان تزورها و انت امرؤ في اهل ودك تارك

و البيت من قصيدة في مدح يزيد بن عبد الملك في ديوانه ٣٤٩

(٤) الآية مكررة في سورة الصافات ثلاث مرات في الآيات ٧٨، و ١٠٨، و ١٢٩ ينظر تفسير الطبري للآية .

(٥) ينظر اللسان - لب : اللب البال : التذهيب : يقال فلان في بال رخي و لبب رخي أي في سعة و خصب و امن .

(٦) هذا الرجز منسوب لقصي بن كلاب في الخزائن ٢٠٦/٢ و هو موجود برواية أخرى في جمهرة ابن دريد - هلا :

عند تناديهم بهال و هبي امهتي خندف و الياس أبي

و في المخطوط بهاب و هبي و كذلك و الياس بالهمز

(٧) لم نعرفه لكن بيته هذا في اللسان - شرف .

* وقال آخر :

نشين صِحاحَ البيدرِ كُلَّ عَشِيَةٍ
يعني أنهم يفتخرون عند باب الملك ويخطون في الأرض بقسيهم، فعلنا كذا وكذا. ومثله :
إذا اقتسم الناس فضل الفخار
أطلقنا إلى الأرض ميل العصا (٢)
ومثله : /

(٥٤ ب)

حكمت لنا في الأرض يوم محرق
يقول : ايامنا التي خططناها في الأرض حكمت لنا بفلق (٤) ذلك اليوم حيث تفاخرنا.
* وقال الشاعر :

لو جسر دجلة عن يزيد سألته
يعني انه وقف على الجسر فقاتل فمنعه وهو منقطع لا يحافز (٥) أحد وهو معقود.
* انشد بيت معنى :

على قلاص بُراها في مسامعها
يصف نساء بُراها في أذنها من القرط، من حيث ما ارتحلوا باتوا يحلون، يقول : يرتحلون من عندهن ويبيتون عندهن.
* انشد للأسود بن يعفر (٨)

أيا جازي الأقوام بالنعم أجزنا
فكائن كسرت من هتوف مرنة
فقدنا زعمنا حين نرفع نعشه
بأبان اسم شاعر كان معهم فاعتل فكانوا يتعاهدونه ويقومون بحوائجه. وقوله : وكائن كسرت من هتوف
مرنة يعني قوساً، وذلك انه ثقل فلم يطق القيام فكانوا اذا اراد الخروج حملوه على قسيهم. مرنه : ذات صوت، وقوله :
فقدنا زعمنا حين نرفع نعشه يعني انه كان / كثير الاكل، كبير البطن، ثقلاً.
(١٥٥)

* ابو مالك : اسم الهرم، وانشد :
أبا مالك إن القواني هجرني
وابو زيد الهرم، وانشد :

أبا مالك إني أظنك دائياً (٩)

- (١) (٢) (٣) الابيات في البيان والتبيين ٢٧٢/١ وفيه رواية البيتين الثاني والثالث كالآتي :
(٤) الجهمرة - فليج : فليج الرجل على خصمه و افلج اذا ظهر عليه و المصبر الفلج.
(٥) خرجه الدكتور سليمان العايد من المعاني الكبير ص ٩٧٢.

- (٦) الجهمرة - حفز : الحفز الاعجال - و حفزني اعجلني و ازعجني
(٧) لم تعرف قائله. و برى جمع برة : الحلقة في انف البعير. اللسان - بري
(٨) جاهلي ينظر الشعر و الشعراء ١٧٦-١٧٧. و في اللسان - فلكن : البيت الثاني و قد نسب للأسود بن يعفر وفيه قليل اختلاف
و كائن كسرنا من هتوف مرنه
على القوم كائن فيلكون المعابل
ينظر ديوانه ٥٧
قال ابن جني : ان سأل سائل فقال ما تقول في كائن هذه و كيف حالها هل هي مركبة او بسيطة ؟ فالجواب انها مركبة . والذي علقته عن ابي علي ان
اصلا كائن . اللسان - ايا . الهتوف المرنه : القوس ذات الصوت . اللسان - هتف . فيلكون المعابل : قوس عظيمة . الزعم : القوة .
(٩) نقل ابن منظور في اللسان - ملك عن ابن الاعرابي قوله : ابو مالك : كنية الكبر والسن كني به لانه ملكه و غلبه ونقل البيت المذكور مع اختلاف
في الكلمة الاخيرة اذ هي في المعجم دائياً. ثم قال وابو مالك الهرم وقال ابو مالك كنية الجوع ايضاً .

أُمار أبو زيد يميني سلاحه

وللدهر في صم السلام كلوم (١)

قال أبو سعيد: ذكر أبو عمرو الشيباني (٢) في الجيم (٣) أن عبيدة وعميلة جميعاً في غني ينسب اليهما عبيدي وعميلي بإثبات الياء. وأن بني حويزة من تيم الرباب. وحكت أبو سعيد من حفظه قال: نزل معاوية يحي من أحياء كلب، فقال لامرأة منهم: هل عندك من طعام؟ فقالت: عم يا أمير المؤمنين، خبز خمير (٤)، وحيس فطير (٥)، وماء نمير (٦)، ولبن جهير، فجاءته به فاكل، فلما اكل قال لها: حاجتك؟ فقالت: أهل الوادي والحى، قال لها: حاجتك في نفسك. قالت: أعيد بالله أمير المؤمنين أن ينزل وادياً فيدع له يرف وآخره يقف (٧).

قال الشيخ أبو سعيد: الجهير من اللبن الذي لم يخلط به ماء فهو خالص.

* وقال الاصمعي: سئل أسير في بعض الأحياء عن حاله، فحمد القوم وقال: كنت أوشر بالكسور وغرر القدور، وأغبق الوغير وأجلس على الوثير، وأجنبى اللهائد، وسقني الولاند. الكس: المفاصل، والوغير: اللبن يحمض بجحر يسخن ويلقى فيه، واللهائد: الضرب والذل، وتنصفي: تخدمني.

* وقال أبو حاتم (٨) في كتاب خلق الإنسان: أخبرني كيسان (٩) أبو سليمان مولى هجيم / عن العرب: أن الثعلبية الاست، وأنشد لحاتم:

بثعلبة تدمي وإني امرؤ عان (١٠)

فقلت لها إني اتيتك راغباً

قال: وأنشدني - ايضاً - :

على قلص أضرب بها الرسيم (١١)

نعالبهم من الإدلاج تدمي

ولم يعرف الاصمعي هذا.

قال الشيخ أبو سعيد: كيسان هذا هو الذي قال فيه أبو عبيدة (١٢): انه يمسخ العلم أربع مرار: يكتب غير ما يسمع، ويسمع غير ما يقال، ويحفظ غير ما يكتب، ويتحدث بغير ما يحفظ. * قال أبو القاسم بن جبر: سألني بعض أصحابنا عن قول الشاعر:

(١) لم نقض عليه .

(٢) لغوي الكوفة . ت نحو ٢٠٥ هـ . ينظر تاريخ بغداد ٢٢٩/٦ ومعجم الادباء ٧٧/٦ .

(٣) الجيم ١٨٩/٢ .

(٤) نقل صاحب اللسان - (خمس) القول مقتطعا فقال : يقال : عندي خبز خمير وحيس فطير . أي خبز بانث، وقد نقله الدكتور سليمان العائد . وليس المقصود بالبانت الذي مر عليه يوم وليلة إنما المقصود الذي خمر عجينة فذهبت فطوره .

(٥) وفي - فطر قال : وفي حديث معاوية : ماء نمير وحيس فطير أي طري قريب حديث العمل . وفي - حيس : الحيس : التمر البرني والاقط يدقان ويعجنان بالسمن عجنا شديدا حتى يندر النوى منه نواة نواة ثم يسوى كالشريد .

(٦) وفي - نمر قال : الماء النمير : الناجع في الري .

(٧) وفي - راف قال : يقال للشئ اذا كثر ماؤه من النعمة والفضاضة حتى يكاد يهتز : راف يرف رقيفا . وفي حديث معاوية قالت له امرأة : اعيدك بالله ان تنزل واديا فتدع اوله يرف وآخر يقف . وفي - قف قال : قفت الارض تقف قفا وقفوقا : يبس بقلاها .

(٨) السجستاني سهل بن محمد . ت ٢٥٥ هـ . ترجمته في انباه الرواة ٥٨/٢ .

(٩) ترجمته في انباه الرواة ٢٨/٢ .

(١٠) لم نجده في ديوان حاتم الطائي فلعله قصد به اخر او اخل به ديوانه .

(١١) لم نهتد اليه . في اللسان - دلج : ادلجوا ساروا الليل كله . والفعل الادلاج . وفي - رسم : رسمت الناقة ترسم رسيما : اثرت في الارض من شدة وطنها .

(١٢) ابو عبيدة معمر بن المثني . توفي بين ٢٠٨ - ٢١٢ هـ . تنظر ترجمته في معجم الادباء ١٥٤/١٩ .

أَهْشَمَ بِاللَّهِ بِمِثْنًا وَالضُّحَى
لَأَنْتَ خَيْرٌ مِنْ تَفَارِيقِ الْعَصَا (١)
فَقُلْتُ : بِحْتَمَلٍ أَنْ يَكُونَ عَنَى فَرَسًا لَهُ ، وَأَهْشَمَ عَلَيْهَا بِاللَّهِ وَالضُّحَى أَنَّهَا خَيْرٌ أَيْ مَبَارَكَةٌ ، وَلَيْسَ خَيْرٌ هُنَا مِنْ بَابِ
أَفْعَلَ فَيَكُونُ يَتَعَلَّقُ بِمَنْ . وَلَكِنَّهُ أَرَادَ أَنْتَ خَيْرٌ ، ثُمَّ قَالَ : مِنْ تَفَارِيقِ الْعَصَا أَيْ أَنْتَ مِنْ تَفَارِيقِ الْعَصَا . وَالْعَصَا : فَرَسٌ كَانَتْ
لِقَصِيرٍ (٢) ، وَهِيَ الَّتِي نَجَا عَلَيْهَا عِنْدَ قَتْلِ الزَّبَاءِ جَنْيَمَةً ، وَتَفَارِيقُهَا مَا نَتَجَ مِنْهَا فِي الْقَبَائِلِ .
وَقِيلَ فِيهِ غَيْرُ هَذَا قِيلَ : إِنْ أَمْرًا أَخَذَ ابْنُهَا فَقَطَعَتْ يَدَاهُ وَرَجَلَاهُ فَطَالَبَتْ بَدَيْتَهُ فَخَفَعَتْ إِلَيْهَا فَقَالَتْ تَخَاطَبُهُ :
أَنْتَ خَيْرٌ مِنْ تَفَارِيقِ الْعَصَا الَّتِي تَجْعَلُ مِنْهَا الشُّظَاظَانَ وَغَيْرُ ذَلِكَ لِلرَّحْلِ .
* قَالَ أَبُو سَعِيدٍ : يُقَالُ : الْيَرْنَا وَالْيَرْنَا بِالْفَتْحِ وَالضَّمِّ : الْحِنَاءُ .
وَأُنْشِدَ لِبَعْضِ بَنِي أُسْدٍ :

كَأَنَّ بِالْيَرْنَا الْمَعْلُولِ مَاءَ دَوَالِي زَرْجُونٍ مِيلِ (٣)
* قَالَ أَبُو سَعِيدٍ : يُقَالُ : دَرْجَةٌ وَدَرْجَةٌ وَأَدْرَجَةٌ (٤) ، وَشَكٌّ فِي دَرْجَةٍ ، وَهِيَ الَّتِي يَصْعَدُ عَلَيْهَا .
* قَالَ أَبُو الْقَاسِمِ بْنُ جَرَوٍ : سَأَلْنَا أَبَا سَعِيدٍ عَنْ بَيْتِ أَنْشَدَهُ أَبُو عَمْرٍو الشَّيْبَانِيُّ فِي كِتَابِ الْجِيمِ (٥) فِي حَرْفِ الْعَيْنِ : / (١٥٦)

فَلَوْ أَنَّ أُمِّي لَمْ تَلْنِي لَجَرَنِي إِلَى جُحْرِهِ أُعْثَى مِنَ الضَّبِيعِ أَهْلِبِ
فَسَأَلْتُهُ عَنْ تَفْسِيرِهِ فَقَالَ : هَذَا عَلَى الْمُبَالَغَةِ كَأَنَّهُ قَالَ : لَوْ كُنْتُ فِي الْعَدَمِ لَمْ أَوْلَدْ لَكُنْتُ مَعْنَى يُقَاتِلُ فَيُقْتَلُ فَتَجَرُّهُ الضَّبِيعُ ،
وَأَمَّا أَرَادَ بِهَذَا لَزُومَ الضَّبِيعِ لِلْجَرِّ وَلَزُومَهُ لِلْقِتَالِ ، وَبَالِغٌ حَتَّى أَحَالَ . وَمِثْلُهُ قَوْلُ أَبِي نَوَاسٍ (٦) :
لَتَخَافُكَ النُّطْفَةُ الَّتِي لَمْ تُخْلَقِ حَتَّى إِنَّهُ
قَالَ أَبُو الْقَاسِمِ : (فَلَمْ يَصِحْ لَنَا مَعْنَاهُ فِي الْوَقْتِ) (٧) ثُمَّ نَظَرْتُ فِي مَعْنَاهُ بَعْدَ فَلَمْ أَرِ الْوَجْهَ مَا فَسَّرَهُ بَلْ رَأَيْتُ مَعْنَاهُ أَنَّهُ
رَجُلٌ أَسْرَهُ قَوْمٌ أَخَوَالَهُ يَقُولُ : فَلَوْ أَنَّ أُمِّي لَمْ تَكُنْ مَعْنَى هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَقَتَلُونِي وَلَمْ يَأْسِرُونِي .
وَمِثْلُهُ :

فَلَوْ أَنَّ أُمِّي لَمْ تَلْنِي لَحَلَقْتُ بِي الْمَغْرِبُ الْعَنْقَاءُ عِنْدَ بَنِي كَلْبِ
وَقَدْ مَرَّ تَفْسِيرُهُ فِي هَذَا الْجُزْءِ .

- (١) نَقَلَ صَاحِبُ اللِّسَانِ - فَرَقَ الرِّجْزَ بِبَيْتٍ مُخْتَلَفٍ أَوَّلًا هُوَ : أَشْهَدُ بِالْمَرْوَةِ يَوْمًا وَالصِّفَا
وَبِبَيْتٍ ثَانٍ اخْتَلَفَتْ بَعْضُ الْقَاضِيَةِ هُوَ : أَنْكَ خَيْرٌ مِنْ تَفَارِيقِ الْعَصَا . وَنَقَلَ عَنْ ابْنِ بَرِّي أَنَّ الرِّجْزَ لُغْنِيَّةُ الْأَعْرَابِيَّةِ . وَقِيلَ لِأَمْرَةٍ قَالَتْهُمَا فِي
وَلَدِهَا وَكَانَ شَدِيدَ الْعَرَامَةِ مَعَ ضَعْفِ اسْرِ وَدَقَّةٍ وَكَانَ قَدْ وَاثَبَ قَتَى فَقَطَعَ أَنْفَهُ فَأَخَذَتْ أُمَّهُ بَدَيْتَهُ ثُمَّ وَاثَبَ آخَرَ فَقَطَعَ شَفْتَهُ فَأَخَذَتْ أُمَّهُ بَدَيْتَهَا
فَصَلَحَتْ حَالُهَا فَقَالَتْ الْبَيْتَيْنِ تَخَاطَبَهُ بِهِمَا .
- (٢) وَفِي اللِّسَانِ - عَصَا : وَالْعَصَا : اسْمُ فَرَسٍ عَوْفٍ بَنِ الْأَحْوَصِ ، وَقِيلَ فَرَسٌ قَصِيرٌ بَنِ سَعْدِ اللَّخْمِيِّ ... قَالَ الْأَزْهَرِيُّ : كَانَتْ الْعَصَا لَجَنْيَمَةِ الْأَبْرَشِ وَهِيَ
فَرَسٌ كَانَتْ مِنْ سَوَابِقِ خَيْلِ الْعَرَبِ .
- (٣) فِي اللِّسَانِ - زَرْجُونٌ ذَكَرَ ابْنُ مَنْظُورٍ أَنَّ بَيْتِي الرِّجْزِ لِلدَّكِينِ بَنِ رَجَاءٍ وَقِيلَ لِمَنْظُورِ بَنِ حَبِيبَةَ . وَالزَّرْجُونُ بِالتَّحْرِيكِ : الْكَرَمُ . أَوْ هُوَ قَضْبَانُ الْكَرَمِ . أَوْ
هُوَ صَيْغُ أَحْمَرٍ . أَوْ هُوَ الْخَمَرُ . وَقَدْ زَادَ ابْنُ مَنْظُورٍ بَيْتَيْنِ آخَرَيْنِ فِي حَبِيبَتِهِ عَنِ الْيَرْنَا وَالْيَرْنَاءِ وَقَالَ فِي حَدِيثِ قَاطِمَةَ رَضْوَانَ اللَّهِ عَلَيْهَا : أَنَّهَا
سَأَلَتْ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) عَنِ الْيَرْنَاءِ فَقَالَ : مِمَّنْ سَمِعْتَ هَذِهِ الْكَلِمَةَ ؟ فَقَالَتْ : مِنْ خَنَسَاءَ .
- (٤) فِي جَهْمَةِ اللُّغَةِ - دَرْجٌ : الْأَكْرَجَةُ : الَّتِي تَسْمِيهَا الْعَامَّةُ دَرْجَةً ، وَالْدَرْجَةُ فِي وَزْنِ رُطْبَةٍ أَفْصَحُ مِنَ الدَّرَجَةِ . وَفِي حَاشِيَةِ الْمَخْطُوطَةِ اثْبَتَ : قَالَ الْأَنْثَرِيُّ
: وَسَمِعْتُ الْفَرَّاءَ يَقُولُ : دَرْجَةٌ .
- (٥) كِتَابُ الْجِيمِ : ٢٢٦/٢ غَيْرُ مَعْرُوفٍ . وَالْأَعْثَى : الضَّبِيعُ الْكَبِيرُ كَثِيرُ الشَّعْرِ . وَالْأَهْلِبُ : خَشْنُهُ . يَنْظُرُ اللِّسَانُ - عَنَّا وَهْلِبُ .
- (٦) الْبَيْتُ : وَاخْفَتِ أَهْلُ الشَّرْكِ حَتَّى إِنَّهُ لَتَخَافُكَ النُّطْفَةُ الَّتِي لَمْ تُخْلَقِ
دِيَوَانُهُ ٤٠١ . وَالْبَيْتُ مِنْ قَصِيدَةٍ فِي مَدْحِ الرَّشِيدِ .
- (٧) هَذِهِ جُمْلَةٌ اثْبَتَهَا النَّاسُخُ فِي الْهَامِشِ وَهِيَ مِنَ الْأَصْلِ وَلَمْ يَشِرْ إِلَى مَوْقِعِهَا فِي الْمَتْنِ . وَضَعْنَاهَا هُنَا وَبَدَا لَنَا أَنَّ ذَلِكَ أَنْسَبُ مِنْ وَضْعِهَا قَبْلَ قَالَ أَبُو
الْقَاسِمِ كَمَا وَجَدْنَا فِي تَحْقِيقِ د. سَلِيمَانَ الْعَايِدِ .

★ المُولَه : العنكبوت (١)، وأنشد :

تمشي إلى الماء كمشي المُولَه (٢)

قال أبو سعيد : هذا البيت يروى على الإطلاق إطلاق (له)، وعلى التقييد. فمن أطلق قال : المُولَه من المُولَه ؛ لأنه يُقال : أولهت الرجل فهو مُولَه (٣)، ومن رواه بالتقييد ففيه وجهان : يكون المُولَه العنكبوت ويكون المُولَه من المُولَه، ففي العنكبوت تكون الهاء للتانيث، ولا يجوز إطلاقها لا تصير تاءً مجرورةً ومعها مرفوعٌ، وهو :
حاملةٌ دلوك لا محمولةٌ

فلا يجوز في هذا البيت ولا الذي قبله إلا التقييد.

★ قال الأعشى (٤) :

ونهيض ظالعا فلي
س لعظم مكسور جباره (٥)

يقول : ما ظلع من مألنا نحرنا وأطعمناه الناس، ولا نجرد وندأويه.

★ وقال طرفة (٦) :

رأيت سعوذاً من شعود كثيرة
أبر وأوفى ذمةً يعقدونها
فلم أر سعذاً مثل سَعْدِ بْنِ مَالِكٍ (٧)
وخيراً إذا ساوى الذرى بالحوارِك

يعني هزلت الأبل فتساوت أسنمتها بحوارِكها (٨)، وإنما يكون في الجذب يقول : يبذلون خيرهم للناس في هذه السنة.

(٥٦ ب)

★ إذا قلت : ليس يكون زيد قائماً جاز من جهتين : أحدهما أن يجعل زيد اسم يكون وقائماً خبرها، وفي ليس اسم مضمراً، وهو الأمر، والجملة خبر ليس. والجهة الأخرى أن يكون زيد اسم ليس، ويكون خبرها، وفي يكون اسم مضمراً وهو هو، وقائماً خبر يكون.

★ ثمان بمنزلة رجل يمان منسوب إلى اليمن خُفِّفَتْ ياء النسب فيه وأُحِقَّت الألف بدلاً فيها (٩)، قال الأعشى :

ولقد شربت ثمانياً وثمانياً
وثمان عشرة واثنتين وأربعاً (١٠)

فصرف ثمانياً، إذ كان على ما أخبرتكَ.

(١) وفي اللسان - - وله : نقل ابن منظور عن ابن دريد استاذ السيرافي قوله : وزعم قوم من اهل اللغة ان العنكبوت تسمى المولة ، قال : وليس بثبت .

(٢) وفي اللسان ايضا رواية ابي عمرو لهذا البيت : تمشي من الماء كمشي المولة .

قال ابن بري : يعني انها دلو كبيرة فاذا رفعها من البئر رفع معها الدلاء الصغار فهي ابدا حاملة لامحمولة لان الدلاء الصغار لاتحملها .

(٣) اللسان - - وله : المولة : الحزن وقيل هو ذهاب العقل والتحير من شدة الوجد او الحزن او الخوف ... المولة مفعول من المولة .

(٤) الأعشى هو ميمون بن قيس ، جاهلي أنكر الاسلام ولم يسلم . ينظر الشعر والشعراء ١٧٨ .

(٥) اخل به ديوانه ونظنه قد سقط من قصيدته التي يهجو بها شيبان بن شهاب الجحدري وهي من مجزوء الكامل ومطلعها .

يا جارتا ما كنت جاره

بانت لتحزنا عفاره

أر من الابيات المطموسة التي لم يستطع المحقق قراءتها ، وأشار الى بعض كلماتها .

اللسان ظلع : ظلع الرجل والداية في مشيه يطلع ظلعا : عرج وغمز في مشيه . واللسان - هيص : هاض الشيء هيصا : كسره . وهاض العظم .. كسره بعد الجبور او بعدما كاد ينجر .

(٦) ينظر الشعر والشعراء ١١٧ .

(٧) ديوانه . ٩٩ وفيه من (من شعوب) وفي المخطوطة من شعود وفي الديوان (فلم ترعيني مثل سعد) والبيت من شواهد سيبويه ٢٩٦/٣ في جمع سعد على شعود . وقد اثبت د. سليمان العايد في تحقيقه اذا ساء الذر بالحوارِك .

وقال ابو العباس المبرد (في المقتضب ٢٢٠/٢) . لو سميت رجلا (عمرا) او (سعدا) تقول في الكثير عمور ، وسعود ، كما كنت قائلا : فلس وأفلس وفلوس ، واستشهد بهذا البيت من دون ان ينسبه وسعد بن مالك ، هو : سعد بن مالك بن ضبيعة ، أحد شعراء العرب وفرسانهم في الجاهلية .

(٨) اللسان - حرك : الحرك : أعلى الكاهل .

(٩) في شرح السيرافي لكتاب سيبويه ٢٧٥/٤ . وقد ذكر ان بعض العرب ترك صرف ثمان على مذهب الجمع كأن الواحد ثمني والجمع ثمان .

(١٠) المقرب ٢٢٧ ، منهج السالك ٧٢/٤ ، لسان العرب (ثمن) وليس في ديوانه وهو منسوب له في الشعر والشعراء ١٧٨٩ وفي كشف المشكل في النحو ٦٨ .

وشبيه به - وان لم يكن مثله في النسب - يردون رباع، فاذا نصبت قلت: ركبت يردونا (١) رباعياً.
* اعلَمْ أَنَّ كُلَّ مُذَكَّرٍ سَمِيَّتُهُ بِاسْمِ مُؤَنَّثٍ عَلَى ثَلَاثَةِ أَحْرَفٍ فَإِنَّهُ مُنْصَرَفٌ فِي الْمَعْرِفَةِ وَالنَّكَرَةِ سِوَاكَ كَانَ وَسْطُهُ سَاكِنًا أَوْ مُتَحَرِّكًا.

فإن جاوز الاسم ثلاثة أحرف فصاعداً لم ينصرف في المعرفة كرجل سميته بزئب أو كراع. وإن سميته بذراع صرفته ولم تصرفه؛ لأن الذراع تُذَكَّرُ وتؤنث. فإن سميته المؤنث باسم مذكر لم ينصرف في المعرفة (٢) قلت حروفه أو كثرت سكن الأوسط منه أو لم يسكن كأمراة سميته بزئب وجعفر.

فإن سميته المذكر بالمذكر انصرف في المعرفة إلا أن يكون فيه علة أخرى، فلا ينصرف كرجل سميته بزئب ويذهب ويدنار أو فرزدق. وإن سميته رجلاً بضرب لم ينصرف (٣)؛ لأن هذا مثال يخص الأفعال، فإن قيل: فقد جاء بقم قيل: هذا أعجمي، وليس بعربي.

فإن صغرت ضرب أو ضرب وسميت بهما انصرفا / كقولك ضرب وضرب، لانهما قد آلا في حال التصغير إلى مثال عمير وجعفر فلذلك انصرفا (٤).

فإن سميت رجلاً بقم (٥) قلت: هذا قوم قد جاء، ورأيت قوماً، ومررت بقوم، فرددت الواو؛ لأنها كانت تسقط في الأمر لا لتقاء الساكنين، فلما تحركت الميم للأعراب رددت الواو وصرفته؛ لأنه ليس في أوله زائد يمنع، ووزنه فعل فهو يشبه قفلاً وخرباً من الأسماء.

* لو قلت: ضربت اللذين ضرباً عمراً أباك وأخاك نصبتهم على البدل من اللذين فإن جعلتهما بدلاً من الالف رفعتهما، لأن الالف مرفوعة؛ لأنها ضمير عن الفاعل. ولو قلت: جاءني اللذان مر بهما زيد خالد وبشر رفعتهما، لأنهما بدل من اللذان، فإن قلت: خالد وبشر جاز ذلك على البدل من هما.

* لا يقع الاستثناء بعد ما زال ولم يزل، لأن هذه الأشياء تحقيق، والاستثناء معناه التحقيق ولا يدخل تحقيق على تحقيق.

* تكتب لثمان خلون بغير ياء، فاذا أضفت إلى الليالي كتبت لثماني ليال خلون.
* إذا قلت: جاءني القوم ما خلا زيدا وما عدا خالدًا بخلا وعدا، لانهما في صلة ما، ولا يكون في صلة ما الأفع (٦).

* قال الشاعر (٧):

لو غيره قرع المنابر بعده لنكرنه فنبذنه عنهنه

* قال الشيخ أبو سعيد السيرافي رحمه الله: لما بنى هشام بن عبد الملك بن مروان المسجد الجامع بدمشق وجد فيه رقعة فيها:

(١) البراذين من الخيل ما كان من غير نتاج العراب. ينظر اللسان - يردن. ورباعياً: هو للذي يلقي رباعيته وهي إحدى الأسنان الأربع التي تلي الثنايا.

(٢) جعل السيرافي لهذا كلاماً متابعاً للكتاب في شرحه ٢٨٨/٤ باب تسمية المؤنث.

(٣) ينظر كشف المشكل في النحو ٢٢ وما ينصرف وما لا ينصرف ٥١.

(٤) في شرح السيرافي للكتاب ٢١٢/٤ ذكر التصغير في شبه الفعل قال إنه على ثلاثة أوجه في حكم الصرف فمنها اسم لا ينصرف في التصغير والتكبير نحو هذا الباب وغيره. واسم لا ينصرف فاذا صغر انصرف ... الخ.

(٥) في شرح السيرافي للكتاب باب لما ينصرف من الأفعال إذا سميت به رجلاً ويبدأ في ٢٢٤/٤ قال في أوله هذا الباب يذكر فيه من سمي بفعل لا ضمير فيه ولا زيادة في أوله وله نظير من الأسماء. فابو عمرو ويونس والخليل يرون صرف ذلك وعيسى بن عمر لا يرى صرف ذلك في المعرفة.

(٦) قال السيرافي في شرحه للكتاب ٢٢٦/٢ وأما ما عدا وما خلا فلا خلاف بين البصريين والكوفيين انهما موضع نصب وإن ما خلا كالمصدر وفاعل عدا وخلا مضمير تقديره ما عدا بعضهم وما خلا بعضهم كأننا قلنا: اتاني القوم مجاوزتهم زيدا.

(٧) لم نعرفه.

لعمرك قبل اليوم ما لم توفق
برمانها فعل الزكي الموفق
لك الويل لا تزني ولا تتصدقني (١).

رايتك تبني مسجدا من خيانة
كسارقة الرمان ثم تصدقت
فقال لها اهل النباهة والتقى

وقال جرير (٢):

ولقد نظرت ورد نظرتي الهوى
بكثيب رامة والمطي سوام
يقول : نظرت نحوها يعني نحو المرأة التي يحبها، فحملني هواي على أن نظرت الثانية، والسوامي: المرتفعات في السير.
آخر كلام السيراهي، والحمد لله أولا وآخرا، وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم تسليما.

صورة الصفحة الاولى من المخطوط

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَأَيُّهَا مَنْ هَذَا السِّرِّي فِي حِمْلِ اللَّهِ



رَقِيحَةٍ تَكْتُمُ أَخْرَجَ عَنْ غَيْرِهِ

من وسعه السبيل في الميزان الكتاب مثل التوراة
والأنبياء والكذب التي تتجاوز قرآنهم والمثل وأشهر قول النابغة
تجلى لهم ذات الإله ودينهم قوم فما يربحون غير العواقب
ورؤى قومهم لهم إراد بقوله تجلنهم الكتاب الذي
يبرز من عند من كتب الله المنزلة وكانوا نبيارزى

(١) في نهاية نص المخطوطة بعد ان قال اخر كلام السيرافي ... قال ويروى عن علي بن ابي طالب (ع) انه مر بمسجد الكوفة فقال من بنى هذا ؟ فقالوا فلان يا امير المؤمنين ، وكان عاملا له يتهمه بقلوب في اموال المسلمين فكتب على الجص في ناحية منه

رايتك تبني مسجدا من خيانة
كساحبة الرمان لا زنت به
فقال لها اهل البصرة والتقى
لك الويل لا تزني ولا تتصدقني

بحزير رامة والمطي سوام

كذب العواذل لو راين مناخنا

(٢) ديوانه ٥٥٢ وفيه اختلاف وروايته :

[illegible]

وقالوا يا محمد انك تعلم ان الله تعالى عليه السلام انما امر بشجر بلالفة
 فقال مزينة هذا فقالوا اعلان يا مبير المؤمنين و كان عايلا
 لا يتقيه يعلو في اموال المسلمين فذبح على الحجر
 في ناحية منه
 في ايام بني قيس من خيالة فذبح بميراثه غير موافق
 فذبحته الرمان لقارنت يد جرت مثلا للما بين المتصدين
 فقال لها اهل البصيرة والنفقة لا الويل لا تزود ولا تنقص
 وقالوا يا محمد انك تعلم ان الله تعالى عليه السلام انما امر بشجر بلالفة
 فقال مزينة هذا فقالوا اعلان يا مبير المؤمنين و كان عايلا
 لا يتقيه يعلو في اموال المسلمين فذبح على الحجر
 في ناحية منه
 في ايام بني قيس من خيالة فذبح بميراثه غير موافق
 فذبحته الرمان لقارنت يد جرت مثلا للما بين المتصدين
 فقال لها اهل البصيرة والنفقة لا الويل لا تزود ولا تنقص

الدراسة

المادة والمنهج :

إذا قلبنا صفحات هذه المخطوطة وتأملنا سطورها نستطيع ان ندرك اننا معظمها ملاحظات سريعة في المعاني والنحو . وفي مجال المعاني يعرض النص بمرافقة معناه والغالب ان يترك استنتاج المعنى انعام للقارئ وذلك بالاكتفاء بإشارة الى المراد بكلمة او كلمتين . وقد يؤتى بنص آخر يعزز صحة المعنى المشار اليه . وقد تشرح قصة النص فيتضح معناه . يمثل ذلك قوله عند البيت :

((ولنا روايا يحملون لنا اثقالنا اذ يكره الحمل

الروايا : القوم الذين يحملون الديات وهم السادة .

ومثله قول حاتم طيء :

اغزوا بني نعل فالغزو دونكم عدوا الروايا و لا تبكوا لمن قتلا

يقول عدوا الاشراف ولا تبكوا على من قتل))

يبين السيرا في المعنى من وجوه عدة ويوصل اليه بالطرائق الاتية :

١ - بالبحث الصرفي في الكلمات

٢ - بالالتفات الى القضايا النحوية

٣ - من خلال اختيار أحد معاني المشترك اللفظي

٤ - بذكر المرادفات

٥ - بتعريف الكلمات وتفسيرها بوصف مدلولها

٦ - بملاحظة الكلمات في سياقاتها

وقد ذكر ياقوت في معجم الادباء ان السيرا في كان يسأل عن كلمات وابيات شعر ومسائل اخرى فله جواب لسؤالات سأله ابو جعفر ملك سجستان بلغت سبعين مسألة في القرآن ومائة كلمة في العربية وثلاثمائة بيت من الشعر واربعين مسألة في الاحكام وثلاثين مسألة في الاصول عن طريق المتكلمين . ومثلها جوابات لسؤالات من المرزبان بن محمد ملك الديلم سأله عن مئة وعشرين مسألة و جواب لسؤالات من نوح بن نصر تزيد على اربعمائة مسألة تغلب عليها الصعوبة وجواب لسؤالات من ابن حنزابة جمعها له الدار قطني . فالذي نجده في هذه المجموعة من التعليقات شروح فيها منافذ تلك الخيرة الواسعة التي تمثلت في اجوبته عن ما سئل عنه .

ولان ما بين ايدينا امال لدروس السيرا في فانها تحتوي ما يحتويه كل درس عادة من تداعيات حرة . ولان هذه الامالي رهن بكانتها يسجل ما يشاء فيها وبالطريقة التي يشاء فاننا نتبع منهجها وننظمها في سلك يضمها ولكننا نفقد احيانا هذا النظم ولا نتبين رابطا يربط بعض الملاحظات بغيرها في المجموع . ولكن المعنى بالتأكيد هو الابرز في اكثر المواضع . والاتي سرد لمحتويات المخطوطة مشفوعا بتتبع مواضعها في منهج دراستها .

١ - ابدال نادر نقل عن العرب في بيت في كلمة اتمنت ومن خلال معرفة هذا الابدال تبين ان المعنى اتمنت ويدخل في معرفة المعنى عن طريق التحليل الصرفي .

من تداعيات الابدال قوله (علامة الاضمار ليست باصل في حتى لأنها لو كانت اصلا لغيرت كما غيرت مع على والى فقليل حثيه كما قيل اليه وعليه) . فهنا لم يحدث الابدال المتوقع والى ذلك استند الرد على الكوفيين القائلين بدخول حتى على الضمائر .

معاني القسقام (المشترك اللفظي) : السريع ، الجوع ، اسم نيت . مثل لها بابيات . ثم ذكر ان معنى النسقام : الجوع .

فهذا ابدال القاف نونا والمعنى واحد . ومن تداعيات هذا المعنى قوله ايضا : وأبو عمرة : الجوع

ابدال السين ياء في أبيات لغير ضرورة في سادسة ، قال الشاعر

ومن قبلها وارىت خمسا حلائلا وسادية اعتدها من رجائيا

(١) ٨ / ١٧٩

٥- من تداعيات الابدال في الاعداد قوله وقال آخر في الخامي وهو يريد الخامس
ثلاثة آباء كرام ورابع

وقد اتبع بشاهد آخر انشده الكسائي للخامي .

٦- ومن ذلك ايضا قوله : وقال آخر

وقد مرت سنين بعد عهدي ثمانية وهذا العام تاسي

والتاسي هو التاسع ابدلت العين فيه ياء . فمن معرفة الابدال في هذه الاعداد عرفت معانيها ودلالاتها وهو في التحليل
الصرفي لهذه الكلمات . وقد قلنا ان (٥ و ٦) في تداعيات الابدال للاعداد لأنها تدخل في الضرورة الشعرية ولا يدخل سابقها
في ذلك . مع ان القيرواني قد ادخلها جميعها (الضرائر الشعرية) . لانه عرف سادي اي سادس في نهاية بيت آخر ولم يطلع
على كل الابيات كما يبدو . والبيت الذي في كتابه هو :

بو يزل اعوام اذاعت لخمسة وتعتلني ان لم يق الله ساديا

٧- اضمار الواو في قوله :

ما احمل السيف الا قد ضربت به ولا تببت جيادي وهي اغمار

قال الكسائي : معناه ما احمل السيف الا وقد ضربت به فاضمر الواو وقد نقل هذا القول السيرافي فاوضح المعنى . التحليل
النحوي للنص . وقد ضرب أمثلة ثلاثة أخرى من الشعر فيها اضمار الواو .

٨- معنى السرف (مشترك لفظي) في بيت ذكر عجزه وهو قول جرير :

ما في عطائهم من ولا سرف

وصدره : اعطوا هنيئة يحدوها ثمانية

ولعله من تداعيات ذكر الاعداد السابقة وآخرها البيت المذكور اولا في (٦) بين النقاط التي نذكرها للمتبحر وقد استشهد له
بنص نثري عن الاعراب .

٩- من تداعيات غموض المعنى ذكره ابياتا ثلاثة لمعنى فاحش فهذه لابد فيها من تقليل الوضوح . شرح منها ما يحتاج الى
شرح . ثم انشد خمسة ابيات رجزية في معنى فاحش آخر . لم يشرح منها شيئا .

١٠- عود الى الاضمار ، قال :

وهمت رجال يشفعوا لي فلم اجد شفيعا اليه غير جود يعاد له

..... اراد ان يشفعوا لي فاضمر ان واعملها . ويدخل في التحليل النحوي لتوضيح الدلالة .

١١- اضمار اسم الإشارة ممثلا ببيت . وتعليقه يوضح المضمرة في البيت ما هو ؟ لفهم المعنى .

١٢- في قول النابغة :

نظرت اليك بحاجة لم تقضها نظر السقيم الى وجوه العود

شرح السيرافي للبيت اوضح ان المضمرة في لم تقضها تقديره هي وليس : انت . و الاخير مما يتبادر الى الذهن لولا
التوضيح فلا يفهم المعنى صحيحا .

١٣- وفي قول تال قد يتوهم القارئ مضمرا غير الذي اوضحه السيرافي قال الشاعر :

ولا انا مأمون بشيء اقله وانت بأمر لا محالة واقع

قال ابن الاعرابي يريد لا محالة واقع بي فاضمر وكان يمكن ان يتبادر الى الذهن : واقع بك . فهذا اضمار شبه الجملة .
وتقدير المضمرة فيها . وبعده ضرب مثالا اخر لاضمار شبه الجملة .

١٤- في الاضمار ايضا ذكر بيتا اضمرت فيه الجملة الفعلية .

١٥- في استعمال اسلوب التثنية والتثنية عنه واحد قد يعود الضمير الدال على مفرد الى اثنين كما في القول الذي ذكره

السيرافي من انشاد الفراء

قطعت بالأم لا بالسنتين

ومهمين فنفخن مرتين

يقال : لم قال : ومهمين ثم قال : قطعته ولم يقل قطعتهما .

فهذا حديث آخر في الاضمار . وقد ضرب له السيرافي امثلة من شعر العرب وشرحها .

- ١٦ - من تداعيات التثنية مسألة ذكرها السيرافي قال يجوز ان يجيء في جواب ايها عندك ؟ : (نعم) او (لا) على وجهين وذكر الوجهين شارحا المعنى المراد من السؤال عند كل منهما .
- ١٧ - يضع السيرافي امام طلابه مجموعة من الابيات لا يتضح معناها للقارئ بسهولة وتحتاج الى تفسير وهو المقصود بقول الجامع في العنوان : وابيات معان . وقد يكون من بينها النص الذي في بداية المخطوط قبل البسملة (مجلتهم ذات الاله ...)

- ١٨ - تتخلل الابيات المذكورة شواهد شعرية لتأييد صحة التفسير الذي ذهب اليه السيرافي فيها وشواهد قرآنية وشواهد نثرية من اللغة ومعاني مفردات نقلت مع معاني الابيات عن العلماء الذين سبقوا السيرافي .
- ١٩ - المادة النحوية في مجموعة التعليقات في النص الحقيق تحتل الجزء الاخير منها وتبدو كأنها اجوبة عن اسئلة سنلها السيرافي . فالتعليق الاول في اعراب : ليس يكون زيدا قائما ، على وجهين .
- ٢٠ - التعليق الثاني في صرف (ثمان) . وجر هذا الى الدخول في الاسماء المنصرفه وغير المنصرفه والحديث عن بعضها . فتناول ما يدخل في العلمية والتأنيث وما يخرج منه . والعلمية ووزن الفعل ، ما يدخل فيها وما يخرج من الاسماء ، فتمنع الصرف او تنصرف على ذلك الاساس .

٢١ - مسألة في البدل

٢٢ - الاستثناء لا يقع بعد ما زال ولم يزل .

٢٣ - عود الى ثمان وطريقة كتابتها عند الإضافة وعدمها في العدود المؤنث .

٢٤ - رجعة الى الاستثناء والحديث عن نصب المستثنى بعد ما خلا وما عدا لانهما فعلا .

٢٥ - امثلة (غير) عندما لا تكون للاستثناء .

المعاني واللغة : نستعرض هنا مجموعة الابيات التي اشرنا اليها بالنقطتين (١٧ و ١٨) من المنهج ونتتبع من خلالها طريقة

السيرافي في تقرير المعنى والدلالة في الابيات التي اشر اليها بأبيات معان في العنوان .

سهيل اشاعت غزلها في القرائب

إذا كوكب الخرقاء لاح بسحرة

المشكل في المعنى قوله كوكب الخرقاء ثم ابدل بسهيل شرح السيرافي المقصود بكوكب الخرقاء . فهذا التركيب في البيت من المضاف والمضاف اليه ليس على سبيل العلمية .

★ في بيت امرئ القيس

عنها وعن قبلاتها البرد

بردت مرشفها علي فصدني

مشارك لفظي فكلمة برد لمعنيين لا يتضح منهما الثاني وهو البرد بمعنى النوم والمشارك كما هو معروف من مشكلات المعنى . بوضع اليد على المعنى المقصود للكلمة منه يتضح المقصود .

★ قال الشاعر

احب لحبها سود الكلاب

احب لحبها السودان حتى

السؤال الذي يتبادر الى الذهن هنا لماذا يحب لحبها السودان وما معناه ؟ بتوضيح مغزى البيت فهم المعنى . وهكذا توصل الى الدلالة من خلال السياق .

★ في قول الشاعر

بي المغرب العنقاء عند بني كلب

فلو ان امي لم تلدني لحلفت

يستوقف القارئ والسامع قوله : فلو ان امي لم تلدني ، ما علاقته بالموت ورمزه تحليق العنقاء به لقد خدم السياق بمعرفة قصة البيت في ايضاح المعنى . ومعلوم ان السياق يشمل قضايا كثيرة يدخل فيها كل ما يحيط بالاقوال من ظروف وبيئات .

عوذا تزجي خلفها اطفالها

الواهب المنة الهجان وعبدها

★

زجى الشيء وازجاه : ساقه ودفعه ، وقد وضع السيرا في جواباً للسؤال كيف تسوق هذه الايل اطفالها خلفها ؟ قال اذا لم تتبع امهاتها حنت الامهات و التفتت، فحينئذ تنساق الاطفال والحق ان البيت يروي برواية اخرى لا يشكل فيها المعنى بالتناقض بين معنى التزجية او السوق برفق ووجود المزجى خلف المزجى بحسب هذا البيت . والرواية هي
تزجى بينها اطفالها

* قال الشاعر :

ولنا روايا يحملون لنا انثقالنا اذ يكره الحمل

قال ابن الاعرابي : يقال لسادة القوم الروايا . فكيف يحمل السادة الانثقال اذ يكره الحمل ؟ ان توضيح المقصود بالانثقال وهو الديات . كان بسبب من ملاحظة السياق فالضمير يحملون يدل على جمع من الذكور العقلاء في حين يدل اجتماع الروايا وهي الجمال التي تحمل الماء مع الانثقال على هذه الحيوانات لا السادة لولا ان دلالة يحملون مرتبطة بدلالة الروايا التي تطورت دلاليا بطريقة انتقال المعنى .

* قالت خناس :

وداهية جرها جارم جعلت رداءك فيها خمارا

في تفسير جعلت رداءك فيها خمارا قولان الاول : الرداء السيف وهذا تطور دلالي للرداء جاء عن طريق توسيع المعنى . ويعني توسيع المعنى ان يصبح عدد ما تشير اليه الكلمة اكثر من السابق او يصبح مجال استعمالها اوسع من قبل . وقيل للسيف رداء لان متقلده بحمائله مترد به كما جاء في اللسان .

القول الثاني : ارادت : انك جددت في هذه الحرب وتعصبت فيها بردائك ، وهذا توسيع لعنى الخمار . فقد قال ابن منظور : والخمار للمرأة وهو النصف وقيل الخمار ما تغطي به المرأة رأسها ... وفي حديث ام سلمة : انه كان يمسح على الخف والخمار . ارادت بالخمار العمامة لان الرجل يغطي بها رأسه كما ان المرأة تغطي به خمارها .

* وقال الشاعر

فشبهتهم في الآل حين اراهم اوافي سدى تغتالهن الجوانك

قرب السيرا في معنى البيت بشرح التشبيه الذي فيه فالابل التي تنهادى وتحمل احياء الشاعر بعيدا تبدو وتختفي عند السراب مثلما تبدو وتختفي قصبة يدفعها الحائك فتختفي وتذهب عند النسيج ثم تخرج . والصورة واضحة في البيت لكن الالفاظ احتاجت الى تفسير .

* قال كثير : تجنبت سعدى عنوة ان تزورها وانت امرؤ لاهل ودك تارك

وجه السيرا في معنى البيت الى المدح بتفسير تارك وهي من الاضداد على ذلك فمعناها في قول كثير : مبق . والاضداد من مشكلات المعنى وتدخل في المشترك اللفظي ايضا وقد أوضحه السيرا في هذا الاستعمال فتخلص من الاشكال الدلالي الذي يقع فيه المتلقي .

* في الرجز المنسوب لقصي بن كلاب :

اني لدى الحرب رخي اللب

قال السيرا في : (يقال فلان رخي اللب اذا كان حليما) ولا يتناسب هذا مع الحرب ، فقال : (ورخي اللب اذا كان لا يملأ قلبه شيء ولا يحين عند الحرب) .

فأوضح هذا المشترك لكي لا يشكل المعنى .

* في قوله : آتي الندي فلا يقرب مجلسي وأقود للشرف الرفيع حماري

يشكل الشطر الثاني في المعنى لان كلمة شرف من المشترك اللفظي فلها معنى الحسب بالآباء . والمعنى الآخر العلو والمكان العالي . وقد شرح السيرا في معنى الشطر وبين ان المقصود من الشرف فيه هو الموضع الرفيع أي المرتفع . وقد شرحه الجوهري ايضا قال : يقول اني خرفت فلا ينتفع برأيي وكبرت فلا أستطيع ان اركب من الأرض حماري إلا من مكان عال (الصحاح شرف) .

* قال الشاعر : نشين صحاح البید کل عشية بعوج السراء عند باب محجب

وكذلك قال السرياني : ويخطون في الأرض بقسيهم . فالبيد هنا للأرض وليس للصحراء . فهو تصور دلالي يدخل في باب توسيع المعنى استعماله لبيد . والتوضيح كان في تعاليق السرياني وقد استدل على ذلك الاستعمال ببينتين من ذلك المعنى .

* وقال الشاعر :

☆ واور :
 ناپیوستہ آخر ہو :

ايما جازي الاقوام بالتعم اجزنا
فكائن كسرت من هتوف مرنة
فقدنا زعمنا حين نرفع نعشه

أبا مالك ان الغواني هجرني

اعار ابو زيد يميني سلاحه
وللدهر في صم السلام كلوم

* وحدث أبو سعيد من حفظه حديثاً عن نزول معاوية يحي من احياء كلب ولعل الذي اتى به في هذا الموضع حديثه في نص اسبق عن بني عبيدة وعميلة وحويزة وتيم الرباب من العرب وهو نص في النسب بعد حديثه عن الكنى المذكور انفاً . فسر السيرافي من محادثة المرأة الكلبية معاوية قولها : لبن جهير . فقال لم يخلط به ماء فهو خالص . ولعله فسر باقي الغريب من كلامها لكن صاحب المدونة لم يدرك الباقي ليكتبه . ويدخل قول السيرافي في الجهير في تعريف الكلمات وتفسيرها بوصف مدلولها وهذا نوع من التفسيرات العجمية وهي المقصودة في العنوان بتعاليق في اللغة . والتالي من ذلك ايضا .

(١) اللغة ٢٥٦

★ قال الشاعر : فقلت لها اني اتيتك راعبا
بثعلبة تدمى واني امرؤ عان

وقال الآخر : ثعلبهم من الادلاج تدمي

وقال الآخر : تعاليتهم من الادراج لدمي على شمس السرجية الشريف
استعان السيرافي بتبيين معنى الثعلبية نقلا عن العلماء وذكر مرادف هذه الكلمة وبذكر البيت الثاني على توضيح معنى البيت
الاول . وقوله بثعلبية دمي كناية عن المعاناة اتضحت من الاستعمال نفسه دلالة على المعاناة في البيت الثاني . اذ معناه انهم مروا
برحلة طويلة متعبة لتواصلها ليلا ونهارا لطلبهم العجلة والسرعة فيها .

لانت خير من تفاريق العصا

★ تفسير أبي القاسم لقول الشاعر : أقسم بالله يمينا والضحى

الاول : يحتمل ان يكون قد عني فرسا له اراد انت خير من تفريق العصا والعصا فرس وتفرق بها ما نتج منها . فالعصا كلمة حلت فيها انتقال دلالي فكانت اولا للعصا المعروفة ثم سميت بها فرس فصارت علما لها وبإيضاح ذلك ظهر معنى لانبت خير من تفريق العصا .

الثاني : امرأة تخاطب ولدها الذي اخذت ديتة في ما اصابه بعد ان واثب الفتيان فقصعت اعضاؤه فصلحت حالها فقالت له انت خير من تفاريق العصا وهي العصا المعروفة . والمقصود بها كما نقل ابن منظور عن ابن الاعرابي : ان العصا تكسر فيتخذ خير من تفاريق العصا فاذا كسر الساجور اتخذت منه الاوتاد فاذا كسر الوتد اتخذت منه التوادي تصير بها الاخلاق . وليس في منها ساجور فاذا كسر الساجور اتخذت منه الاوتاد فاذا كسر الوتد اتخذت منه التوادي تصير بها الاخلاق . وليس في

المذكور شيء لابي سعيد السمرافي .

ماء دوالی زرجون میل

كأن باليرنا المعلول

بين السيرافي معنى اليرنا بطريقتي ضبطه وهو واحد : الحناء . وهذا من المترادف اذا لم تكن الكلمة في المعرب . فان كانت فيه فهو في الترجمة له . وبيتا الرجز هذان لبعض بني اسد . والهدف من تعليق السيرافي هنا توضيح معنى الكلمة في البيت الاول وطريقة لفظها . ولم ينقل لنا ابو القاسم تفسير البيت الذي يليه وهو متعلق به للتشبيه ولكن الكتب نقلت لنا اهتمام السيرافي بتفسير كلمة زرجون اذ نقل ابن منظور في انها الخمر الآتي : قال السيرافي : هو فارسي معرب شبه لونها بلون الذهب لان زر بالفارسية : الذهب ، وجون : اللون ، وهم مما يعكسون المضاف والمضاف اليه عن وضع العرب . وهذا من الترجمة وهي من طرائق التفسير المعجمي للوصول الى الدلالة .

الى جحره اعشى من الضيع اهلب

★ قال الشاعر : فلو ان امي لم تللني لجرني

فسره ابو سعيد على المبالغة : فلو لم اولد لكنت ممن يقاتل فيقتل فتجره الضيع وبالع حتى احوال أي دخل في المستحيل ومثل
يقول اب نواس حتى انه
لتخافك النطف التي لم تخلق

لتخافك النطف التي لم تخلق

..... حتى انه

يقول أبو نواس حتى إذا
في باب تقريب الفكرة باستعمال تعبير معادل أو جمل مترادفة وهو عند علماء اللغة الحديثين من أشباه الترادف ويكون حين
تمتلك جملتان المعنى نفسه في اللغة الواحدة وتستعمل هذه الطريقة لإيصال المتلقي إلى استنتاج دلالة الجملة .

وَمَوْلَا: حَامِلَةٌ دُلُوكَ لَامَحْمُولَةٍ .

تمشي الى الماء كمشي الموله .

★ وقال الآخر :

* وقال الآخر :
 رمسي الى الماء رمسي الموله
 ربط السرياني بين دلالة الموله وهي كلمة من المشترك اللفظي وطريقة لفظ القافية مقيدة بالهاء الساكنة او مطلقة معربة فيصادف قائلها الاقواء . وهو من عيوب القافية . لانها ستكون عند ذاك في احدى القافيتين مكسورة للاضافة وفي الاخرى مرفوعة . وقد ذكر ان الموله هو العنكبوت في احد معاني هذا المشترك اللفظي وبأستطاعتنا تخيل هذه الدلو الكبيرة التي تحمل الدلاء الصغار اذا ارتفعت حاملة الماء معلقة بحبلها مثل شكل العنكبوت المعلق بخيطه . واذا كان الموله من الموله أي الذي ذهب عقله من شدة الوجد والحزن فالصورة ستكون عدم اتزان الدلو عند نزولها وسرعتها في ذلك . او تقاطر الماء منها عند صعودها كالدمه ٤ . فهنا الربط بين الدلالة والاشتقاق والضرورة الشعرية وقيود النحو .

★ قال الاعشى ونهيض ظالعا فلينس لعلنا نكسور حبارہ .

* قال الأعشى ونهيض ظالما فتبسم منكم كسور الجبر .
 هاض الكسر أي عاد فكسره قبل أن يلتئم والظالم الذي يعرج من الناس والابل . فالذي يتبادر الى ذهن المتلقي قد يكون انهم لا يجبرون كسور الادميين وليس الابل على سبيل الكرم . وقد اشكلت المعنى كلمة ظالم لانه لم يستعمل كلمة خاصة بالابل والمال وحده . انما استعمل كلمة تجوز على كليهما . فهذا شبيه بمشكل المشترك اللفظي في الدلالة فاضه السير في بتحديد المعنى المقصود بالكلمة .

فلم ار سعدا مثل سعد بن مالك

★ قال طرفه : رأيت سعوداً من سعود كثيرة

وخی را اذا ساوی الذری بالحوارک

أبر واوفي ذمة يعقدونها

المعنى ان سعد بن مالك واهله خير من الناس لانهم يبدلون خيرهم عند الجوع الذي يذيب حتى اسنمة الابل. فهذا الكرم الموصوف هنا من تداعيات الوصف السابق . شرح السجاني : ساوى الذرى بالحوارك بهزال الابل عند الجذب فتساوى اسنمتها حواركها وهي كواهلها ، وذلك في تبينه ان الاسنمة هنا هي الذرى ويقود الى ذلك السياق اذ جاءت مع الحوارك او الكواهل . وسياق المدح ايضا يهدي الى هذا المعنى . والذرى تدخل في باب التطور الدلالي بتخصيص العام .

قويم فما يرجون غير العواقب

★ قال النابغة : مجلتهم ذات الاله ودينهم

يشكل قوله مجلتهم ذات الاله ، ففسره بأن: الكتاب الذي تكثر مطالعتهم له ويحلّ هو انجيلهم لانهم نصارى . فالكتاب المنزل هو المجلة ذات الاله ووصفها كان باضافتها الى منزلها لتعريفها وتوضيحها . وتفسير السيرا في للمجلة كان بالتعريف بتقديم وصف لها .

* قول جرير : ما في عطائهم من ولا سرف

فسره السيرا في بذكر المشترك اللفظي في سرف ، فيقال اسرفوا في العطاء : جادوا . واسرفوا فيه أي : وضعوه في غير موضعه . وساعد السياق على اختيار احدى دلالتى المشترك .

* قول جرير : ولقد نظرت ورد نظرتي الهوى

كلمة ردّ من المشترك اللفظي فهي تحتمل النهي عن النظر وتحتمل اعادة النظر . وفي السياق الذي يتحدث فيه يجب ان يكون المعنى الثاني هو المطلوب بالكلمة في البيت . وضح ذلك السيرا في باختيار المعنى المناسب للكلمة من هذين .

النحو والصرف

١- الابدال

ذكرنا في المنهج ان للسيرا في اكثر من وقفة مع الابدال ومن شروط الابدال كما هو معروف ان لا يؤثر تغيير الفونيم المستعمل له في المعنى . ومن المواضع التي تبين لنا ان حديث الابدال كان سببا في تناولها بالدرس المثبت في المخطوطة .

١- ابدال الهمزة تاء في اتمنت والاصل اتمنت في قوله ولا اتمنت على مال الخ وقد قال السيرا في في ما ذكره الكوفيون من الادغام : (اذا كان اتخذ) افتعل) من الاخذ فالقياس فيه ان يقال اتخذ يتخذ يتخذ كما يقال في افتعل من الامر اتممر ياتمر اتممرا . ومن الاكل : انتكل الفرس ياكتل انتكالا . ويمكن ان يكون قلبوا الهمزة واوا ثم ادخلوه في باب اتزن واتعد من الوعد والوزن ^(١) وقد نقل (اتمن) في التعليقات ثعلب . وافر ذلك اللسان فقي امن - نجد : (وقد آمنه وأمنته وأتمنه وأتمنه عن ثعلب وهي نادرة . وعذر من قال ذلك ان لفظه اذا لم يدغم يصير الى صورة ما اصله حرف لين فذلك قولهم في افتعل من الاكل ايتكل فاشبه حينئذ ايتعد في لغة من لم يبدل الفاء ياء فقال اتمن لقول غيره ايتمن) .

والذي حدث في هذه الكلمة من وجهة نظر علم الاصوات الحديث هو الالتجاء الى نبر الشدة بدلا من نبر الهمز . وهو معروف في العربية وقرى به القرآن . وذكر ابو حيان في الارتشاف ^(٢) قراءة (اتمن امانته) ^(٣) مثالا نادرا وذكرها ابن خالويه قراءة لابن محيصن ^(٤) وقال جعل التشديد عوضا عن الهمزة . وهذا يحدث عند بعض من اعتاد على تخفيف الهمز ولاسيما عند مضاعفته .

٢- الابدال في خامس وسادس وتاسع بما يجعل الحرف الاخير منها حرف المد الياء ذكر في القلب و الابدال لابن السكيت واهتم ابن جني في سر الصناعة بذكر الحروف التي تبدل بعضها من بعض . وأول العلماء منذ سيبويه الابدال بالتقارب والتداني بين الخارج او التشابه في بعض الصفات . ونلاحظ ان الابدال في الكلمات المذكورة ادى بالكلمات الى ان تشبه عددا مألوفها هو (الثاني) فضلا عن انها جاءت في قافية تستلزم الياء . وقد وجدنا كلمة سادية داخل البيت بالياء ونرى ان الشاعر ناسبها مع قوله في مجموعة الابيات نفسها عند القافية : ساديا وقد تكون لغة لاحدى القبائل في الاعداد خاصة . او ضرورة شعرية فحسب .

٣- ذكر السيرا في في التعليقات التي مر نصها ان علامة الاضمار ليست باصل في حتى لانها لو كانت اصلا لغيرت كما غيرت مع على و الى فليل حتى أي انه كان ينتظر ان تبدل الف حتى ياء كما ابدلت الالف في على و الى فليل عليه واليه لكنهم لم يقولوا ذلك وفي ذلك قال سيبويه : و اما الى فمتمته لايتداء الغاية تقول : من كذا الى كذا . وكذلك حتى .. ولها في الفعل نحو ليس لالى . و يقول الرجل انما انا اليك ، أي انما انت غايتي و لا تكون حتى ههنا . فهذا امر الى واصلته و ان اتسعت . وهي اعم في الكلام من حتى ، تقول : قمت اليه فجعلته منتهاك من مكانك و لا تقول : حتاه ^(٥) . وقد اجازه الكوفيون والمبرد . قال ابو حيان في ارتشاف الضرب من كلام العرب : و لا يكون المجرور بحتى ضميرا هذا مذهب سيبويه و اجاز الكوفيون والمبرد جررها الضمير ^(٦) . وفي شرح سيبويه للسيرا في علل السيرا في منع سيبويه الاضمار في حتى بالسمع من العرب : (لانهم استغنوا بقولهم حتى ذاك و من ذاك و انما يريد ان العرب استغنوا بشيء عن شيء و ليس لاحد ان يجيز ما استغنت العرب عن الكلام به ببديل جعلوه مكانه) ^(٧) .

(١) ما ذكره الكوفيون من الادغام ٧٤ وهو باب من الابواب التي الحقها السيرا في بشرحه لكتاب سيبويه .
(٢) الارتشاف ٣٦٧/١ وينظر البحر ٢٥٦/٢ .

(٣) البقرة ٢٨٢ .

(٤) مختصر شواذ القراءات ٢٥

(٥) الكتاب ٢٣٠/٤ - ٢٣١/٤ .

(٦) الارتشاف ١٧٥٥/٤ .

(٧) شرح السيرا في على كتاب سيبويه ٤٠٦/٢ .

فهذه مجموعة من تعليقات القضية المذكورة. لاتقترب كثيرا من فكرة السيرافي وتوقعه الابدال (او القلب وهو نوع منه) لو كانت مسألة دخول حتى على الضمير مألوفة في كلام العرب.
د- القسّاس و النسّاس كلمتان استعملتا للدلالة على الجوع و الظاهر ان القاف و النون قد تبادلتا المواقع فيها و هي في الاصل كلمة واحدة لان بناءهما واحد. والغريب هو تباعد مخرجيهما واختلاف طريقة نطقهما . وقد ذكرنا ان العلماء اشترطوا التقارب او الشبه .

٢- الحذف والاضمار:

هذا باب واسع في العربية. و قد كان من المعتاد في لغتنا ان يلجأ المتكلم الى الحذف و الاضمار في مجموعة من المواضع اهمها الضرورة بمساعدة السياق على ذلك فيتخفف المتكلم مما هو مفهوم. و قد تناول السيرافي في تعليقاته مجموعة من الاقوال و بين فيها مواضع المضمّرات . فاضمرت واو الحال في قوله :
و قوله : لا يقطع الخرق الا طرفه سامي .
و قوله : الا حبيبك انور
و قوله : الا غدا اكثر الايام لي عجبا^(١)
و نلاحظ اهمية الوزن الشعري في غياب الواو وحذفها و غيرها.
و في قول الشاعر : و همت رجال يشفعوا لي.
حذفت ان و بقي عملها فنصب الفعل بها و مضمرة.
و اضمر القائل : ثم قالوا سفيهاً مقتولا . اسم الاشارة هذا
و في قول النابغة : نظرت اليك بحاجة لم تقضها نظر السقيم الى وجوه العود . حذفت اداة التشبيه و كان يمكن ان يقول كنظر السقيم و الوزن لا يحتمل كل المحذوفات و المضمّرات السابقة.
و هكذا الامر في : مكان الاصبعين من القبال . و المضمّر شبه الجملة مني و قد ذكر السيرافي الاضمار و الاكتفاء بالمعنى لانه يعين على ذلك و تلك اهمية السياق . و قد ظهر ايضا في قوله : حتى ينال كواكب الجوزاء
فأضمر الشاعر : لا ينالهن أي الفواني .
وفي جواب ايهما عندك نعم ام لا . يجوز ان يكون المتكلم قد اضمر اداة الاستفهام همزة قبل أي و المقصود ايهما عندك؟ فيكون أي من اويت. فهذا داخل في موضوع الاضمار الذي تحدث فيه السيرافي.
وفي قضية التثنية و المتحدث عنه واحد نقل السيرافي عن الاصمعي ان العرب تفعل مثل هذا . و هو من اساليب العربية و سننها و الذي تناوله السيرافي بالبحث قول الشاعر الراجز :
و مهمهين قذفين مرتين قطعت به بالأم لا بالسّمّتين
فقال قطعت و هو حديث عن مفرد. فهذا تجوز اضحى من اساليب العربية المعتادة في عصور الفصحى لمساعدة السياق على فهم المقصود منه و لانه اعتيد في كلامهم. و قد قاد الى هذا الموضع حديث الاضمار اذ المقصود بالضمير في قطعت هو الشكل . ونجد اهتماما بهذا الموضوع في كثير من الكتب التي اهتمت بفقهاء اللغة كفقهاء اللغة و سر العربية للثعالبي و الزهر للسيوطي وغيرهما .

٣- المنوع من الصرف

كان تناول ابي سعيد لهذه المادة في التعليقات تناولا ميسرا وفيه شبه كبير بالمادة التي قيلت في شرحه لكتاب سيبويه ولكن بشكل مختصر وسريع . وهذا التشابه في الجمل يوثق نسبة المخطوطة التي بين ايدينا الى صاحبها السيرافي ممليا بغض النظر عن جامعها . ومن ذلك قوله في التعاليق : وان سميت رجلا بضرب او بضرب لم ينصرف لان هذا مثال يخص الافعال فان قيل فقد جاء بقم قيل هذا اعجمي وليس بعربي . وفي شرحه لكتاب سيبويه قال: (فان سميت رجلا بفعل لا نظير له من الاسماء كقولك ضرب وضرب مشددة وضرب لم تصرفه لانه لا يشبه الاسماء . وقد جاء في الاسماء المعارف اسماء على فعل كلها غير مصروف فمن ذلك خضم وهو اسم العنبر بن عمرو بن تميم وسلم وهو اسم بيت المقدس ... فان قال قائل لم منعتم صرف ذلك وقد رأينا في الاسماء بقم وهو اسم جنس؟ قيل له : بقم ليس باسم عربي وتكلمت به العرب ووافق كلامها^(٢)) وقد حاولنا مقابلة المادتين بالشرح والتعليقات في مواضع من هذا التحقيق ومادة المنوع من الصرف المذكورة في هذه المخطوطة هي مادة عامة نجدها في اكثر كتب النحو .

^(١) ينظر في ذلك الارتشاف ١٨٢/٢ و تنظر مواضع الحذف الكثيرة التي بينها صاحب الكتاب المنشور بعنوان : اعراب القرآن المنسوب الى الزجاج.

^(٢) شرح كتاب سيبويه للسيرافي ٤/٢٥٠ .

٤- الاستثناء

تطرق السيرافي في تعليقاته الى مواضع من درس الاستثناء فنبه اولا على ان من معانيه التحقيق فلذلك لايقع بعد ما زال ولم يزل وهما للتحقيق ايضا ولايدخل تحقيق على تحقيق كما ذكر .
ثم تناول النصب بما خلا وما عدا لانهما من الافعال لدخول ما المصدرية عليهما ومثل هذا موجود في معظم كتب النحو منها شرحه للكتاب (١).
ثم يمكن ان نستنتج من مجموعة ابيات ذكرها بعد ذلك انه ينبه على استعمال (غير) الذي يكون للاستثناء ولغيره .
فأتى بأمثلة (غير) فيها ليست للاستثناء من ذلك قول الشاعر :
لو غيره فرع المنابر بعده لئكرنه فنبذنه عنهنه
وقد استقر الدكتور سليمان العايد وجود هذا البيت في هذا الموضع ولم يدر ما هدفه والذي بدا لنا انه لهذا الذي ذكرناه .
القول الاخر وله اكثر من رواية ذكرت في المخطوط قوله :
رايتك تبني مسجدا من خيانة فكنت بحمد الله غير موفق
ورواية السيرافي : رايتك تبني مسجدا من خيانة لعمرك قبل اليوم ما لم توقع (٢).
يضاف الى هذا ان السيرافي تناول مسألة في كل من النسب والبدل واعرب جملة تركبت فيها كان وليس وقد ظهرت في المخطوطة اشارات كثيرة الى ثمان وثمانين .
بهذا ننهي بحثنا في مجموعة التعليقات التي نقلت عن السيرافي ونرجو ان ينفع الله بعملنا .

اهم المصادر والمراجع

- القرآن الكريم .
- الاعلام ، خير الدين الزركلي ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٧٩ .
- الاغاني ، ابو الفرج الاصفهاني ، طبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٩٦١ .
- انباه الرواة ، القفطي ، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٩٥٠ .
- البحر المحيط ، ابو حيان النحوي ، مطبعة السعادة بمصر ، ١٣٢٨ هـ ، طبع بالافوسيت في بيروت ونشرته ، مكتبة النصر ، الرياض .
- البغداديات ، لابي علي الفارسي ، (المسائل المشككة المعروفة بالبغداديات) ، دراسة وتحقيق صلاح الدين السنكاوي ، منشورات وزارة الاوقاف والشؤون الدينية العراقية ، مطبعة العاني - بغداد . ١٩٨٣ .
- بغية الوعاة ، جلال الدين السيوطي ، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ، القاهرة ، مطبعة الحلبي ، ١٩٦٥ .
- البيان والتبيين ، الجاحظ ، تحقيق عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ١٩٦٨ .
- تاج اللغة وصحاح العربية ، للجوهري ، طبعة احمد عبد الغفور عطار ، القاهرة ، دار الكتاب العربي ، ١٩٥٦ .
- تاريخ بغداد ، الخطيب البغدادي ، مطبعة السعادة ، مصر ، ١٩٣١ .
- جهرة اللغة ، ابن دريد ، طبعة بعلبكي ، دار العلم للملايين ، بيروت .
- الجيم ، ابو عمر الشيباني ، تحقيق عبد العليم الطحاوي واخرين ، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية ، القاهرة .
- الدرر اللوامع على هوى الهوامع ، احمد بن الامين الشنقيطي ، دار المعرفة ، بيروت ، ١٩٧٣ .
- ديوان ابي نواس ، تحقيق وشرح احمد عبد المجيد الغزالي ، مطبعة مصر ، ١٩٥٢ .
- ديوان الاسود بن يعفر ، جمعه نوري حمودي القيسي ، وزارة الثقافة والاعلام العراقية ، مطبعة الجمهورية ، ١٩٧٠ .
- ديوان الاعشى الكبير ، شرح وتعليق الدكتور م. محمد حسين ، المطبعة النموذجية ، القاهرة ١٩٥٠ .

(٢) نفسه ٢/٣٢٦ .

(١) ورد البيت الاول في هامش المخطوطة والثاني في الاصل .

- ديوان الخنساء ، دار الاندلس ، بيروت .
- ديوان النابغة الذبياني ، صنعة ابن السكيت ، تحقيق الدكتور شكري فيصل ، دار الفكر ، بيروت ١٩٦٨ .
- ديوان الهذليين ، منشورات الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة ١٩٦٥ .
- ديوان امرئ القيس ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ، ١٩٦٩ .
- ديوان حاتم الطائي ، د. فوزي عطوي ، الشركة اللبنانية للكتاب ، ١٩٦٩ .
- ديوان رؤبة بن العجاج بمجموع اشعار العرب ، تصحيح وليم بن الورد البروسي . ، منشورات دار الافاق الجديدة بيروت ١٩٧٩ .
- ديوان طرفة بن العبد ، تحقيق درية الخطيب ولطفي الصقال ، مطبوعات مجمع اللغة العربية ، دمشق ، ١٩٧٥ .
- ديوان كثير عزة ، جمع وشرح د. احسان عباس ، در الثقافة ، بيروت ، ١٩٧١ .
- الزاهر في معاني كلمات الناس ، لابي بكر محمد بن القاسم الانباري ، تحقيق د. حاتم صالح الضامن ، دار الرشيد للنشر ، بغداد ١٩٧٩ .
- شرح كتاب سيبويه للسيرافي ، مصورة نسخة دار الكتب المصرية بالقاهرة ، رقم (٥٢٨ نحو - تيمور) .
- شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات لابن الانباري ، بتحقيق عبد السلام هارون ، القاهرة ، ١٩٦٢ .
- شرح ديوان جرير ، نشر محمد اسماعيل عبد الله الصاوي ، مطبعة الصاوي ، القاهرة .
- شعر عمرو بن شأس الاسدي ، د. يحيى الجبوري ، مطبعة الاداب ، النجف الاشرف ، ١٩٧٦ .
- الشعر والشعراء ، لابن فتيبة ، تحقيق احمد محمد شاكر ، مطبعة الباب الحلبي ، القاهرة ، ١٣٦٤ هـ .
- ضرائر الشعر للقيرواني ، تحقيق محمد زغلول سلام ورفيقة ، الاسكندرية ، ١٩٧٢ .
- طبقات النحاة واللغويين ، لابن قاضي شهاب ، تحقيق د. محسن غياض ، النجف ، ١٩٧٢ .
- طبقات النحويين واللغويين ، الزبيدي ، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٧٢ .
- عيون الاخبار ، لابن فتيبة الدينوري ، شرحه د. يوسف علي الطويل ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٦٨ .
- الفهرست لابن النديم ، مطبعة الاستقامة ، القاهرة .
- القلب والابدال ، لابن السكيت ، مطبوع بضمن الكنز اللغوي ، نشر اوكت هافنر ، مكتبة المثنى ، بغداد .
- كتاب سيبويه ، دار القلم بمصر ، طبعة عبد السلام هارون ، ١٩٦١ ط ١ - بولاق
- لسان العرب ، لابن منظور ، طبعة دار صادر ، بيروت .
- ما ذكره الكوفيون من الادغام ، لابي سعيد السيرافي ، تحقيق د. صبيح التميمي ، دار البيان العربي ، جدة ، ١٩٨٥ .
- ما ينصرف وما لا ينصرف للزجاج ، تحقيق د. هادي قراعة ، مطابع الاهرام التجارية ، القاهرة . ١٩٧١ .
- المحتسب ، لابن جني ، تحقيق علي النجدي ناصف وزميله ، دار سزكين ، استانبول ، ١٩٨٦ .
- مراتب النحويين ، ابو الطيب اللغوي ، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ، مكتبة نهضة مصر . القاهرة ، ١٩٥٥ .
- معاني القرآن ، الفراء ، تحقيق احمد يوسف نجاتي . دار الكتب المصرية . ١٩٥٥ .
- معجم الادباء ، ياقوت ، نشر عيسى البابي الحلبي ، القاهرة .
- المقتضب ، لابي العباس المبرد ، تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة ، ط ٢ ، مطابع الاهرام ١٩٧٩ .
- المقرب ، ابن عصفور ، تحقيق د. عبد الستار الجوّاري و د. عبد الله الجبوري ، وزارة الاوقاف ، بغداد ، ١٩٧٢ .
- المهلهل بن ربيعة حياته وشعره ، رسالة ماجستير ، كلية الاداب ، الجامعة المستنصرية ٨٦ لنافع الراجحي
- همع الهوامع ، جلال الدين السيوطي ، دار المعرفة ، بيروت .
- وفيات الاعيان لابن خلكان ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، مكتبة نهضة مصر ، ١٩٤٨ .

فأنت شعر

أبي عبد الله بن الحداد الأندلسي
المتوفى سنة ٤٨٠ هـ

جمع وتحقيق وتقديم
منال منيزل

بقلم
عبد العزيز الساوري

أبو عبد الله بن الحداد ، هو محمد بن أحمد بن عثمان القيسي ثم النميري ، مروي^(١) السكني ، وادي آشي^(٢) الأصل ، أمه أخت القاضي أبي عمر بن الحذاء^(٣) روى عن خاله أبي عمر المذكور ، روى عنه عبد الله بن عوف وأبو عبد الله بن أحمد بن سليمان بن الصفار .

قال ابن عبد الملك المراكشي عنه إنه : « كان شاعراً مجيداً مقلعاً ، مفخرة من مفاخر عصره ، متصرفاً في فنون من العلم ، متقدماً في التعاليم والفلسفة ، مبرزاً في فك المعنى لا يكاد يدرك فيه شأوه »^(٤) .

وكان لابن الحداد ديوان شعر كبير معروف^(٥) وقف ابن عبد الملك المراكشي على نسخة منه في ثلاثة أسفار^(٦) ضخمة مبوباً على حروف المعجم^(٧) ، إلا أنه ضاع فيما ضاع من نفائس تراثنا الشعري .

وقد نهدت لجمع شعره الأستاذة منال منيزل ونشرته في ديوان سمته : « شعر أبي عبد الله بن الحداد الأندلسي المتوفى سنة ٤٨٠ هـ جمع وتحقيق وتقديم » ، وجعلته في قسمين : تناولت في الأول سيرة الشاعر وقامت بدراسة مختصرة لشعره ، وأوردت في القسم الثاني ما استطاعت جمعه مما تناثر من شعر ابن الحداد من قصائد ومقطعات وقد وجدتها في إحدى وسبعين قصيدة ومقطوعة بلغ مجموع أبياتها ستمائة وأربعة وعشرين بيتاً . وقد رتبنا هذه القصائد والمقطوعات حسب الحروف الهجائية لقوافيها .

وقد تجمعت لدي استدراقات على شعر أبي عبد الله بن الحداد مما لم يرد في مجموعته ، أوردناها لعلها أضيف لبنة جديدة في خدمة شعرنا الأندلسي .

- الهمزة -

- ١ -

قال :

(الكامل)

- ١ - عاف النهار مخافة الرقباء
فسرى يضمخ حلة الظلماء
- ٢ - يطوي شذاه عن الأنوف نهاره
ويجود في الظلماء بالإفشاء
- ٣ - متهتك في طبعه متسخر
وكذا تكون شمائل الظرفاء
- ٤ - لما رأى حب الأنوف لعزفه
ليس الغياهب خيفة الرقباء
- ٥ - كالطيف لا يصل الجفون لشهدها
ويهب فيها ساعة الإغفاء

نهاية الارب ١١ / ٢٧٢ - ٢٧٣ ومفتاح الراحة ص ٢٦١ - ٢٦٢
وقال يصف الدهر وتقلبه بأهله ، وذلك من فعل الله لا من فعله :

(المجتث)

- ١ - الناس مثل خباب
والدهر نجاة^(١) ماء
- ٢ - فعالم في طفو
وعالم في انطفاء

قال ابن عبد الملك المراكشي : « لم تستعمل العرب « انفع » مطاوع « أفعل » إلا شاذاً ، فقله : « انطفاء » لا يستقيم على مشهور كلام العرب ، وقد قالوا : أطلقته فانطلق^(٢) » .

الذيل والتكملة ص ٦ ص ١١ ويروى البيتان لأبي القاسم خلف بن فرج الإلبيري المعروف بالسَّمِيسِر في المطرب ص ٩٦ ونفع الطيب ٢ / ٢٩٣ وهما بلا نسبة في الاستبصار في عجائب الامصار ص ١٤١ .

- الباء -

- ٣ -

وقال يصف الشمس وقد طفت للغروب :

(الكامل)

- ١ - إني أرى شمس الاصيل غليظة
تزئاد من بين المفارب مغرباً
- ٢ - مالت لتحجب شخصها فكانها
مدت على الدنيا بساطاً مذهباً

معاهد التنصيص ٢ / ٩٦ ونسبهما ابن بسام في الذخيرة ق ١ م ٢ ص ٧٥٦ لأبي أحمد عبد العزيز بن خيرة المُنْفِئِل .
وقال في ملبح حيا بنرجس :

(البسيط)

- ٤ -

- ١ - وشادن أهيف حيا بنرجسة
كانها إذ بدت في غاية العجب
 - ٢ - كف من الفضة البيضاء ساعدها
زرجد حملت كاساً من الذهب
- حلبة الكميت ص ٢٠٠ .

- التاء -

- ٥ -

وقال في النرجس :

(البسيط)

- ١ - أنظر إلى النرجس الوضاح حين بدا
كأنه ناظر من عين^(١) مبهوت
 - ٢ - كأزج الغيد في خضر البرود جلث
على أناملها صفر اليواقيت
 - ٣ - كأنه وضفاف القصب تحمله
أوائل النار في أطراف كبريت
- [١ - ٢ - ٣] ملح السحر ورقة ٢٦ ب - ٢٧ أ .

[١ - ٢] غرائب التنبيهات ص ٧٨ وحلبة الكميت ص ٢٠٠ .

- التاء -

- ٦ -

وقال يرثي :

(البسيط)

- ١ - شمس الظهيرة هل تذرني ما حدثاً ؟
شمس العشيرة حلث^(١) مغرباً حدثاً
- ٢ - انظر ثبيراً هل أنهذت جوانبه
لحدث من^(٢) ثبير الجلم قد حدثاً

السحر والشعر (تحقيق قدور ابراهيم ...) ص ١٤٢ رقم ١١٥ وص ٣٨ من تحقيق ج . م . كونتي ..) وزهر الاكم ٢ / ٢٢ - ٢٣ .

- ٧ -

وقال :

(الخفيف)

- ١ - إن قوماً يلحون في حب سغدي
لا يكادون يفقهون حسديتاً
 - ٢ - سمفوا وضفها فلاموا^(١) غليتها
أخذوا طيباً وأعطوا خبيثاً
- زهر الاكم ١ / ١٥٢ ، ٢٠١ / ٢١ .

- الراء -

- ٨ -

وقال يصف رمانة :

(البسيط)

- ١ - وفتية لم يزالوا طول يومهم
في ظل رمانة قد مدَّ^(١٨) أشتاره
- ٢ - يا حسنة وهبوب الريح تعطفه
وكل غصن له قد كان^(١٩) نؤارة
- ٣ - كأنها شمع خضراء مضمرة
في كف نشوان وافي بيت خمارة^(٢٠)

مباحج الفكر ص ٩١

(٩)

وقال :

(الكامل)

- ١ - اشدُّ يدك علي اخيك تكن به
في كل أمر تبتغيه قديرا
- ٢ - لو لم يكن باخ أخ متأيدا
لم يتخذ موسى أخاه وزيرا

نزهة الأبصار ص ١٥١

(١٠)

وقال في حمة بجانة^(٢١) المرية :

(الطويل)

- ١ - وبالحمة الزهراء قد أسعد المنى
وبان كمثل الروض أزهر معطار
- ٢ - وردنا بها ماء سخونا كأنه
دموع محب والاحبة قد ساروا
- ٣ - بها اجتمع الضدان فالأمر مغرب
فللماء اظهره وللنار اضمار
- ٤ - كافتدة تبغى خلاف الذي تعي
فللود اظهره وللحق اسرار

جذوة الاقتباس ١٩٠/١ - ١٩١

- الضاد -

(١٠) ب

وقال :

(الكامل)

- ١ - وأجل مفقود شائب زاهب
وأعز موحود خبيب ممحض

جنة الرضا ٦٥/٢

- اللام -

(١١)

وقال من أبيات يرثي فيها صديقا^(٢٢) :

(التطويل)

- ١ - تيقن أن الله أكرم جيرة
فأزغ عن دار النساء^(٢٣) رحلا
- ٢ - فإن أفقرت منه الغيون فائه
تغوص^(٢٤) منها بالقلوب بديلا
- ٣ - ولم أزال أنسا بعده^(٢٥) صار^(٢٦) وخشة
وبزدا على الأكباد صار^(٢٧) غليلا
- ٤ - ومن كن^(٢٨) أيسام السرور قصيرة
به كان ليل الخزن فيه طويلا

المنازل والديار ص ٢٤٨ - ٢٤٩ وتروى الابيات لابن خفاجة في

ديوانه ص ٣٦٩ - ٣٧٠ رقم ٣١١ وخريدة القصر ٢ / ١٦٣

ونفع الطيب ٤ / ١٠٧ .

(١٢)

وقال يهجو السمينس^(٢٩) :

(البسيط)

- ١ - يا أهل غرناطة^(٣٠) (....) سمسركم
ففي رميلينا عنه لنا شغل

الذخيرة ق ١ م ٢ ص ٩٠٤

وقال : في الموضع كلمة فاحشة حذفناها

(١٣)

(البسيط)

وقال :

- ١ - وفي الظعائن^(٣١) مخطوف الحشاغنج
يعطو بأعطاف نشوان الخطا ثمل
- ٢ - ظنني مشى الورد من لحظي بوجنته
مشي اللواحظ من عينيه في أجل

السحر والشعر (تحقيق قدور ابراهيم ..) ص ٤٤٥ رقم ٨٠٨ ،
وسقط البيتان من تحقيق ج . م . كونتي ..) .

- النون -

(١٤)

وقال :

(المتقارب)

- ١ - بفعلك تقبُّح أو تخسُن
ومــــا من يسىء كمن يُخسِن

الدر الفريد ج ٢ (غير مرقه ، انظر : حرف الباء) ولمح السحر

ورقة ١٢٤ .

بعض المآخذ التي دونها على المجموع :

وقال :

(البسيط)

- ١ - بعثت بسالياسمين الغض مبتسماً
وحسنته فـاتن للنفس والعين
 - ٢ - بعثته مُنبئاً عن صدق مُعتقدِي
فأنظر تجذ لفظه ياساً من المين
- نهاية الأرب ١١/ ٢٣٩ وحسن المحاضرة ٢/ ٢٤٢ .

- الهاء -

(١٦)

وقال في شاعر يعرف بابن الفراء^(٢٧)

(مجزوء الرمل)

- ١ - لابن فـراء^(٢٨) قـريض
زمهـريض البزد فيسه
- ٢ - وإذا^(٢٩) ما قال شعراً^(٣٠)
نفقت سـوق أبيه

البيتان للمنقل في الذخيرة ق ١ م ٢ ص ٧٦٠ ونفع الطيب ٢ / ٣٨٧ ، وينسب البيت الثاني إلى ابن الحداد في خريدة القصر ٢ / ١٩٤ وإلى المنقل^(٣١) في بدائع البدائ ص ٤٠١

ونفع الطيب ٢ / ٣٣٢ ونسبه ابن سعيد في المغرب ٢ / ١٨٤ لابن زيدون^(٣٢) ، وهما بلا نسبة في الوافي في نظم القوافي ص ٧٠^(٣٣) .

- الباء -

(١٧)

وقال :

(الطويل)

- ١ - ناث باضطباري يصل النايا
ولم تزع مني هائماً يدمن الرغيا
- ٢ - وفي الجنة الالفاف للحسن جنة
تلازم أنهار السدموع بها جزيا
- ٣ - غزالية المرأى هلالية الرنا
منارية المجلى نوارية اللقيا
- ٤ - رمتنا بالحافظ تلذ سهامها
فياليتها في القلب لم ترم الرميا
- ٥ - فقد صاد لميث الغاب ظني كنيسة
فاعجب به لئناً وأعجب به ظنيا

خريدة القصر ٢ / ٢٦٨ - ٢٣٩^(٣٤) .

* * * * *

١ - ص ١٠ قالت المحققة : تذكر المصادر .. أنه حدث في سنة ٤٦١ هـ جفوة بين ابن الحداد والمعتصم بن صادق اضطرت شاعرنا إلى الفرار إلى سرقسطة والخدمة في بلاط ملكها المقتدر ابن هود وابنه المؤتمن حيث رعياء وأكرماه .

قلت : شرح ابن عبد الملك المراكشي سبب هذه الجفوة ، وذلك أن أخا ابن الحداد قتل رجلاً فقبض عليه واعتقل ، ونالت الشاعر بسببه مطالبة أخفى نفسه من أجلها حيناً ، إلى مرسية ونفذ منها إلى سرقسطة ، فاحتلها يوم السبت لثلاث عشرة ليلة خلت من شعبان أحد وستين وأربعمائة ، فاغتنم وفادته المقتدر أحمد بن المستعين بن هود ، وقابله من الإقبال عليه والتحفى به بما لا كفاء له ، وأقام في كنفه مدة وامتدحه ولجئه الحاجب المؤتمن ثم فصل عنه في جمادى الأولى سنة أربع وستين وأربعمائة ، وعاد إلى المرية قاصراً أمداحه على أميرها المعتصم .

انظر : الذيل والتكملة س ٦ ، ص ١١ .

٢ - ص ١٦ ذكرت أن ابن الحداد ألف كتاباً في العروض مزج فيه بين الأنحاء الموسيقية والآراء الخليلية ورد فيه على السرقسطي المنبوز بالحمار ، وفي التكملة أن اسم هذا الكتاب هو المستنبط . قلت وصوابه : « الامتعاظ للخليل » ذكر في الذخيرة ق ١ م ٢ ص ٦٩٢ والذيل والتكملة س ٦ ص ١٠ والاحاطة ٢ / ٣٣٤

ومركز الاحاطة ورقة ١٩ أ وطبقات النحاة واللغويين ١ / ١٩ ونفع الطيب ٢ / ٥٠٢ ، ٢٦ / ٧ وقال عنه ابن عبد الملك المراكشي : « هو كتاب مزج فيه الأنحاء الموسيقية بصناعة العروض يرد فيه على سعيد بن قتحون السرقسطي المنبوز بالحمار^(٣٥) في ما تعقبه على الخليل وانفرد به من احكام العروض » .

واستدرك على الاخت الكريمة بعض ما فاتها من آثار ابن الحداد المفقودة مما وقفت عليه في بعض المصادر ، فمن ذلك : - قيد الأوابد وصيد الشوارد في إيراد الشواذ والرد على الشذاذ : ذكر في الذيل والتكملة س ٦ ، ص ١٠ .

- المستنبط في علم الأعاريض المهمة عند العرب مما تقتضيه النواتر الأربع من النواتر الخمس التي تتفك منها أشعار العرب : ذكر في التكملة ١ / ٢٩٨ والذيل والتكملة س ٦ ، ص ١٠ وقال عنه أستاذنا الدكتور شوقي ضيف : « ولا أرتاب في أنه لو وصل إلينا لكان دريلاً قوياً على ما قلته في حديثي عن الموشحات^(٣٦) من أن الأعاريض المهمة التي يُنظم فيها والتي أشار إليها ابن بسام ونقلناها عنه هناك إنما هي أعاريض العرب المهمة التي نص عليها الخليل في دوائره العروضية لا أعاريض أشعار رومانسية كما توهم « خوليان ريبيرا » ومن تابعه .. ولا أرتاب كذلك في أن كتب - ابن الحداد القيسي - جميعاً تؤكد ما ذهبت إليه

في فهم كلمة ابن بسام عن نظم الموشحات في الأوزان المهمة التي أشار إليها الخليل في وضعه لدوائره العروضية ، وهي مرسومة بدقة في كتاب العقد الفريد لابن عبد ربه « (٣٧) » .

٣ - في الهامش رقم ٦ ص ١٦ ورد مايلي :

سعيد بن فتحون السرقسطي ، له عدد من المؤلفات في العروض والموسيقى ، أما كتابه الذي عارضه ابن الحداد فهو كتاب «الامتعاظ للخليل» .

وهو غلط وصوابه : كتاب « المطول في العروض ؛ يتن فيه الموسيقى بزعمه » ، ومن تصانيفه الأخرى : « المختصر في العروض » و « المقتضب في العروض ؛ أشار فيه إلى الموسيقى » .

إنظر : الذيل والتكملة ص ٤ ص ٤١ وهامش رقم ٣٥ من الفائق .

أما كتاب « الامتعاظ للخليل » فهو لابن الحداد كما يتنا من قبل .

٤ - ق ٣ / ١ ، ٢ ، ٣ ص ٤٠ :

وردت الأبيات التالية منسوبة الى ابن الحداد :

(الطويل)

وزهدني في الناس معرفتي بهم
وطول اختباري صاحباً بعد صاحب

فلم تُرني الأيام خلاً تسرني
بواديه إلا ساءني في العواقب

ولاصرت أرجوه لندفع ملقة
من الدهر إلا كان إحدى النواقب

والصحيح أنها للمعتصم أبي يحيى محمد بن معن بن صمادح الأندلسي ، كما وردت في (٣٨) : الحلة السراء ٢ / ٨٤ - ٨٥ وقلاند المعيان ١ ص ١٥٢ وشرح مقامات الحريري ٢ / ٢٤١ وخريدة القصر ٢ / ٨٣ وطرار المجالس ص ١٣٦ وتعام المتون ص ٥٤ - ٥٥ ووفيات الأعيان ٥ / ٤٠ والمخلة ص ٢٣٩ - ٢٤٠ وجوهر الكنز ص ٣٢٧ وتسهيل السبيل ص ٢٦١ ولمع السحر ورقة ٥٩ أ والوافي بالوفيات ٥ / ٤٦ والمطرب ص ١٦٠ والدرر الفرائد ورقة ٣١ والمحاضرات ١ / ٣٤٩ - ٣٥٠ ومغاني المعاني ص ٦٥ وأنوار الربيع ٢ / ٣٤٤ - ٣٤٥ والمغرب ٢ / ١٩٧ .

٥ - ق ٢٣ / ٢ ص ٥٧ :

(المتقارب)

فهلاً خُسِفَتْ وكان الخسوف

ف جـداداً لبست على فقده

قلت : كتابة البيت بهذه الصورة يخل بالوزن ، والصحيح أنه غير مدور .

فهلاً خُسِفَتْ وكان الخسوف

... ..

٦ - ق ١ / ٥٦ ، ٢ ص ٨١ - ٨٢ :

(المتقارب)

وما الناس إلا فعـالهم

فـدع ما تـزخرفه الالسن

سجـية أصل الفتى فعـله

بـما عنده يفرق المعـدن

وصواب الرواية :

وما النَّاسُ إلا بـافـعالهم

فـدع ما تـزخرفه الالسن

سجـية أصل الفتى ففـله

بـما عنده يـقـذف المعـدن

كما في الدر الفريد ج ٢ (غير مرقم ، انظر : حرف الباء والسين)
ولمع السحر ورقة ٢٤ أ .

٧ - ق ٥٧ / ٢٤ ، ٢٥ ص ٨٢ :

(الكامل)

والـروض ما أشتملت عليه شموله

لا الـسورـد ملـتفت ولا النـسـريـن

قد عـطل الـازهار زاهر حـسنه

... ..

قلت : ترتيبهما الصحيح وتماهما كما في خريدة القصر ٢ / ٢٧٩ .

والـروض ما أشتملت عليه شموله

لا ما حـوـثه أباطـح وحـزون

قد عـطل الـازهار زاهر حـسنه

لا الـسورـد ملـتفت ولا النـسـريـن

٨ - ق ٦٥ / ٥ ص ٩٣ :

(الكامل)

وعلمت أن السعي ليس بمنجـح

ما لا يكون السفـد من أعوانه

وصوابه : من لا يكون .

ملحق : فائق شعر أبي عبد الله بن الحداد الأندلسي المتوفى سنة ٤٨٠ هـ .

انظر ترجمته في : الذخيرة ق ١ م ٢ ص ٨٨٢ - ٩٠٤ والمغرب
١٠٠/ ١ - ١٠١ رقم ٤١١ وخريدة القصر ١٦٧/ ٢ - ١٦٩ رقم ٢٥
ونفح الطيب ١ - ٥٢٧ - ٥٢٨ : ٢٢٧/ ٣ - ٢٢٨ ، ٢٩١ ، ٢٩٣
١١٧ - ١١٦ ، ١٠٨ ، ٢٠/ ٤ : ٤١٢ ، ٣٩٠ ، ٣٢٩ ، ٣٢١
وتاريخ الادب العربي (عصر الدول والإمارات - الاندلس) ص ٢٣٣ - ٢٣٤ .
(٢٥) أيضاً : أغرناطة : مدينة بالاندلس بينها وبين وادي آش
أربعون ميلاً ، وهي من مدن البيرة . انظر : الروض المعطار ص ٤٥ - ٤٦ .
(٢٦) في الاصل : « الضفائن » .
(٢٧) يعرف بالاخفش بن ميمون أو بابن الفزاء ، أصله من حصن
القبداق من أعمال قلعة بني سعيد ، وتادب في قرطبة ، ثم عاد إلى
حاضرة غرناطة ، واعتكف بها على مدح وزيرها اليهودي ابن النغريلي
(النفرة) ، ومدح بعد قتله رفيع الدولة بن المعتصم بن صماح .
انظر ترجمته في : المغرب ٢ - ١٨٢ - ١٨٤ رقم ٤٧٣ ونفح
الطيب ٣ - ٢٨٧ - ٢٨٨ رقم ١٧٣ .
(٢٨) الذخيرة ونفح الطيب ٣ - ٢٨٧ : « لابن ميمون » .
(٢٩) بدائع البدائه والمغرب والوافي ونفح الطيب : « فإذا » .
(٣٠) الذخيرة : « فإذا بيت بيتا » .
(٣١) بدائع البدائه : « المعقل » ، وهو تحريف .
(٣٢) ليس في ديوانه .
(٣٣) أشار محقق خريدة القصر في حاشية ص ١٩٤ أن ابن فضل الله
المصري نسب البيت الثاني إلى أبي محمد الطبيب المصري .
(٣٤) هذه القصيدة تتخللها أبيات أربعة : اثنان منها بعد البيت رقم
٢ ، واثنان كذلك بعد البيت رقم ٤ ، وهذه الابيات الاربعة موجودة في
مجموعة ق ٦٨ / ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ص ٩٦ عن الذخيرة ق ١ م ٢ ص ٧٠٩ ،
ونسبتها مع هذه الابيات التي ننشرها الآن إلى ابن الحداد أصح من
نسبة العماد الاصفهاني لكل الابيات إلى من اسمه الاسعد بن بليطة
القرطبي ، ومما يرجح ذلك إلى ابن الحداد مشهور بمخاطبة
حبيبتة النصرانية نويرة - واسمها في الحقيقة جميلة - وذكر
الكنائس بكثرة في شعره .
(٣٥) هو أبو عثمان سعيد بن فتحون بن مُكْرَم - بضم الميم وسكون
الكاف وفتح الراء - التجيبي الملقب بالحمار المشهور في نسبه أنه
سرقسطي ، ونسبه بن عبد الملك المراكشي إلى قرطبة ، كان متمكناً
في علوم اللسان ، والف في العروض مختصراً ومطوّلاً بين فيه
الموسيقى بزعمه ومقتضياً أشار فيه إلى الموسيقى ؛ ومن مؤلفاته
أيضاً رسالة في المدخل إلى علوم الفلسفة سماها « شجرة الحكمة »
ورسالة في تعديل العلوم وكيف درجت إلى الوجود من انقسام الجوهر
والعرض ، وامتنح من قبل المنصور بن أبي عامر ، فسجن ثم أطلق ،
فاستوطن صقلية إلى أن مات بها .
انظر ترجمته في : التشبيهات ص ١٠٥ ، ١٣٧ ، ٢٧٤ - ٢٧٥ ،
٣٠٤ ورسائل ابن حزم ٢ - ١٨٥ وطبقات الامم ص ٧٨ وجذوة المقتبس
ص ٢١٦ رقم ٤٧٨ وبغية الملتبس ص ٢٩٩ رقم ٨١٣ والذيل والتكملة

(١) المرية : مدينة بنيت أيام عبد الرحمن الناصر ، وازدهرت في
أيام المرابطين واشتد فيها الرخاء ، وتقع على الساحل الشرقي إلى
الجنوب الشرقي من بُجَانة .
انظر : الروض المعطار ص ٥٣٧ - ٥٣٨ .
(٢) وادي آش : مدينة بالاندلس قريبة من غرناطة . انظر : الروض
المعطار ص ٦٠٤ - ٦٠٥ .
(٣) انظر ترجمته في : جذوة المقتبس ص ٣٧٥ رقم ٩٤٧ وبغية
الملتبس ص ٥١١ - ٥١٢ . رقم ١٥٣٨ .
(٤) الذيل والتكملة س ٦ ، ص ١٠ .
(٥) التكملة ١ - ٣٩٨ والمغرب ٢ - ١٤٣ - ١٤٤ والوافي بالوفيات
٢ - ٨٦ وفوات الوفيات ٣ - ٢٨٣ والإحاطة ٢ - ٣٣٤ وعقود الجمان
٢ / (غير مرقم) ونفح الطيب ٧ / ٢٦ وكشف الظنون ١ - ٧٦٥ .
(٦) السفر عند القدماء أكبر من المجلدة والمجلدة مجموعة ملازم
صغيرة .
(٧) الذيل والتكملة س ٦ ص ١٠ .
(٨) الاستبصار : « بركة » .
(٩) أخبرني أستاذي الدكتور رمضان عبد التواب في بيته بمنيل
الروضة ليلة ٨ / ٥ / ٨٩ أن « سبب الشذوذ هو عدم وجود الثلاثي
المتعدي إذ لا يقال في العربية (طفاة) ولكن لعل هذا الفعل
المتعدي كان موجوداً في يوم من الايام عندما اشتقت منه العرب صيغة
المطاوعة ومما يمكن أن يستأنس به في هذا المجال قول ابن جني :
(الفعل حاصل في الكف) ونصه : قال ابن جني : قال لي أبو علي
بالشام : إذا صحت الصفة فالفعل في الكف » . انظر : الخصائص
١ / ١٢١ .
(١٠) غرائب التنبيهات : « جفن » .
(١١) السحر والشعر (تحقيق ج . م . كونتي ..) : « خلت » .
(١٢) المصدر السابق : « في » .
(١٣) زهر الاكم ١ - ١٥٢ : « ولاموا » .
(١٤) في الاصل : « مر » .
(١٥) في الاصل : « حان » .
(١٦) في الاصل : « غماره » .
(١٧) بُجَانة : مدينة كانت من أهم قرى أرض اليمن ، أي الإقليم الذي
نزل عليه بنو سراج القضاة وكانوا يأخذون أرضه ، وهي قريبة من
المرية بينهما ستة أميال ، وقال ابن سعيد : مُخَذَّة بُنيت في دولة
بني أمية . انظر : الروض المعطار ص ٧٩ - ٨٠ والمغرب ٢ - ١٩٠ .
(١٨) الديوان والخريدة والنفح : « الحياة » .
(١٩) الخريدة : « يُعَوِّض » .
(٢٠) الديوان والخريدة والنفح : « قبله » .
(٢١) الديوان والخريدة والنفح : « عاد » .
(٢٢) الديوان والخريدة والنفح : « عاد » .
(٢٣) الديوان والخريدة والنفح : « تك » .
(٢٤) هو أبو القاسم خلف بن فرج الالبيري المعروف بانشميسر ، من
أعلام الشعراء في زمن ملوك الطوائف ، وكان كثير الهجاء ، وله كتاب
سماه بـ « شفاء الامراض في أخذ الاعراض » .

- ٤٠ ص ٤١ - رقم ٩٤ وبغية الوعاة ١ / ٥٨٦ رقم ١٢٣٢ .
 (٣٦) تاريخ الادب العربي (عصر الدول والإمارات - الاندلس)
 ص ١٤٦ - ١٦٣ .

المصادر والمراجع

- ١ - الإحاطة في أخبار غرناطة ، تأليف لسان الدين بن الخطيب المتوفى سنة ٧٧٦ هـ - الجزء الثاني - تحقيق محمد عبد الله عثمان - مكتبة الخانجي القاهرة الطبعة الاولى ١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤ م .
- ٢ - الاستبصار في عجائب الأمصار (وصف مكة والمدينة ، ومصر ، وبلاد المغرب) ، لكتاب مراكشي من كتاب القرن السادس الهجري (١٢ م) - نشر وتعليق الدكتور سعد زغلول عبد الحميد - مطبعة جامعة الاسكندرية الاسكندرية ١٩٥٨ .
- ٣ - أنوار الربيع في أنواع البديع ، تأليف السيد علي صدر الدين بن معصوم المدني ١٠٥٢ - ١١٢٠ هـ - الجزء الثاني - تحقيق شاكر هادي شكر - مطبعة النعمان النجف الاشرف الطبعة الاولى ١٣٨٩ هـ - ١٩٦٩ م .
- ٤ - بدائع البدائع ، تأليف علي بن ظافر الأزدي المصري المتوفى سنة ٦٢٣ هـ - تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم - مكتبة الانجلو المصرية القاهرة ١٩٧٠ .
- ٥ - بغية الملتبس في تاريخ رجال أهل الاندلس ، تأليف أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة الضبي المتوفى سنة ٥٩٩ هـ - مطبعة روخس مجريط ١٨٨٤ .
- ٦ - بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، تأليف جلال الدين أبي الفضل عبد الرحمن السيوطي المتوفى سنة ٩١١ هـ - الجزء الاول - تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم - دار الفكر بيروت ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م .
- ٧ - تاريخ الادب العربي رقم « ٧ » (عصر الدول والإمارات - الاندلس) رقم « ٣ » - الدكتور شوقي ضيف - دار المعارف القاهرة الطبعة الاولى ١٩٨٩ .
- ٨ - تسهيل السبيل إلى تعلم الترسيل بتمثيل المماثلات وتصنيف المخاطبات ، تأليف أبي عبد الله محمد بن فتوح بن عبد الله الحميدي المتوفى سنة ٤٨٨ هـ - تحقيق ودراسة عبد العزيز الساوري (تحت الطبع) .
- ٩ - التشبيهات من أشعار أهل الاندلس ، تأليف أبي عبد الله محمد بن الكتاني الطبيب المتوفى قريباً من سنة ٤٢٠ هـ - تحقيق الدكتور إحسان عباس - دار الشروق بيروت القاهرة الطبعة الثالثة ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م .
- ١٠ - التكملة لكتاب الصلة ، تأليف أبي عبد الله محمد بن الأبار القضاعي البلنسي المتوفى سنة ٦٥٨ هـ - الجزء الاول - عنى بنشره وصححه ووقف على طبعه السيد عزت المطار الحسيني - مكتب نشر الثقافة الاسلامية القاهرة ١٣٧٥ هـ - ١٩٥٥ .
- ١١ - تلخيص كنز البراعة = جوهر الكنز .
- ١٢ - تمام المتون في شرح رسالة ابن زيدون ، تأليف صلاح الدين خليل بن ابيك الصفدي المتوفى سنة ٧٩٤ هـ - تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم - دار الفكر العربي القاهرة ١٣٨٩ هـ - ١٩٦٩ م .
- ١٣ - جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الاعلام مدينة فاس ، تأليف أحمد بن القاضي المكناسي (ت ١٠٢٥ / ١٦١٦) - دار المنصور للطباعة والوراقة الرباط ١٩٧٣ .
- ١٤ - جذوة المقتبس في ذكر ولاية الاندلس وأسماء رواة الحديث وأهل الفقه والادب وذوي النباهة والشعر ، تأليف أبي عبد الله محمد بن فتوح بن عبد الله الحميدي المتوفى سنة ٤٨٨ هـ - تحقيق محمد بن تاويت الطنجي - مكتب نشر الثقافة الإسلامية - مطبعة السعادة مصر الطبعة الاولى سنة ١٣٧٢ هـ - ١٩٥٢ م .
- ١٥ - جنة الرضا في التسليم لما قدر الله وقضى ، تأليف أبي يحيى محمد بن عاصم الغرناطي المتوفى سنة ٨٥٧ هـ - الجزء الثالث - تحقيق صلاح جزار - دار البشير عمان - الاردن ١٤١٠ هـ - ١٩٨٩ م .
- ١٦ - جوهر الكنز « تلخيص كنز البراعة في أدوات ذوي البراعة » ، تأليف نجم الدين أحمد بن إسماعيل بن الأثير الحلبي المتوفى سنة ٧٣٧ هـ - تحقيق الدكتور محمد زغلول سلام - منشأة المعارف الاسكندرية (بدون تاريخ) .
- ١٧ - حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة ، تأليف جلال الدين أبي الفضل عبد الرحمن السيوطي المتوفى سنة ٩١١ هـ - الجزء الثاني - تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم - دار احياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه القاهرة (بدون تاريخ) .
- ١٨ - حلية الكميت في الادب والنوادر المتعلقة بالخمريات ، تأليف شمس الدين محمد بن حسن النواجي المتوفى سنة ٨٥٩ هـ - المطبعة الاميرية القاهرة ١٢٧٦ هـ .
- ١٩ - الحلة السيرة ، تأليف أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي المعروف بابن الأبار المتوفى سنة ٦٥٨ هـ - الجزء الثاني - تحقيق الدكتور حسين مؤنس - الشركة العربية للطباعة والنشر القاهرة الطبعة الاولى سنة ١٩٦٣ .
- ٢٠ - خريدة القصر وجريدة العصر ، تأليف أبي عبد الله عماد الدين محمد الاصفهاني الكاتب المتوفى سنة ٥٩٧ هـ - (قسم شعراء المغرب والاندلس) - الجزء الثاني - تحقيق اذرتاش آذرنوش - نقحه وزاد عليه محمد المروسي المطوي والجيلاني بن الحاج يحيى ومحمد المرزوقي - الدار التونسية للنشر تونس الطبعة الثانية ١٩٨٦ .
- ٢١ - الخصائص ، صنعة أبي الفتح عثمان بن جني المتوفى سنة ٣٩٢ هـ - الجزء الاول - تحقيق محمد علي النجار - دار الكتاب

العربي بيروت (بدون تاريخ) .

٢٢ - الدرر الفوائد من غرر القلائد ، تأليف أبي العباس شهاب الدين أحمد بن يحيى بن فضل الله العمري المتوفى سنة ٧٤٩ هـ - مخطوط بدار الكتب والوثائق القومية - الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة تحت رقم ٦٣٦ تاريخ تيمور ميكروفيلم رقم ١١١٠٦ .

٢٣ - الدر الفريد وبيت القصيد ، تأليف محمد بن سيف الدين أيدير المتوفى سنة ٧٠٦ هـ - الجزء الثاني (وهو الاوسط من ثلاثة اجزاء) - مخطوط بمكتبة أسعد أفندي استانبول (تركيا) برقم ٢٥٨٦ . سورة بمعهد إحياء المخطوطات العربية القاهرة تحت رقم ٢١٩ لب .

٢٤ - ديوان ابن خفاجة ، تحقيق الدكتور السيد مصطفى غازي - منشأة المعارف الاسكندرية ١٩٦٠ .

٢٥ - ديوان ابن زيدون ورسائله ، شرح وتحقيق علي عبد العظيم - دار نهضة مصر للطبع والنشر القاهرة ١٩٨٠ .

٢٦ - الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، تأليف أبي الحسن علي بن بسام الشنتريني المتوفى سنة ٥٤٢ هـ - القسم الاول المجلد الثاني - تحقيق الدكتور إحسان عباس - دار الثقافة بيروت ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م .

٢٧ - الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة ، تأليف أبي عبد الله محمد بن محمد بن عبد الملك الانصاري الاوسي المراكشي المتوفى سنة ٧٠٣ هـ - بقية السفر الرابع والسفر السادس - تحقيق الدكتور إحسان عباس - دار الثقافة بيروت الطبعة الاولى ١٩٦٤ - ١٩٧٣ .

٢٨ - ذيل وفيات الاعيان = عقود الجمال .

٢٩ - رسائل ابن حزم الاندلسي المتوفى سنة ٤٥٦ هـ (٥ - رسالة في فضل الاندلس وذكر رجالها) - الجزء الثاني - تحقيق الدكتور إحسان عباس - المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت الطبعة الاولى ١٩٨١ .

٣٠ - رسالة في فضل الاندلس وذكر رجالها = رسائل ابن حزم الاندلسي .

٣١ - الروض الممطر في خبر الاقطار (معجم جغرافي مع مسرد عام) ، تأليف محمد بن عبد المنعم الحميري المتوفى سنة ٧٤٩ هـ (٩) - تحقيق الدكتور إحسان عباس - مؤسسة ناصر للثقافة بيروت الطبعة الثانية ١٩٨٠ .

٣٢ - زهر الاكم في الامثال والحكم ، تأليف الحسن اليوسي المتوفى سنة ١١٠٢ هـ - الجزء الاول والثاني - تحقيق الدكتور محمد حجي والدكتور محمد الاخضر - دار الثقافة الدار البيضاء الطبعة الاولى ١٤٠١ - ١٩٨١ .

٣٣ - السحر والشعر ، تأليف لسان الدين بن الخطيب المتوفى سنة ٧٧٦ هـ .

• تحقيق ودراسة قدور ابراهيم عمار بن محمد - رسالة ماجستير تحت إشراف الاستاذ الدكتور لطفي عبد البديع - كلية الآداب جامعة عين شمس القاهرة ١٩٧٤ / ١٩٧٥ - مكتبة جامعة القاهرة قسم الرسائل الجامعية رقم ١٤١٦ .

• تحقيق ج . م . كونتي نانتيه فيزيير - المعهد الاسباني العربي للثقافة - مطابع « كرافيكاس مولينا » للطباعة العربية مدريد

١٩٨١ .

٣٤ - شرح مقامات الحريري ، تأليف أبي العباس أحمد بن عبد المؤمن القيسي الشريشي المتوفى سنة ٦١٩ هـ - الجزء الثاني - تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم - المؤسسة العربية الحديثة القاهرة ١٩٧٦ .

٣٥ - شعر أبي عبد الله بن الحداد الاندلسي المتوفى سنة ٤٨٠ هـ - جمع وتحقيق وتقديم مثال منيزل - مراجعة الدكتور صلاح جزار - مؤسسة الرسالة بيروت الطبعة الاولى ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م .

٣٦ - طبقات الامم ، تأليف أبي القاسم صاعد بن أحمد الاندلسي المتوفى سنة ٤٦٣ هـ - مطبعة محمد محمد مطر القاهرة (بدون تاريخ) .

٣٧ - طبقات النحاة واللغويين ، تأليف ابن شهبة الاسدي المتوفى سنة ٨٥١ هـ - الجزء الاول - مخطوط بدار الكتب والوثائق القومية - الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة تحت رقم ١١٩٨٨ ح ميكروفيلم رقم ٣٦٤٢ .

٣٨ - طراز المجالس ، تأليف شهاب الدين أحمد بن محمد الخفاجي المتوفى سنة ١٠٦٩ هـ - المطبعة الوهبة المصرية ١٢٨٤ هـ .

٣٩ - عصر الدول والإمالات « الاندلس » = تاريخ الادب العربي .

٤٠ - عقود الجمال وتذييل وفيات الاعيان ، تأليف بدر الدين محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي الشافعي المتوفى سنة ٧٩٤ هـ (وهو ذيل لوفيات الاعيان لابن خلكان) - الجزء الثاني - مخطوط بمكتبة شيخ الإسلام عارف حكمت المدينة المنورة برقم ٤٥٩ تاريخ .. منه مصورة بمعهد إحياء المخطوطات العربية القاهرة تحت رقم ١١٤١ تاريخ .

٤١ - غرائب التنبيهات على عجائب التشبيهات ، تأليف علي بن ظافر الازدي المصري المتوفى سنة ٦٢٣ هـ - تحقيق الدكتور محمد زغلول سلام والدكتور مصطفى الحاوي الجويني - دار المعارف القاهرة ١٩٨٣ .

٤٢ - فوات الوفيات والذيل عليها ، تأليف محمد بن شاکر الكتبي المتوفى سنة ٧٦٤ هـ - الجزء الثالث - تحقيق الدكتور إحسان عباس - دار الثقافة بيروت ١٩٧٤ .

٤٣ - قلائد العقيان ومحاسن الاعيان ، تأليف أبي نصر الفتح بن محمد ابن عبيد الله القيسي الإشبيلي الشهير بابن خاقان المتوفى سنة ٥٢٩ هـ - القسم الاول - حققه وعلق عليه الدكتور حسين يوسف خريوش - مكتبة المنار الزرقاء - الاردن الطبعة الاولى ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م .

٤٤ - كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، تأليف مصطفى بن عبد الله الشهير بحاجي خليفة المتوفى سنة ١٠٦٧ هـ - الجزء الاول - المطبعة الإسلامية طهران الطبعة الثانية ١٣٧٨ هـ - ١٩٤٧ م .

٤٥ - لفتح السحر من رُوح الشعر وزُجج الشجر ، تأليف أبي عثمان سعد ابن أحمد بن ابراهيم النجيب المري مشهور بابن ليون (٦٨١ - ٧٥٠ هـ) - مخطوط بدار الكتب والوثائق القومية - الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة تحت رقم ١١٦٢٧ ز ميكروفيلم رقم ١٨٣١٣ .

٤٦ - مباحث الفكر ومناهج المبر ، تأليف محمد بن ابراهيم بن يحيى ابن علي الانصاري المعروف بالوطواط (٦٣٢ - ٧١٨ هـ) - مخطوط بدار الكتب والوثائق القومية - الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة

٥٥ - المنازل والديار ، تأليف أسامة بن منقذ المتوفى سنة ٥٨٤ هـ - تحقيق مصطفى حجازي - نشر المجلس الاعلى للشؤون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي - الكتاب الخامس عشر - القاهرة ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٨ م .

٥٦ - نزهة الابصار في محاسن الاشعار ، تأليف شهاب الدين أبي العباس المنابي أحمد بن محمد بن محمد بن علي (٧١٦ - ٧٧٦ هـ) - تحقيق السيد مصطفى السنوسي وعبد اللطيف أحمد لطف الله - دار القلم الكويت الطبعة الاولى ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٦ م .

٥٧ - نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، تأليف أحمد بن محمد المقرئ التلمساني المتوفى سنة ٦٠٤١ هـ - الأجزاء ١ - ٣ - ٤ - ٧ - تحقيق الدكتور إحسان عباس - دار صادر بيروت ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م .

٥٨ - نهاية الارب في فنون الادب ، تأليف شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري المتوفى سنة ٧٤٤ هـ - الجزء الحادي عشر - مطبعة دار الكتب المصرية القاهرة ١٩٣٥ .

٥٩ - الوافي بالوفيات ، تأليف صلاح الدين خليل بن ايبك الصفدي المتوفى سنة ٧٦٤ هـ - الجزء الثاني والخامس - تحقيق س . بيد رينغ - دار النشر فرانز شتايز فيسبادن الطبعة الثانية ١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤ م ؛ ١٣٨٩ هـ - ١٩٧٠ م .

٦٠ - الوافي في نظم القوافي ، تأليف أبي البقاء أو أبي الطيب صالح ابن يزيد بن صالح بن موسى بن أبي القاسم بن علي بن شريف النفري (٦٠١ - ٦٨٤ هـ / ١٢٠٤ - ١٢٨٥ م) - مخطوط بدار الكتب والوثائق القومية - الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة تحت رقم ٦٠٣ أنب تيمور ميكروفيلم رقم ٢٥٥١ .

٦١ - وفيات الاعيان وأنباء أبناء الزمان ، تأليف أبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان (٦٠٨ - ٦٨١ هـ) - الجزء الخامس - تحقيق الدكتور إحسان عباس - دار الثقافة بيروت (بدون تاريخ) .

تحت رقم ٤٠ طبعة وكيمياء ميكروفيلم رقم ١٤٩٨٢ .

٤٧ - المحاضرات في الادب واللغة ، تأليف الحسن اليوسي المتوفى سنة ١١٠٢ هـ - الجزء الاول - تحقيق محمد حجي وأحمد الشرقاوي اقبال - دار الغرب الإسلامي بيروت ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م .

٤٨ - المخلاة ، تأليف بهاء الدين محمد بن حسين العاملي المتوفى سنة ١٠٣٠ هـ - المطبعة الادبية مصر الطبعة الاولى (بدون تاريخ) .

٤٩ - مركز الاحاطة في ادباء غرناطة تأليف أبي البقاء محمد بن ابراهيم بن محمد بدر الدين البشتكي المتوفى سنة ٨٣٠ هـ - مخطوط بدار الكتب والوثائق القومية - الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة تحت رقم ٢٢٢١٤ تاريخ تيمور ميكروفيلم رقم ١٢٩٨٧ .

٥٠ - المطرب في اشعار أهل المغرب ، تأليف ابن دحية ذي النسيين أبي الخطاب عمر بن حسن المتوفى سنة ٦٣٣ هـ - تحقيق الدكتور مصطفى عوض الكريم - مطبعة مصر الخرطوم الطبعة الاولى ١٩٥٤ .

٥١ - معاهد التنصيص على شواهد التلخيص ، تأليف عبد الرحيم بن أحمد العباسي المتوفى سنة ٩٦٣ هـ - الجزء الثاني - تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد - مطبعة السعادة مصر ١٣٦٧ هـ - ١٩٤٧ م .

٥٢ - مغاني المعاني ، تأليف زين الدين محمد بن أبي بكر الرازي المتوفى سنة ٦٩٦ هـ - تحقيق الدكتور محمد زغلول سلام - منشأة المعارف الاسكندرية ١٩٨٧ .

٥٣ - المغرب في حلى المغرب ، لابناء سعيد - الجزء الثاني - تحقيق الدكتور شوقي ضيف - دار المعارف القاهرة ١٩٥٥ .

٥٤ - مفتاح الراحة لاهل الفلاحة ، لمؤلف مجهول من القرن الثامن الهجري - تحقيق ودراسة الدكتور محمد عيسى صالحية والدكتور إحسان صدقي العمدة - المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - قسم التراث العربي - السلسلة التراثية (١) - الكويت الطبعة الاولى ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م .



مقاسات في الفلسفة الصوفية وملاحظات حول ترجمة أربري لـ « نصوص النفري »

عزيز عارف
بغداد

القسم السابع

تصهيد :

الشيخ محمد بن عبد الجبار النفري (ت ٣٥٤ هـ / ٩٦٥ م) صوفي فيلسوف ، لا نعرف عن حياته الا النذر اليسير . ويعود الفضل في التعريف به وكتابه النفيسين (المواقف) و (المخاطبات) الى المستشرق الانكليزي الاستاذ آرثر يوحنا أربري (١٩٠٥ - ١٩٦٩) حيث قام بتحقيق هذين الكتابين وترجمهما الى اللغة الانكليزية وقدم لهما بدراسة قيمة وعلق على أغلب نصوصهما تعليقات مفيدة ، وصدر في القاهرة سنة ١٩٣٤ عن دار الكتب المصرية ، ثم أعادت طبعهما بالافست مكتبة المثنى ببغداد .

وترجمة الاستاذ أربري لكتابي المواقف والمخاطبات رائعة الاسلوب الا أنها تفتقر الى الدقة احيانا ، وقد تفوته احيانا دلالة بعض نصوص النفري وعمق معانيها .

ولقد عرضت ، على سبيل التمثيل بعضاً من هذه النصوص في مجلة المورد الغراء (الأعداد : ١٩٨٨/٣ ، ١٩٨٩/١ و ١٩٩٤/١ و ١٩٩٥/١) وسأعرض هنا بعضاً آخر منها مع ترجمة الاستاذ أربري لها بالانكليزية وسنرى كيف ان هذه الترجمة قد ابتعدت عن المعنى الصوفي العميق الذي أراده النفري وقصد اليه .

- القضاء والقدر -

نص النفري^(١)

« يا عبد ! تبّ اليّ مما أكره ، أقدر لك ما تحب »

ترجمة أربري^(٢)

« Turn to me from that which I hate and I will put in thy power that which thou lovest »

استدراك وتعليق

١ - نلاحظ ان الاستاذ أربري ذهب في ترجمته للعبارة « أقدر لك » الى معنى « سأجعل في قدرتك » (I will put in thy power) فهي هنا من القدرة اذن .

اما الذي نراه فهي من القضاء والقدر لا من القدرة . ويمكن ان تفهم العبارة (أقدر لك) بمعنى اهبيء لك سبيل ما تحب دون اي عناء او توقع منك ، ودون اي قدرة عندك .

٢ - ولعل من يتساءل : او ليس من قضاء الله وقدره ان يمنح الانسان القدرة على نوال ما يحب ؟

بلى : ولكن القضاء والقدر من علم الغيب وميدانه رحب جد واسع ماله من حدود .

ويرد القدر في نص النفري مطلقاً غير محدد ، اما تحدّده بالقدرة (كما يرد ذلك في ترجمة أربري) فليس له ما يبرره .

- ديوان العرض -

نص النفري^(٣)

« يا عبد ! كل مقال تعلّق بمعقول او خيال ممثول فهو في ديوان العرض ، حسنه في الحسن وقبحه في القبيح » -

ترجمة أربري^(٤)

« Every speech is connected with an intelligible object or a simplified fancy : it is in the register of accident , its beauty in the beautiful , and its ugliness in the ugly »

استدراك وتعليق

جاءت ترجمة الاستاذ أربري لهذا النص بعيدة كل البعد عن المعنى الذي أراده النفري وقصد اليه ، والامر يحتاج الى شيء من الشرح .

١ - إن عبارة (ديوان العرض) الواردة في نص النفري ظهرت في ترجمة أربري على النحو التالي :

(The register of accident) بمعنى (سجل الحدث العارض) أي الصدف والحوادث العارضة . ومن هنا وقع الخلل في الترجمة .

٢ - والذي نراه ان النفري اراد أن يقول : ان كل قول او عمل يصدر من الانسان ، حتى الخاطر يخطر له ، يكتب له او عليه . يكتب ان كان حسناً في صحيفة الأعمال الحسنة ، وان كان سيئاً ففي صحيفة الأعمال السيئة . هذا هو سجل أعمال الخلق ، او ديوان العرض ، يعرض على الله يوم القيامة فيقدر لهم ما يستحقون من ثواب او عقاب . وإلى هذا المعنى قصد الشيخ النفري وليس كما ذهبت اليه الترجمة .

٣ - ويشير نص النفري - كما نرى - الى قوله تعالى : « ويوم نسير الجبال وترى الأرض بارزة وحشرناهم فلم نغادر منهم أحداً ، وغرضوا على ربك صفاً ، لقد جئتمونا كما خلقناكم اول مرة ، بل زعمتم ان لن نجعل لكم موعداً ، ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون ياويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها ، ووجدوا ما عملوا حاضراً ولا يظلم ربك أحداً » .

٤ - وفي كتاب (تفسير القرآن العظيم) لابي محمد سهل بن عبدالله التستري نقراً مايلي :

« قوله تعالى : - (فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره) - قال : لما نزلت هذه الآية خطب رسول الله (ﷺ) فقال في خطبته : ألا وان الدنيا غرض حاضر يأكل منه البر والفاجر ، ألا وان الآخرة اجل صادق يقضي فيها ملك قادر ، ألا وان الخير كله بحذاقيره في الجنة ، ألا وان الشر كله بحذاقيره في النار ، ألا فاعملوا وأنتم من الله على حذر ، وأعلموا انكم معرضون على أعمالكم - (فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره) » .

٥ - ويقول الشيخ ابراهيم بن أدهم :

« .. ينبغي للعبد ان يزن نفسه قبل أن يوزن ، ويحاسب نفسه قبل أن يحاسب ، ويتزين وينتهي للعرض على الله العلي الأكبر » .

٦ - ويصور لنا الشيخ عبدالقادر الجيلاني في كتابه (الفتح الرباني) مشهد يوم انعرض تصويراً جميلاً فيقول :

« ... ما منكم الا من يؤتى به يوم القيامة ومعه ملائكته الذين كانوا موكلين به في الدنيا ، يكتبون عليه حسناته وسيئاته ومعهم تسعة وتسعون سجلاً ، كل سجل منها مد البصر ، فيها حسناته وسيئاته وجميع ما صدر منه .. اذا جحد أحدكم ما في سجلاته نطقت جوارحه بما فيها ، تنطق كل جارحة على حدة بجميع ما عملته في الدنيا .. » .

- صحائف الاعمال -

نص النفري^(٩)

« يا عبد ! لك وعليك في ديوان العرض ، كثر مالك ، وكثر ما عليك »

ترجمة آبري^(١٠)

« Thou hast credit and debit in the register of accident : much is thy credit , and much thy debit »

استدراك وتعليق

لنا على ترجمة الاستاذ آبري ملاحظتان :

الملاحظة الاولى :

ان عبارة (ديوان العرض) الواردة في نص النفري تعني - كما أوضحنا في الفقرة السابقة - صحائف اعمال الانسان ، حسناته وسيئاته تعرض يوم القيامة .

اما الترجمة فقد جاءت بمعنى سجل الاحداث العارضة : « the register of accident » وهي كما ترى بعيدة كل البعد عن معنى النص .

الملاحظة الثانية :

ان العبارة الواردة في نص النفري (كثر مالك وكثر ما عليك) جاءت في ترجمة الاستاذ آبري على جهة الاخبار اي « قد كثر مالك وقد كثر ما عليك » ولكن الذي نراه - وكما يبدو من سياق نص النفري - ان هذه العبارة تعني : « مهما كثر مالك ، ومهما كثر ما عليك » اي ان صحائف اعمال الانسان تُحصي للانسان حسناته مهما كثرت ، وتُحصي عليه سيئاته مهما كثرت .

- حركات الجوارح -

نص النفري^(١١)

« لا بد أن تتحرك عادة ، فإذا تحركت عادة فمالك أدب » -

ترجمة آبري للنص^(١٢)

« There is no help but that thou must be unstable in babit : and if thou art ustable in habit ; thou hast no manners » -

تفسير آبري لنص النفري^(١٣)

« Man inevitably regards his harakat as the product of habit : but this is an error , for God is really the

- عقود السر -

نص النفري^(١٤)

« لا تكن بالعقود فيحل ما عقدت ، ولا تكن بالعهود فيخفر ما عاهدت » .

ترجمة آبري^(١٥)

« Abide not with compacts , or that which thou hast Compacted will be loosened : abide not with treaties , or that for which thou hast made treaty will be violated .

the heart consists in its believing and not doing .

استدراك وتعليق

١ - نلاحظ ان العبارة الواردة في نص النفري « وكذب القلب ان يعقد فلا يفعل » جاءت في ترجمة أربري بعيدة عن المعنى الذي اراده النفري وقصد اليه ، والأمر يحتاج الى شيء من الشرح .

٢ - ذهب الاستاذ أربري في ترجمته الى أن (عقد القلب) هنا يشير الى الاعتقاد او العقيدة بمعنى الايمان بشيء « believing » .

وانذي نراه ان (عقد القلب) في اشارة النفري يعني : ان يتعهد الانسان سرا فيما بينه وبين ربه ، ان يلزم نفسه بعمل او ترك عمل ، فيما هو مباح له ، وغير ملزم له شرعا . فان فعل ما ألزم نفسه به كان صادق القلب ، وان لم يفعل كان كاذب القلب .

٣ - في (لسان العرب) لابن منظور - مادة (عقد) : « والعقد : العهد ، والجمع عقود .. وعقد قلبه على الشيء : لزمه » .

وفي كتاب اللمع للسراج : « والعقد » عقد السر ، وهو ما يعتقد العبد بقلبه بينه وبين الله تعالى أن يفعل كذا او لا يفعل كذا .. » (٢١) .

ويتحدث ابن عربي في كتابه (الفتوحات المكية) عن علم الحروف وما للحروف من اثر يشبه الفعل بالهمة ويقرر أنه علم شريف في نفسه الا أن السلامة منه عزيزة فالاولى اذن تركه . يقول عن نفسه : « ولولا اني ألّيت عقدا ان لا يظهر مني اثر عن حرف لاربتهم من ذلك عجباً » (٢٢) .

٤ - ويفرق الصوفية بين الخواص والعوام فيقولون : ان العامة من المؤمنين قد أوجب الله عليهم الوفاء اذا عهدوا بالسنتهم عهداً ، اما الخواص فقد أوجب الله عليهم الوفاء اذا عقدوا بقلوبهم عهداً » (٢٣) .

ويذهب الشيخ محيي الدين بن عربي في عقد القلب ، مذهباً بعيداً قد يبدو لنا غريباً بعيداً عن المعقول ، ولكنه في الحقيقة لا يخرج عن هذا المفهوم المعروف عند الصوفية .

في كتابه (الفتوحات المكية) يتحدث ابن عربي عن الخواطر الشيطانية وكيف أن الشيطان يستدرج العارف احياناً الى فعل امر من الطاعات ، فاذا نوى العارف ذلك وعزم عليه وعقد بقلبه عهداً مع الله ولم يبق الا الفعل ، اقام له دون علمه عبادة اخرى افضل منها شرعاً فينصرف العارف الى هذا الفعل الثاني ، ويترك الفعل الاول ، وهو لا يدري انه بتركه هذا قد نقض العهد الاول مع الله من بعد ميثاقه (٢٤) .

٥ - ومن الجدير بالملاحظة ان الاستاذ أربري - عند ترجمته لكتاب المخاطبات للنفري - قد فطن الى ان (عقد القلب) لا يعني العقيدة او الايمان وانما يعني : (النية والعزم)

نرى ان ترجمة الاستاذ أربري لنص النفري جاءت من وجهة النظر اللغوية صحيحة ورائعة الاسلوب ، غير أنها من وجهة النظر الصوفية لا تؤدي المعنى الذي اراده النفري وقصد اليه . والأمر يحتاج الى بعض التوضيح .

١ - ان العقود (Compacts) والعهود (treaties) كما وردت في ترجمة الاستاذ أربري تعني الاتفاق بين طرفين او أكثر على القيام بعمل او الامتناع عن عمل ، وهو اتفاق ملزم لاطراف المتعاقدين والمتعهدين جميعاً .

اما (العقود) و (العهود) التي وردت في نص النفري فهي عقود وعهود السر التي يعقدها العبد بقلبه او يتعهد بها بلسانه بينه وبين ربه ان يفعل كذا او لا يفعل كذا .. وهي كما ترى عقود وعهود من جانب واحد ، صادرة منه وملزمة له ، وليست اتفاقاً بين جوانب متعددة كما يظهر معناها في ترجمة الاستاذ أربري .

٢ - ما معنى نص النفري ؟

الذي نراه ان النفري اراد أن يقول : اياك ايها الانسان ان تعقد في سرك عقداً او تعهد عهداً بينك وبين ربك ، خذ ان لاتستطيع الوفاء بعقدك فتنقض حينئذ عهدك مع الله من بعد ميثاقه فتكون من الخاسرين . ثم أنت ايها الانسان كيف قدرت أنك ستفي بعهدك وقدرتك محدودة ، ومالك سوى الساعة التي أنت فيها ، كيف تجزأت فقدرت ؟ ألا تخشى مكر الله ؟ ألا تخشى ان يحل ماعدت العزم عليه ؟ وأن ينقض ما عاهدت عليه ؟ « قيل لحكيم : بم عرفت الله ؟ فقال :

بحل العقود وفسخ العزائم » (٢٥) .

٣ - ولعل أوضح تفسير لنص النفري ما قاله الشيخ الصوفي محمد بن يعقوب الفرجي :

« منذ ثلاثين سنة ما عقدت بيني وبين الله عز وجل عهداً مخافة أن يفسخ علي ذلك فيكذبني على لساني » (٢٦) .

(٦)

- عقد القلب -

نص النفري (٢٧)

« كذب اللسان أن يقول ما لم يقل ، وأن يقول ولا يفعل . وكذب القلب أن يعقد فلا يفعل »

ترجمة أربري (٢٨)

« The lie of the tongue consists in its saying what has never been said , and in saying and not doing : the lie of

اما القلب فينقلب مع هواه ، يتحول أبداً من حال الى حال . واما قلب القلب فهو القلب المطمئن ، الثابت على الايمان . ويذهب محيي الدين بن عربي في كتابه (الاسفار)^(٣٢) الى ان للقلب قلباً هو الفؤاد ، وللقلب رؤية ، ولقلب القلب (الفؤاد) رؤية .

اما رؤية القلب فيدركها العمى . قال تعالى : « ولكن تعمى القلوب التي في الصدور »^(٣٣) .

واما الفؤاد فلا يعنى . قال تعالى : « ما كذب الفؤادُ ما رأى »^(٣٤) .

ويقول ابن عربي في (كتاب نقش الفصوص) : « القلب ينقلب في الخواطر ولذلك قال [تعالى] : (ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب) ولم يقل عقل لأن العقل يتقيد بخلاف القلب »^(٣٥) .

وفي خواطر القلوب ، يقول الشيخ الصوفي أبو تراب النخشبى : « ليس من العبادات شيء أنفع من إصلاح خواطر القلوب »^(٣٦) وفي قلب القلب يقول ابن عربي في (كتاب التجليات) : « .. والقلب لا ثبات له على حال ، سريع التقلب ، ما سمي القلب إلا من تقلبه »^(٣٧) .

ويقول (سمنون المحب) في ضياع قلبه^(٣٨) :

كان لي قلب أعيش به
ضاع مني في تقلبه
وفي كتاب (تفسير القرآن الكريم) المنسوب للشيخ محيي الدين بن عربي نقراً مايلي :

« قال النبي عليه الصلاة والسلام : (اللهم ثبت قلبي على دينك) فقيل له : اما غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ، قال : وما يؤمنني ؟ ان مثل القلب كممثل ريشة في فلاة تقلبها الريح كيف شاءت »^(٣٩) .

وفي هذا المعنى يقول (ابن قيم الجوزيه) في كتابه « روضة المحبين ونزهة المشتاقين » :

« وقد قال الله تعالى لاكرم الخلق عليه واحبهم اليه . - (ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئاً قليلاً) - ولهذا كان من دعائه :

« يا مقلب القلوب ، ثبت قلبي على دينك » وكانت أكثر يمينه : « لا ، ومقلب القلوب »^(٤٠) .

(٨)

- تقلب القلب -

نص النفري^(٤١)

« إستغفرك من فعل قلبك أكفك تقلبه » .

ترجمة أربري^(٤٢) .

« Ask Forgiveness of me for the act of the heart , and I will rid thee of its changeability »

استدراك وتعليق

« determines .. determination » على النحو المثبت في

ترجمته للنصين التاليين :

النص الاول^(٤٣) :

« يا عبد ! قلب انظر فيه لا يعقد على حسنة ولا يصز على سيئة » .

ترجمة أربري^(٤٤) :

« A heart into which I look determines not upon any good , nor persists in any evil deed »

النص الثاني^(٤٥) :

« يا عبد ! قل لقلبك ، عقدك قصد ، واصرارك قصد ، وأنت ابن الاختلاف » .

ترجمة أربري^(٤٦) :

« Say to thy heart : thy determination is an aim , and thy persistence is an aim , and thou art the son of contrariety »

(٧)

- القلب ينقلب -

نص النفري^(٤٧)

« القلب ينقلب ، قلب القلب لا ينقلب » .

ترجمة أربري^(٤٨)

« the heart is moved , but the heart of the heart is not moved »

استدراك وتعليق

١ - هذه الترجمة - كما نرى - لا تؤدي هنا المعنى الذي اراده

النفري وقصد اليه ، فالترجمة تقول :

القلب محرك ، اما قلب القلب فليس بمحرك » ، و الفرق ، أي

مرفق ، بين تقلب القلب من حال الى حال - كما في نص النفري -

وبين حركة القلب الدائمة المألوفة ، - كما يفهم من ترجمة

أربري .

٢ - سنرى لاحقاً كيف ان الاستاذ أربري قد فطن الى هذا

المعنى فترجم ، في نص آخر للنفري ، (تقلب) القلب

Changeability على وجه ملائم لمعنى النص (انظر الفقرة

اللاحقة رقم - ٨ -) .

ما معنى نص النفري ؟

يفرق الشيخ النفري هنا بين (القلب) وبين (قلب القلب)

١- يترجم الاستاذ اربري هنا (تقلب) القلب its Changeability - على وجه يتلاءم ومعنى النص . وقد رأينا في الفقرة السابقة رقم (٧) ، كيف ذهب في ترجمة تقلب القلب بمعنى (حركة القلب) .

٢- ومن الجدير بالملاحظة هنا ان العبارة الواردة في نص النفري - (فعل قلب) - جاءت في ترجمة اربري بمعنى : The act of the heart - وهي ترجمة يفتقر الى الدقة - كما نرى - ويا حبذا لو جاءت على النحو التالي : (the act of thy heart) .

٣- ان هذا النص - كما يقول لنا النفري - انما هو خطاب صادر من الحق ، موجه الى (واقف) اوقفه الحق في موقف (أنا منتهى اعزائي) فلا بد ان ينقل الخطاب كما هو دون اي زيادة او نقصان .

ما معنى نص النفري ؟

١- (تمل القلب) يعني عند الصوفية ما يعتمل في القلب من الخواطر والنيات والمقاصد والعهود والههم والعزائم .

٢- ويفرق الشيخ محيي الدين بن عربي في كتابه (انشاء الدوائر) بين (عمل القلب) وبين (حركة القلب) . اما عمل القلب (القصد والارادة) فهو من عالم الغيب ، واما حركة القلب فهو من عالم الشهادة^(٤٥) .

٣- ولعل أوضح تفسير لنص النفري قول الشيخ الصوفي (ابو تراب النخشي) : « ليس من العبادات شيء أنفع من اصلاح خواطر القلوب »^(٤٦) .

(٩)

- العباداة للآخرة -

نص النفري^(٤٧)

« يا عبد ! عكوفك على الدنيا أحسن من عبادتك للآخرة » .

ترجمة أربري^(٤٨)

« Thy attention to this world is nobler than thy enslavement to the next world »

استدراك وتعليق

١- نلاحظ ان كلمة (أحسن) في نص النفري جاءت على ارادة التفضيل بمعنى (اولى او أفضل) .

أما الاستاذ اربري فقد ترجم كلمة (أحسن) بمعنى (أشرف او أنبل - nobler) ، ومن هنا فقد اعطى العكوف على الدنيا صفة التشريف وسمو المنزلة ، وهذا المفهوم غريب ، يتعارض مع الفكر الصوفي الذي يحط من قدر الدنيا ويقلل من شأنها .

شأنها ويدعو الى نبذها والزهادة فيها .

٢- ويستقر في ضمائر الصوفية ويرسخ في أذهانهم ويتردد على ألسنتهم قول الله عز وجل :

« وما الحياة الدنيا الا لعب ولهو »^(٤٩) .

ولا يغيب عن بالهم قول الرسول الأمين محمد (ﷺ) :

« عُرضت علي الدنيا فابيتها »^(٥٠) . وهم لا يفتأون يرددون ما جاء في الحديث الشريف .

« الدنيا ملعونة ، ملعون ما فيها الا ما أتني به وجه الله عز وجل »^(٥١) وقوله (ﷺ) « الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر »^(٥٢) وقوله صلى الله عليه وسلم

« لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ، ما سقى كافراً منها شربة ماء »^(٥٣) .

اذا كان هذا حال الدنيا عند الصوفية فكيف يمكن ان يكون العكوف عليها (اشرف) من العباداة للآخرة - كما في ترجمة أربري - ؟

٣- ويقول الاستاذ اربري (في شرحه لهذا النص) إنه رائع ، يبدو - اول وهلة - متناقضاً ولكنه في حقيقته انما يؤكد دناءة من يفكر في طلب الاجر قبل ان يباشر عملاً يؤدي عليه .

وتقتضينا الأمانة ان نثبت كلمات أربري كما هي بالاصل^(٥٤) « A Splendid paradox, emphasising the baseness of considering the reward before entering upon an action »

ان هذا الشرح - كما نرى - بعيد عن مفهوم نص النفري ، وهو لا يفسر لنا كيف يكون الاستمتاع بالدنيا أحسن من العباداة طلباً للآخرة .

٤- ما معنى نص النفري ؟

الذي تراه ان النفري أراد ان يقول ان هجران الانسان للدنيا وعكوفه على عباداة الآخرة ، طلباً للثواب ، لا ابتغاء وجه الله سبحانه ، انما يقضي به كل ذلك الى خسرانين :

خسران الدنيا وخسران الآخرة .

أما اذا عكف الانسان على الاستمتاع بالدنيا دون ان يقدم عملاً لآخرفته ، فقد حظي بالدنيا وحدها ، وخسر خسراناً واحداً ، هو خسران الآخرة .

خسران واحد إذن أحسن للإنسان من خسرانين ونلاحظ ان كلمة (أحسن) في نص النفري جاءت كناية عن الخسران على سبيل التهكم . وليس من شك ان النفري انما يتهمك هنا على من يتجشم عناء العباداة للآخرة وليس في همه الا طلب الاجر على عبادته ، لا ابتغاء وجه الله .

(١٠)

- التقوية والرضا -

نص النفري^(٥٥)

١ - « يسوءك كل ما منك أغفره ، لا يسوءك كل ما مني ، أصرف
السوء كله » -

٢ - « إن التزمت ما ألزمتك بين هذين كنت ولياً » -
ترجمة آربري^(٥٦)

1 - « That harms thee which proceeds from thyself , and
I forgive it : but that which proceeds from me does not
harm thee , for I turn aside harm altogether »

2 - « If thou clingest to that which I have attached to thee
between these two , then thou wilt be a friend »

استدراك وتعليق

أولاً - هذا النص من الاشارات الصوفية البالغة الدقة في
دلالاتها ، تبدو لنا عبارة النص قلقة مضطربة ، غير أنها في
الحقيقة تنطوي على اشارة ذات معنى عميق . ذلك ان الفقرة
الأولى من هذا النص تشير الى شرطين - كما سنرى - اما عبارة
النص فقد خلت من أداة الشرط .

ومن المعلوم ان للصوفية لغتهم الخاصة ، يتداولونها فيما
بينهم ، فلهم رموزهم ومصطلحاتهم ، ولهم طرائقهم في
التعبير ، يتصرفون في أصول اللغة أحياناً فيعمدون الى
الحذف والإضافة والتحوير والتأويل .

ويصدق على نص النفري هذا قول الحلاج :

من لم يقف على إشارتنا ، لم ترشده عباراتنا «^(٥٧)» -

ثانياً : قبل الخوض في معنى النص نقول :

١ - ان عبارة النفري « يسوءك كل ما منك اغفره » - ينبغي أن
تفهم على أنها جملة شرطية وأن تقرأ على الوجه التالي : « إن
يسوءك كل ما منك اغفره »

- (على تقدير لاداة شرط مضمرة هي (إن) الجازمة) - ولقد
تعمد النفري حذف أداة الشرط من عبارته لأن الجملة مفهومة
للصوفية بدون هذه الأداة ، واكتفى بإثبات فعل الشرط وجواب
الشرط .

٢ - وكذلك عبارة النفري : « لايسوءك كل ما مني ، أصرف
السوء كله » - ينبغي أن تفهم على أنها جملة شرطية وأن تقرأ
على النحو التالي :

« إن لم يسوءك كل ما مني ، أصرف السوء كله » .

- (على تقدير لاداة الشرط (إن) المضمرة) -

ونلاحظ هنا كذلك ان النفري قد اكتفى بفعل الشرط
وجواب الشرط ، أما أداة الشرط (إن) فقد تعمد حذفها لان
الجملة مفهومة بدونها .

ثالثاً : مامعنى نص النفري ؟

يشير نص النفري - كما نرى - الى مقامي (التوبة
والرضا) عند الصوفية . أما ترجمة الاستاذ آربري فقد فاتها
هذا المعنى ، فجاءت بعيدة عن أي مفهوم صوفي ، والامر
يحتاج الى شيء من الشرح .

١ - عبارة النفري « يسوءك كل ما منك أغفره »

معناها : إن أذنبت فسأك ذنبك وأهملك وغمك فندمت على
ما كان منك وتبت منه فان الله غفور رحيم . وهذا مقام التوبة ،
وهو « أول مقام من مقامات المنقطعين الى الله تعالى » كما
يقول الشيخ يوسف بن حمدان السوسي^(٥٨) .

٢ - أما عبارة النفري : « لا يسوءك كل ما مني ، أصرف السوء
كله » فمعناها :

إن قضى الله عليك بالبلاء ، فتقبلت قضاءه راضياً ، لم
يسوءك ولم يسخطك ، فسيؤلاك الله برحمته فيصرف السوء كله
عنك .

وهذا مقام (الرضا) وهو آخر المقامات عند الصوفية .

سئل ذوالنون عن الرضا فقال :

« سرور القلب بمُر القضاء »^(٥٩)

رابعاً : وبين مقامي التوبة والرضا ثمة مقامات آخر ، كالورع
والزهد والفقر والصبر والتوكل . والى هذه المقامات أشار نص
النفري :

« إن التزمت ما ألزمتك بين هذين كنت ولياً » أو لعل

النفري وهو يحوم في فضاء الحقيقة ، قد قصد بقوله « ان
التزمت ما ألزمتك » الى الالتزام بأحكام الشريعة . و « الحقيقة
عين الشريعة » كما يقول الشيخ ابن عربي .

خامساً : ترجمة النص :

أما ترجمة الاستاذ آربري لنص النفري هذا فنلاحظ على
الفقرة الأولى منها أنها بعيدة عن مفهوم النص حيث جاءت
على النحو التالي :

« ما يصدر منك يسوءك ، واني اغفره لك . أما ما يصدر
مني فلا يسوءك ، لاني أصرف السوء كله » ان هذه الترجمة -
كما نرى - لا تدل على أي معنى صوفي ، وهي الى ذلك لا تتلاءم
مع الفقرة الثانية من نص النفري : « إن التزمت ما ألزمتك بين
هذين كنت ولياً » - إلا فإين هو مفهوم (الالتزام) في ترجمة
آربري ؟ وبأي شيء يلتزم المخاطب ؟ وأين معنى (هذين) ؟
وأين معنى (بين هذين) ؟

الحق ان هذه الترجمة لا تدلنا على مفهوم النص .

هوامش القسم السابع

- - راجع مجلة المورد (الاعداد ١٩٨٦/٢ و ١٩٨٨/٣ و ١٩٨٩/١ و ١٩٩٤/١ و ١٩٩٥/١)
- ١ - النفري - محمد بن عبد الجبار - كتاب المخاطبات - ص ١٩٦ .
- تحقيق آرثر يوحنا أريبي - دار الكتب المصرية بالقاهرة - ١٩٣٤ - اعادت طبعه بالافست مكتبة المتنبي ببغداد .
- ٢ - النفري - كتاب المخاطبات - ترجمة أريبي بالانكليزية - ص ١٦٧ - المخاطبة رقم (٤١) - الفقرة (٢) -
- ٣ - النفري - كتاب المخاطبات - ص ١٧٠ .
- ٤ - النفري - كتاب المخاطبات - ترجمة أريبي بالانكليزية - ص ١٤٩ (المخاطبة رقم (١٨) - الفقرة (٧) .
- ٥ - سورة الكهف (الآيات ٤٧ / ٤٨ و ٤٩) .
- ٦ - راجع (تفسير القرآن العظيم) - سهل بن عبد الله التستري - مطبعة السعادة - القاهرة / ١٩٠٨ - ص ١٩١ .
- ٧ - أبو نعيم الاصبهاني - حلية الأولياء - ج ٨ ص ٤٠ .
- ٨ - الشيخ عبدالقادر الجيلاني - الفتح الرباني والفيض الرحماني - دار المعرفة - بيروت - ١٩٧٩ - ص ١٥٥ .
- ٩ - النفري - كتاب المخاطبات - المخاطبة (١٨) - ص ١٧٠ .
- ١٠ - النفري - كتاب المخاطبات - ترجمة أريبي بالانكليزية - ص ١٥٠ (المخاطبة (١٨) - الفقرة (١٠) .
- ١١ - النفري - كتاب المواظف - الموقف (٥٠) - ص ٨٢ .
- ١٢ - النفري - كتاب المواظف - ترجمة أريبي بالانكليزية ص ٨٦ - الموقف (٥٠) - الفقرة (٦) .
- ١٣ - راجع تعليقات أريبي بالانكليزية على كتاب المواظف - ص ٢٣٣ (الموقف (٥٠) - الفقرة (٦) .
- ١٤ - النفري - كتاب المواظف - ص ٨٢ .
- ١٥ - ابن عربي - الفتوحات المكية - ج ١ ص ٤٥١ (دار صادر - بيروت - دون تاريخ) .
- ١٦ - المصدر السابق - ج ١ - ص ٤١٠ .
- ١٧ - المصدر السابق - ج ٢ - ص ٤٦٨ .
- ١٨ - النفري - كتاب المخاطبات - ص ١٧٣ .
- ١٩ - النفري - كتاب المخاطبات - ترجمة أريبي بالانكليزية - ص ١٥١ - الفقرة (٢١) .
- ٢٠ - السراج - اللمع - ص ٤٣٠ .
- ٢١ - المصدر السابق - ص ٤٣٠ .
- ٢٢ - النفري - كتاب المواظف - ص ٤٦ .
- ٢٣ - النفري - كتاب المواظف - ترجمة أريبي بالانكليزية - ص ٦٠ - الفقرة (١١) .
- ٢٤ - السراج - اللمع - ص ٤٣٠ .
- ٢٥ - ابن عربي - الفتوحات المكية - ج ١ - ص ١٩٠ .
- ٢٦ - السراج - اللمع - ص ٤٣١ .
- ٢٧ - ابن عربي - الفتوحات المكية - ج ١ - ص ٢٨٣ .
- ٢٨ - النفري - كتاب المخاطبات - ص ١٨٠ .
- ٢٩ - النفري - كتاب المخاطبات - ترجمة أريبي بالانكليزية - ص ١٥٦ - فقرة (٢١) .
- ٣٠ - النفري - كتاب المخاطبات - ص ١٨٠ .
- ٣١ - النفري - كتاب المخاطبات - ترجمة أريبي بالانكليزية - ص ١٥٦ - الفقرة (٢٢) .
- ٣٢ - النفري - كتاب المخاطبات - ص ١٥٥ .
- ٣٣ - النفري - كتاب المخاطبات - ترجمة أريبي بالانكليزية - ص ١٣٩ - المخاطبة (٧) - الفقرة (١٦) .
- ٣٤ - ابن عربي - رسائل ابن العربي - كتاب الاسفار - ص ٢١ (تصوير دار احياء التراث العربي - بيروت - دون تاريخ) .
- ٣٥ - سورة الحج / ٤٦ .
- ٣٦ - سورة النجم / ١١ .
- ٣٧ - ابن عربي - رسائل ابن العربي - كتاب نقش النصوص - ص ٧ .
- ٣٨ - السلمي - طبقات الصوفية - ص ١٤٩ .
- ٣٩ - ابن عربي - رسائل ابن العربي - كتاب التجليات - ص ٢٤ .
- ٤٠ - السلمي - طبقات الصوفية - ص ١٩٧ .
- ٤١ - محيي الدين بن عربي - تفسير القرآن الكريم - ج ١ - ص ٥٩٩ .
- ٤٢ - ابن قيم الجوزية - روضة المحبين ونزهة المشتاقين - دار الكتب العلمية - بيروت / ١٩٧٧ - ص ٤٥٩ .
- ٤٣ - النفري - كتاب المواظف - ص ٤٧ .
- ٤٤ - النفري - كتاب المواظف - ترجمة أريبي بالانكليزية - ص ٦١ - الفقرة (٥) .
- ٤٥ - محيي الدين بن عربي - كتاب انشاء الدوائر - ص ١٧٠ - ١٧١ .
- ٤٦ - السلمي - طبقات الصوفية - ص ١٤٩ .
- ٤٧ - النفري - كتاب المخاطبات - ص ١٨٦ .
- ٤٨ - النفري - كتاب المخاطبات - ترجمة أريبي بالانكليزية - ص ١٦٠ (المخاطبة (٣١) - الفقرة (١) .
- ٤٩ - سورة الانعام / ٣٢ .
- ٥٠ - السراج - اللمع - ص ١٣٤ .
- ٥١ - السيوطي - الجامع الصغير - ج ١ - ص ١٧ (القاهرة - الطبعة الرابعة) .
- ٥٢ - المصدر السابق - ج ١ - ص ١٧ .
- ٥٣ - الجامع الصحيح - سنن الترمذي - تحقيق كمال يوسف الحوت - دار الكتب العلمية بيروت ج ٤ ص ٤٨٥ .
- ٥٤ - تعليقات أريبي بالانكليزية على كتاب المخاطبات - ص ٢٥١ - المخاطبة (٣١) - الفقرة (١) .
- ٥٥ - النفري - كتاب المواظف - ص ٨١ .
- ٥٦ - النفري - كتاب المواظف - ترجمة أريبي بالانكليزية - ص ٨٦ (الموقف (٤٩) - الفقرتان (١٣ ، ١٤) .
- ٥٧ - انظر كتاب (اخبار الخلاص) تحقيق ماسينيون وكراوس - باريس - ١٩٣٦ - ص ٧٥ .
- ٥٨ - السراج - اللمع - ص ٦٨ .
- ٥٩ - المصدر السابق - ص ٨٠ .

ملاحظات حول مقدمة محقق كتاب الشمالي

لطائف الظرفاء من طبقات الفضلاء
الدكتور عدنان كريم الرجب

أ. د. محمود عبد الله الجادر
كلية الاداب - جامعة بغداد



مركز تحقيقات كاتيون علوم سدي

صدر عن الدار العربية للموسوعات ببيروت كتاب (لطائف الظرفاء - من طبقات الفضلاء - للشمالي) سنة ١٩٩٩ م بتحقيق الدكتور عدنان كريم الرجب ، وقد شغل الكتاب (١٩٨) صفحة من القطع المتوسط أفرد المحقق (٧١) صفحة من اول الكتاب اودعها مقدمة ودراسة ثم اودع النص المحقق في الصفحات المتبقية من الكتاب من الصفحة ٧٢ الى الصفحة ١٦١ وشغل الصفحات الاخيرة بثلاثة فهارس وقائمة المصادر وفهرست المحتويات .

ولست اشك في ان الباحث قد بذل جهداً في سبيل الفوز بمخطوطات الكتاب وموازنتها واختيار النسخة الام منها ثم بذل الجهد في سبيل تحقيق النص والخروج بصورة من الكتاب تطابق الصورة التي كتبها المؤلف او تقاريرها في أقل تقدير ، كما انني لا اشك في انه توخى افضل ما امكنه تقديمه في مقدمته التي ضمنها مقدمة عامة وثلاثة فصول ، بيد ان ذلك كله لا يعني ان عمله جاء بمستوى طموحه ، فمن خلال قراءتي مقدمته ودراسته والنص المحقق تجمعت لدي ملاحظات قد يخرج عرضها عن حدود البحث الواحد ، ولهذا رأيت ان افرد هذا البحث لعرض ما تجمع لدي من ملاحظات حول مقدمته ودراسته واترك لبحث اخر عرض ما تجمع لدي من ملاحظات حول تحقيق متن الكتاب .

(تسمية الكتاب وأهميته النقدية) على مباحث تناول فيها دلالة عنوان الكتاب ثم تناول كل كلمة من كلمات العنوان بمبحث عدا كلمتي (من) و (الفضلاء) ثم جعل عنوان الفصل الثالث (أهمية الكتاب العلمية) وقسمه مباحث درس فيها ثقافة المؤلف في الكتاب والجوانب التاريخية والظواهر الاجتماعية وأهمية الكتاب الأدبية وأهميته النقدية ومقدمة الكتاب .

ولسنا نريد ان نناقش مسألة قيمة الدراسة التي يصدر بها محقق كتاباً يحققه او نرسم لها حدوداً ولكن الذي يلفت النظر في دراسة محقق لطائف الظرفاء انه قسمها فصولاً وهذا امر غير معهود في دراسات المحققين وان تقسيم الفصول على مباحثها لم يكن دقيقاً فالفصل الاول الذي عنوانه (ابو منصور محمد بن اسماعيل الثعالبي سيرته واثاره) مما كان ينبغي له الا يضم المباحث الاخيرة التي تناولت وصف نسخ الكتاب والرموز المستعملة ومنهج التحقيق فذلك البق بالفصل الثالث الذي كان ينبغي له ايضاً ان يدمج مع الفصل الثاني لان كليهما يتناولان الكتاب عنواناً ومادة .

فاذا تجاوزنا ذلك الى مادة الفصول نفسها فسرى ان المحقق افرد المبحث الاول من الفصل الاول لدراسة سيرة الثعالبي ، وسيرة الثعالبي مما كان محققو كتبه يحاولون الافاضة فيها كما فعل ابراهيم الابياري وحسن كامل الصيرفي في مقدمتهما لكتاب لطائف المعارف للثعالبي بتحقيقهما وعبد الفتاح محمد الحلوفي مقدمته لكتاب التمثيل والمحاضرة للثعالبي بتحقيقه فضلاً عن تراجمه التي وردت في بعض المراجع الحديثة^(٢) وكانت اول دراسة أكاديمية تتناول سيرة الثعالبي وتتابع اتق تفاصيلها هي دراستي التي حصلت بها على درجة الماجستير ونشرتها بعنوان الثعالبي ناقدًا وأديبًا ببغداد سنة ١٩٧٦ م وهي الدراسة التي لم يجد كبار المحققين امثال الاستاذ الجليل هلال ناجي والدكتورة ابتسام مرهون الصفار والدكتور قحطان التميمي وغيرهم لم يجدوا غضاضة في الرجوع اليها والاقتباس منها ومناقشة بعض تفاصيلها احياناً ولكن يبدو ان المحقق الفاضل رأى ان يعرض عنها فان وجد من ناقش بعض تفاصيلها من وجهة نظر علمية

خاصة به تلقف المناقشة مشيراً الى من ناقش غير مشير الى من نوقش وكان ذكر كتاب الثعالبي ناقدًا وأديبًا يقلل من قيمة عمله ، والغريب انه تناول بعض تلك المناقشات بطريقة غريبة لا تدل على تدقيق ، فقد كتب في السطر الثاني متحدثاً عن لقب (الثعالبي) قوله (لقب بذلك لان وانه كان فراء بجلد الثعالب) وتوج العبارة بهامش (٢) وفي الهامش (٢) في الحاشية قال : (فند محققاً كتاب التوفيق للتلفيق للثعالبي الاستاذ هلال ناجي والدكتور زهير زاهدان لقب الثعالبي يعود لمهنة ابيه ونحن نميل مع هذا الرأي العلمي ينظر التوفيق للتلفيق ص ٣) وهذا

اما مقدمة المحقق فإن أهم ما يلفت النظر فيها ان المحقق صاغ حديثه بطريقة توحى بان هذا الكتاب يحقق اول مرة اذ قال في اولها (ويعد ان عثرت على مخطوطة كتابه لطائف الظرفاء من طبقات الفضلاء سرني كثيراً موضوعها ، ويكون لي شرف المشاركة في احياء التراث العربي وازافة كتاب الى المكتبة العربية سيكون له اثر في الكشف عن جهوده الادبية ومؤلفاته التي زادت على مائة ونيف [كذا]^(١) ثم تمضي المقدمة من دون ان تتضمن اية اشارة الى جهد سبق الى تحقيق الكتاب مع ان الدكتور قاسم السامرائي كان قد نشر جزءاً من الكتاب بعنوان (لطائف كلام النبي والصحابه والتابعين وملوك الجاهلية والاسلام) في لايدن سنة ١٩٧٨ بتصوير المخطوطة وتذييلها بهوامش المحقق ، ثم نشره كاملاً بعنوان (لطائف الظرفاء) الدكتور عمر الاسعد في بيروت سنة ١٩٨٠ وهذه حقائق كان يمكن ان نجد العذر للمحقق فترجح انه لم يطلع على الطبعتين ولم يسمع بهما - وليس ذلك بعذر - بيد ان المحقق نفسه وضع بين ايدينا ما يؤكد انه مطلع على هذه الحقائق تمام الاطلاع فهو قد رجع الى كتاب التوفيق للتلفيق للثعالبي بتحقيق الاستاذ هلال ناجي والدكتور زهير زاهد وادرجه في قائمة مصادره بل انه نقل اكثر معلوماته عن مؤلفات الثعالبي التي ادرجها في الفصل الاول من دراسته من مقدمة محققي التوفيق للتلفيق كما سئرى وقد ورد في قائمة مؤلفات الثعالبي التي ادرجها المحققان الفاضلان في مقدمتهما ما نصه (لطائف الظرفاء - لطائف الصحابة والتابعين ليدن ٤٥٢ - كتاب في الادب بلا عنوان باريس ٤٢٠١ اللطف واللطائف - دمشق ١١٠٠٥ نشره الدكتور عمر الاسعد في بيروت سنة ١٩٨٠ معتمداً مخطوطة واحدة في بونستون [كذا] وكان قد نشره بلايدن الدكتور قاسم السامرائي بطريقة تصوير مخطوطة لبين سنة ١٩٧٨ م)^(٢) فلا يعقل ان المحقق لم يطلع على هذا الكلام ، اما اعراضه عن ذكره فلا وجه له الا ما سنذكره عند كلامنا على النص المحقق والا فان اعادة تحقيق الكتاب بعد صدوره مرة ومرة مما لا يفرض من قيمة العمل ان كان ثمة اضافة او فوائد او ان كانت نسخ التحقيق السابق مما عز وندر .

ولست اريد بعد ذلك أن اتابع ما ادرجه المحقق في الفقرة الثانية من مقدمته العامة وهو ذكره النسخ التي اعتمد عليها في التحقيق فذلك ما سأتابعه في دراسة مبحث (النسخ المخطوطة) الذي كتبه المحقق في الفصل الاول من فصول دراسته .

وقد وزع المحقق مادة الفصل الاول على مباحث افرد بعضها لسيرة الثعالبي ونشأته وشيوخه ومكانته في نظر الادباء ومؤلفاته المطبوعة والمخطوطة والمفقودة ثم افرد المباحث الاخيرة لوصف النسخ المخطوطة من الكتاب الذي يحققه والرموز التي وضعها لكل منها ومنهجه في التحقيق ثم وزع الفصل الثاني الذي سماه

كلام عجيب ، فإن كان الفاضلان اللذان ذكرهما قد فندا الحقيقة فمن قالها ؟ هذا أولاً ، وإن كان المحقق الفاضل معهما في تفنيدها فما معنى اثباتها في المتن ؟

واقع الامر انني كنت قد قلت في دراستي للثعالبي (فقد كان ابوه يشتغل بخياطة جلود الثعالب وعمل الفراء منها)^(٤) ثم قلت بعد ذلك مباشرة (اما ما ذهب اليه ابن خلكان من انه كان هو فراء فليس الا وهماً) وذكرت في هامش قلبي الاول ما ورد في كتاب نثر النظم من قول الثعالبي نفسه وهو ينثر نصاً شعرياً (فإن كنت من الاكابر فلي في عدنان الهروي اسوة وإن كنت من الاصاغر فلي بابن الثعالبي النيسابوري قدوة)^(٥) وذكرت في هامش قلبي الثاني (وفيات الاعيان ٢ / ٣٥٢) ولست ادري كيف ورد في مقدمة محقق (التوفيق للتلفيق) للثعالبي ما نصه (وقد وهم من ظن ان الثعالبي كان يحترف هذه المهنة والصواب انها مهنة ابيه)^(٦) وكيف ورد في هامش هذا الكلام (نثر النظم ص ١٦) فقد ذكرت ان ما ورد في نثر النظم تأكيد حقيقة كون ابيه هو الذي كان يحترف هذه المهنة وان الوهم كان في وفيات الاعيان فلعل اختصار الامر هو الذي يكمن وراء التناقض بين المتن والهامش ، اما ان يثبت محقق لطائف الظرفاء الحقيقة في المتن ثم يقول في الهامش فند محققاً التوفيق للتلفيق ان اللقب يعود لمهنة ابيه فعجب من العجب .

وفي مبحث (نشأته وشيوخه) قال المحقق في حديثه عن الثعالبي (نرى له شعراً ليس بقليل)^(٧) وتوج العبارة بهامش قال فيه (جمعه ونشره عبد الفتاح الحلو ينظر مجلة المورد - شعر الثعالبي - العدد الاول المجلد السادس لسنة ١٩٧٧ م) وانا اشك في ان المحقق اطلع على هذا الشعر المجموع للثعالبي فهو يخرج كل ما رواه من شعر للثعالبي من مصادره الاصلية والمعروف ان النص الشعري للشاعر الذي له ديوان لا ينقل الا من ديوانه فإذا تساهلنا وقلنا ان المحقق وثق بمصادره (لا سيما ان اكثرها كتب الثعالبي نفسه) اكثر من ثقته بالديوان فإن من حقنا ان نسأل عن سبب عدم اثباته عنوان (شعر الثعالبي) بين مصادره ثم نسأل لم لم يثبت المستدرك الذي نشرته على نشرة الحلو بعنوان (المستدرك على شعر الثعالبي) في مجلة المورد المجلد

٨ الجزء ٣) وهو العنوان الذي اثبته محققاً التوفيق للتلفيق مع عنوان شعر الثعالبي صنعة عبد الفتاح الحلو ، وان كان محققاً التوفيق للتلفيق قد ذكرنا نشرة الحلو ومستدركي عليها فقط فهما صادقان دقيقان ولكن الذي حدث بعد صدور كتاب التوفيق للتلفيق انني نشرت ديوان الثعالبي نشرة مستقلة صدرت عن عالم الكتب ببيروت سنة ١٩٨٨ ثم نشرته منقحاً ومزيداً في دار الشؤون الثقافية ببغداد سنة ١٩٩٠ امما كان الاجدر بكتاب لطائف الظرفاء الذي صدر سنة ١٩٩٩ ان يرجع الى احدي النشرتين

اللتين تضمنت مقدمتهما دراسة اثبتت فساد نشرة الحلو لاعتمادها منهجاً في الجمع لوجه علمياً له ؟ ومما يؤكد ان المحقق الفاضل كان ينقل الاشعار احياناً من مراجع محققة للثعالبي روايته بيتين للثعالبي هما قوله :

اكرم بكرم اذا اسلفت مغرسه
الماء القراح قضاك الراح في العنب
وظل يثمر في ظل العريش لنا
ام السرور وظرف اللهو واللعب

ولم يخرج البيتين^(٨) والبيتان مما لم يردا في نشرة الحلو ولا المستدرك ولكن مقدمة التوفيق للتلفيق تضمنتها وخرجتهما من مخطوطة روح الروح الورقة ١١٥^(٩) وهي مخطوطة في خزانة الاستاذ هلال ناجي فهي ملك شخصي يبدو ان المحقق لم يصل اليه ولم يجد وجهاً لذكره في تخريج النص .

يبقى الامر الذي سنقف عنده طويلاً وهو مبحث المحقق الذي سماه (المصنفات المطبوعة والمخطوطة) وسنبداً باستعراض اسماء الكتب التي وردت في المبحثين بعد ان نشير الى بعض الحقائق التاريخية بشأن كتب الثعالبي .

لقد عني عدد من القدماء بتقديم قوائم بكتب الثعالبي وكانت اول قائمة مطولة هي قائمة الكلاعي في كتابه احكام صنعة الكلام ثم قائمة الصفدي في الوافي بالوفيات ثم قائمة ابن قاضي شعبة في طبقات النحاة واللغويين ثم اهتم عدد من المحدثين بتجميع قوائم القدماء وتقديم قوائم جديدة منها قائمة دائرة المعارف الاسلامية التي كتب بروكلمان مادة (ثعالبي) فيها ، وقائمة حاجي خليفة في كشف الظنون وقائمة البغدادي في هدية العارفين وقائمة جرجي زيدان في تاريخ ادب اللغة العربية وقائمة الزركلي في الاعلام ، ثم درج بعض محققي كتب الثعالبي على تقديم قوائم بكتبه ومنها قائمة احمد عبيد في مقدمة سحر البلاغة وقائمة ابراهيم الابياري وحسن كامل الصيرفي في مقدمة لطائف المعارف وقائمة عبد الفتاح الحلو في مقدمة التمثيل والمحاضرة^(١٠) ومن مجموع هذه القوائم ومن خلال دراسة متأنية خرجت بقائمة اودعتها كتابي الثعالبي ناقدًا واديباً ذكرت فيها خمسة وتسعين عنواناً فضلاً عن احد عشر عنواناً لكتب نسبت اليه وعرضت تحت اسم كل كتاب من المجموعتين الاولى والثانية حقائق تتعلق بكونه مطبوعاً او مخطوطاً او مفقوداً او متحولاً له ثم عرضت ملخصاً لفكرة الكتاب او مادته واسم من اهدي اليه فضلاً عن تصحيح او هام كثيرة وقع فيها قدماء او محدثون بشأن عدد من كتبه^(١١) .

وبعد صدور قائمتي بست سنوات اصدر الاستاذ هلال ناجي تحقيقه لكتاب الانيس في غرر التجنيس للثعالبي سنة ١٩٨٢

وضمن مقدمته قائمة تضمنت أسماء مائة وتسعة كتب أوجز الحديث فيها عن كل كتاب من هذه الكتب وهي قائمة علمية دقيقة اشارت الى مصادرها بأمانة عالية^(١٢) ثم اصدر الاستاذ هلال ناجي والدكتور زهير زاهد كتاب التوفيق للتلفيق للثعالبي واعادا ادراج قائمة كتب الثعالبي في مقدمتهما فذكرا مائة واربع كتب بعد ان تحققا من تداخل اسماء بعض الكتب وازادوا اسماء جديدة لا سيما ما انفرد بامتلاكه المحقق الفاضل هلال ناجي^(١٣) ثم اصدرت قائمتي الجديدة لكتب الثعالبي ونشرتها في كتابي دراسات توثيقية وتحقيقية في مصادر التراث كنت قد نشرت بصيغتها غير المنقحة في مجلة معهد البحوث والدراسات في بغداد سنة ١٩٨٣ م وضمنت القائمة المنقحة مائة وستين عنواناً ذكرت ان ستة عناوانات منها ليست للثعالبي وانما لعلماء آخرين حققت اسماءهم وان ستة عناوانات اخرى ليست للثعالبي لم اهتم الى اسماء مؤلفيها وان ثلاثة وعشرين عنواناً هي عناوانات مكررة بصيغة اخرى لكتب هي للثعالبي ولكن بعنوان اخر وهكذا اخرجت من القائمة اربعين عنواناً مكرراً فكان مجموع ما اخرجته اثنتين وخمسين عنواناً وبقي مما صح لدي انه للثعالبي مائة وثمانية كتب منها ثمانية وعشرون كتاباً مطبوعاً (حتى تاريخ صدور القائمة) واثنان وثلاثون كتاباً مخطوطاً وثمانية واربعون كتاباً مفقوداً^(١٤) .

وبعد كل هذا التراث من قوائم كتب الثعالبي كان المتوقع من محقق كتاب للثعالبي يصدره سنة ١٩٩٩ امرأ من امرين . اما ان يعرض عن تقديم قائمة جديدة ويكتفي بالاشارة الى القوائم القديمة واما ان يقدم قائمة يذكر فيها جديداً او يصحح وهماً او يزيل لبساً . بيد ان الذي حدث هو انه خبط خبط عشواء فيما نقله من القوائم لا سيما قائمة محققي كتاب التوفيق والتلفيق فوقع في اخطاء واوهام لا حصر لها وسأتابع اسماء الكتب بالتسلسل الذي اتبعه مشيراً الى المآخذ على بعض ما دونه تحت اسماء عدد من الكتب ثم اعرض النقص الذي اعتور قائمته والخص ملاحظاتي فيما بعد وسأبدأ باسماء الكتب التي لدي ملاحظات عنها من المصنفات المطبوعة والمخطوطة :

١ - يتيمة الدهر في محاسن اهل العصر : قال المحقق (طبع في دمشق ومن ثم في مصر كما طبع في جزئين بمطبعة فردين في طهران بتحقيق عباس اقبال) والمعروف ان اليتيمة طبع في دمشق سنة ١٣٠٤ هـ وطبع بتحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد في مصر عدة طبعات اما المطبوع بجزأين بمطبعة فردين في طهران بتحقيق عباس اقبال فهو (تنمة اليتيمة) وهو من الكتب التي لم يذكرها المحقق في قائمته . وتلك حقيقة متداولة معروفة لا ينبغي لها ان تخفى على من يتصدى لتحقيق كتاب للثعالبي .

٢ - فقه اللغة وسر العربية : قال المحقق (واول طبعة له كانت في بيروت ١٨٨٥ م واجود طبعاته بتحقيق مصطفى السقا وابراهيم الابياري مصر ١٩٣٨ م) ويبدو انه تصرف قليلاً ثم نقل ما ورد في مقدمة التوفيق للتلفيق نصاً وهو قول المحققين (فقه اللغة وسر العربية : اجود طبعاته بتحقيق مصطفى السقا وابراهيم الابياري بمصر سنة ١٩٣٨ م)^(١٥) فاذا عرضنا عن هذا النقل الحرفي فان الحقيقة هي ان كتاب فقه اللغة طبع عدة طبعات هي طبعة الكونت رشيد الدحاح بباريس سنة ١٨٦١ ، وطبعة حجرية بمصر سنة ١٢٨٤ هـ وطبعة مصرية اخرى غير محققة سنة ١٨٨٠ م وطبعة مصرية ثالثة سنة ١٣٢٨ هـ وباعتناء لويس شيخو ببيروت سنة ١٨٨٥ م وبتحقيق محمد بدر الدين النعساني بمصر سنة ١٩٠٧ م وطبعة مصرية غير محققة سنة ١٩٣٦ م وبتحقيق مصطفى السقا وابراهيم الابياري بمصر سنة ١٩٣٨ م^(١٦) فضلاً عن ان عدداً من هذه الطبعات اعيد طبعها غير مرة .

٣ - الاعجاز والايجاز قال المحقق (غني بنشره اسكندر اصاف في مصر ١٨٩٧ م واعيد طبعه في بيروت ودار البيان طبع نشرة اصاف [كذا] ويبدو ان تداخلاً حدث بين كلام المحقق وما نقله من التوفيق للتلفيق فقد ورد في التوفيق للتلفيق (طبع بعنوان الايجاز والاعجاز ضمن كتاب (خمس رسائل) المطبوع بالاستانة سنة ١٣٠١ هـ وطبعه اسكندر اصاف في مصر سنة ١٨٩٧ . واعادت دار صعب في بيروت ودار البيان طبع نشرة اصاف بالافسيت في بيروت دون ذكر السنة^(١٧) فقد نقل المحقق الشطر الاخير فقط ومزجه بكلامه فجاءت العبارة المضطربة التي ذكرناها له .

٤ - خاص الخاص قال المحقق (طبع في مصر سنة ١٣٢٦ هـ مطبعة السعادة وطبعته دار مكتبة الحياة ببيروت ١٩٦٦ م) . ويبدو انه اسقط مما نقله من التوفيق للتلفيق الطبعة التونسية الصادرة سنة ١٢٩٣ هـ^(١٨) .

٥ - نثر النظم وحل العقد قال المحقق (طبع في مصر وطبع في بيروت دار الرائد العربي ١٤٣ هـ [كذا] / ١٩٨٣ م) واعترا انني لم اطلع على طبعة دار الرائد العربي ولكن المحقق لم يذكر تاريخ طبعة مصر ، وكان محققا التوفيق للتلفيق قد ذكرنا انه طبع بدمشق وعلى هامشه الفرائد والقلائد سنة ١٣٠١ هـ وطبع بمصر سنة ١٣١٧ هـ^(١٩) وكنت قد ذكرت ان طبعة دمشق التي بهامشها الفرائد والقلائد صدرت سنة ١٣٠٠ هـ واعيدت سنة ١٣٠١ هـ^(٢٠) .

٦ - مكارم الاخلاق قال المحقق (طبع في بيروت ومنه نسخا مخطوطة في ليدن) وكان محققا التوفيق للتلفيق قد ادراج اسم

هذا الكتاب ضمن مؤلفات الثعالبي المخطوطة وذكرنا نسخة ليدن وذكرنا ان الدكتور قاسم السامرائي وعد بنشرها محققة^(٢٢) وكنت قلت في حديثي عن الكتاب (لم يرد هذا الاسم في اية من قوائم القدامى بيد ان الدكتور قاسم السامرائي اشار الى وجود مخطوطة بهذا العنوان في لايدن رقمها ٣٠٠ غير منسوبة استطاع ان يستقري مضمونها ليخرج باكثر من دليل على انها للثعالبي وأشار الى انه بصدد تحقيقها ونشرها . وقد نشر الاب لويس شيخو كتاباً عنوانه (مكارم الاخلاق) ونسبه الى الثعالبي في مجلة المشرق البيروتية سنة ١٩٠٠ م معتمداً على نسخة مخطوطة في المكتبة الشرقية ببيروت فدرج المحدثون على الاشارة الى هذا الكتاب ، ونسبته الى الثعالبي وقد قمت بدراسة دقيقة فخرجت بنتيجة حاسمة وهي انه لا يخرج عن ان يكون منتخبات من كتاب الفرائد والقلائد^(٢٣) وسندى عند حديثنا عن كتاب الفرائد والقلائد انه ليس للثعالبي اصلاً وعلى هذا فان (مكارم الاخلاق) الذي طبعه لويس شيخو ليس للثعالبي وذلك ما كان ينبغي للمحقق ان ينتبه عليه فلا يدرج اسم الكتاب في قائمته او يكتفي بالاشارة الى مخطوطة لا يدين كما فعل محققا التوفيق للتلفيق .

٧ - ثمار القلوب في المضاف والمنسوب قال المحقق (وهو من الكتب المطبوعة نشره محمد ابو الفضل ابراهيم في القاهرة ١٩٦٥ م) وكان محققا التوفيق للتلفيق قال (نشره محمد ابو الفضل ابراهيم في القاهرة سنة ١٩٦٥ م وكان قد نشره اولاً ابو شادي بمطبعة الظاهر سنة ١٣٢٦ هـ)^(٢٤) وكنت قلت في حديثي عن الكتاب (طبعت مقدمة الكتاب مع الفصل الرابع منه فقط في مجلة المشرق ببيروت العدد ١٢ سنة ١٩٠٠ م ثم طبع كاملاً بتحقيق محمد ابو شادي بمطبعة الظاهر سنة ١٣٢٦ هـ وطبع طبعة اخرى بتحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم بمصر سنة ١٩٦٥ م)^(٢٥) .

٨ - شمس الادب في استعمال العرب : قال المحقق (جزءان الاول في اسرار اللغة والثاني في مجاري الفاظها [كذا] ورسومها وما يتعلق بالنحو والاعراب منها - ويسمى ايضاً سر الادب -) لم يذكر مخطوطة ولا طبعة للكتاب فكان الاخرى ان يضمه - والحال هذه - ضمن الكتب المفقودة والحقيقة ان محقق التوفيق للتلفيق لم يذكر هذا الاسم في قائمتهما وكنت ذكرت الاسم في قائمتي وكتبت ما نصه (شمس الادب -) مخطوط في المكتبة الخديوية مخطوطة رقمها ٤١٩٢ بهذا العنوان هي القسم الثاني من كتاب « فقه اللغة » وقد ذكر بروكلمان عدة مخطوطات بهذا العنوان منسوبة الى الثعالبي في مكتبات العالم^(٢٦) .

٩ - الكفاية والتعريض قال المحقق (طبع بمصر بمطبعة السعادة ١٣٢٦ هـ) ثم عاد فذكر في قائمته كتاباً اخر عنوانه (النهاية في الكفاية) وكأنه كتاب اخر قال عنه (وقد طبعت منتخبات منه

في الاستانة اعادت دار صعب ودار البيان نشرها) والحقيقة ان الاسمين هما لكتاب واحد ولهذا فإن محققي التوفيق للتلفيق جمعاهما فقالا (الكفاية والتعريض - النهاية في الكفاية ، طبع بمطبعة السعادة سنة ١٣٢٦ هـ مع كتاب المنتخب من كتابات الابداء واشارات البلغاء للجرجاني وهي طبعة اعادت دار صعب ودار البيان نشرها بالاوفسيت ضمن كتاب (رسائل الثعالبي)^(٢٧) وكنت قلت عن الكتاب (وقد طبع بعنوان « الكفاية والتعريض » بمصر سنة ١٣٢٦ هـ واعيد نشر هذه الطبعة بالاوفسيت ضمن مجموع « رسائل الثعالبي » ببغداد سنة ١٩٧١ م وطبع بعنوان (النهاية في الكفاية) بمكة سنة ١٣٠١ هـ وطبعت منتخبات منه بالعنوان نفسه بالقسطنطينية سنة ١٣٠٢ هـ ضمن مجموعة (اربع رسائل)^(٢٨) ويبدو ان الامر اختلط على محقق لطائف الظرفاء حين ذكر ان طبعة الاوفسيت هي عن طبعة منتخبات (اربع رسائل) مع انها طبعة مصر ١٣٢٦ هـ .

١٠ - اجناس التجنيس قال المحقق (نشره د. ابراهيم السامرائي بعنوان المتشابه في مجلة كلية الاداب العدد العاشر نيسان ١٩٦٧) ثم عاد وذكر في موضع اخر اسم (المتشابه) تحت رقم اخر في قائمته وقال عنه (تحقيق د. ابراهيم السامرائي مجلة الاداب العدد العاشر ١٩٦٧ م) وهذا عجب من العجب فان كان الكتاب منشوراً باسم (المتشابه) فما معنى ذكره مرتين واعادة اسم المحقق واسم المجلة والسنة نفسها ؟ الم يكن الصواب ان يضع تحت اسم (المتشابه) معلوماته عن المحقق واسم المجلة والسنة ثم يشير الى ان له اسماً اخر هو (اجناس التجنيس) ثم يشير الى من سماه هذا الاسم ومن سماه ذاك الاسم ؟ لقد احسن محققا التوفيق للتلفيق حين كتب ما نصه (اجناس التجنيس - المتشابه لفظاً وخطاً نشره ببغداد الدكتور ابراهيم السامرائي بعنوان المتشابه في العدد العاشر من مجلة كلية الاداب سنة ١٩٦٧ م)^(٢٩) وكنت قد ذكرت في حديثي عن الكتاب ان عدداً من مخطوطاته جاءت تحت عنوان (اجناس التجنيس) وان عدداً اخر منها جاء تحت عنوان (المتشابه) وان الاسمين ورثا في قوائم عدد من القدماء والمحدثين على انهما لكتابين مختلفين وان الدكتور ابراهيم السامرائي نشر الكتاب في مجلة كلية الاداب سنة ١٩٦٧ م^(٣٠) على انني اعدت نشر الكتاب بعنوان (اجناس التجنيس) موضحاً في مقدمته اسباب اعتماد التسمية ومكملاً نشرة الدكتور السامرائي التي اتضح انها استقيت من مخطوطة ناقصة نقصاً شديداً عن الاصل وطبع الكتاب في بيروت - عالم الكتب - سنة ١٩٩٧ م ثم طبع طبعة اخرى في بغداد - دار الشؤون الثقافية - سنة ١٩٩٨ م وكان حرياً بمحقق لطائف الظرفاء ان يلم بهاتين الطبعتين قبل اصدار الكتاب سنة ١٩٩٩ م .

بتحقيق د. النبوي شعلان ١٩٨٤ م في مصر ثم طبع في بيروت بتحقيق الدكتور يونس السامرائي ١٩٨٧ م اي قبل صدور كتاب لطائف الظرفاء باكثر من عشر سنوات ولكن المحقق لم يعن بمطابقة هذه الحقائق واكتفى بنقل نصف ما ثبته محققا التوفيق للتلفيق .

١٥ - تحفة الوزراء وفاكهة اللطفاء، قال المحقق (نسخة في مكتبة غوطا وعارف حكمت ١٥٤) وقد ذكر محققا التوفيق للتلفيق مخطوطة مكتبة عارف حكمت ١٥٤ وذكرتها انا ايضاً^(٢٧) ولكننا ذكرناها لكتاب اسمه (تحفة الظرفاء وفاكهة اللطفاء) وليس تحفة الوزراء اما تحفة الوزراء فقد نشرت الدكتور ابتسام الصغار وحبيب الراوي ببغداد سنة ١٩٧٧ م وهي نشرة ذكر الاستاذ هلال ناجي ان اضافات كثيرة متأخرة لحقت بالمخطوط منها وذكرت انا ان المحققين اعتمدوا على اربع نسخ خطية وفاتهم الاطلاع على نسخة بمكتبة الجامعة المركزية رقمها (أ. ج. ١٤٢) مصورة عن نسخة المكتبة الوطنية بباريس المرقمة (٤٨٢)^(٢٨) بقي ان اشير الى ان محقق لطائف الظرفاء لم يذكر في قائمته كتاب (تحفة الوزراء) فكان وهمه في ذكر اسم (تحفة الظرفاء) باسم (تحفة الوزراء) اغناه عن ذكر (تحفة الوزراء) الحقيقي .

١٦ - كنز الكتاب، قال المحقق (نسخة في المكتبة بمصر وفيينا والاستانة) والحقيقة ان احداً من القدماء لم يذكر عنوان هذا الكتاب ولم يشر احد الى مخطوطة منه من المحدثين عدا الدكتور عبد الفتاح محمد الحلو الذي ذكر في قائمته في مقدمة تحقيقه كتاب التمثيل والمحاضرة ما نصه (كنز الكتاب ، مخطوط بدار الكتب)^(٢٩) لم يذكر رقم المخطوط ولهذا فأنني لم اذكره ضمن كتب الثعالب في كتابي (الثعالب ناقداً واديباً) ولا في كتابي دراسات توثيقية وتحقيقية وقد ذكره الاستاذ هلال ناجي في مقدمة تحقيقه لكتاب الانيس في غرر التجديس ضمن مأخذه على قائمة محمد عبد الفتاح الحلو فقال (كتاب كنز الكتاب هو نفسه كتاب المذلل المطبوع فليس صواباً افراد عناوين له^(٣٠) ثم ذكره ضمن مأخذه على مقدمة كتاب تحفة الوزراء مشيراً الى الوهم نفسه^(٣١) .

ولكن محقق لطائف الظرفاء تجاوز هذا كله واصر على ذكر اسم الكتاب وسرد مواضع مخطوطاته من دون ذكر ارقام وهي مخطوطات لم يذكرها احد فعمل الامر قائم على وهم خفي .

١٧ - احسن ما سمع، قال المحقق (نسخة منه بالاستانة وكوبرلي طبعه محمد صادق عنبر في مصر ١٣٢٤ هـ) والحقيقة ان عنوان (احسن ما سمع) لم يرد الا في قائمة جرجي زيدان الذي ورد في قائمته اسم كتاب (احسن ما سمعت) على انه كتاب اخر ، والحقيقة ان اسم الكتاب هو (احسن ما سمعت)

١١ - سحر البلاغة قال المحقق (طبعته منه منتخبات في اربع رسائل وطبع بتحقيق احمد عبيد طبعه غير مؤرخة) وهي عبارة غلب عليها سوء النقل فحققا التوفيق للتلفيق لم يذكر الا طبعه احمد عبيد الدمشقية وكنت قلت في حديثي عن الكتاب (طبعته منتخبات من الكتاب بعنوان (سحر البلاغة) في القسطنطينية ضمن مجموعة (اربع رسائل) سنة ١٣٠٢ هـ وطبع الكتاب كاملاً بعنوان (سحر البلاغة وسر البراعة) بتحقيق احمد عبيد بدمشق طبعه غير مؤرخة^(٣٢) ويبدو ان محقق لطائف الظرفاء لم يدقق في النقل او ان الطباعة اساعت الى ما كتبه .

١٢ - غرر البلاغة وطرف البراعة قال المحقق (مخطوطة في مكتبة برلين) ولم يزد على ذلك شيئاً وكان محققا التوفيق للتلفيق ذكرنا الاسم وذكرنا قبله مباشرة كتاباً بعنوان (غرر البلاغة ودرر الفصاحة) الذي اشار الى مخطوطة منه في مكتبة بشير اغا ايوب رقمها ١٥٠ اما هذا العنوان فقد اشار الى مخطوطاته في برلين ٨٣٤١ وكوبريللي ١٢٩٠ والمتحف البريطاني ٧٧٥٨ وبطرسبورغ ٦٩٩ وفيض الله ١٦٧٦ والفاتح ٥٤٢٢ - ٣^(٣٣) وكنت ذكرت الاسمين معاً فاشرت الى ان من الاول مخطوطة في مكتبة بشير اغا ايوب وان الدكتور قاسم السامرائي ذكر مخطوطة اخرى منه نقلاً عن بروكلمان اما العنوان الاخر فقد اشرت الى المخطوطات التي اشار اليها محققا التوفيق للتلفيق نفسها ثم ذكرت ان في مكتبة الاوقاف العامة ببغداد نسخة مخطوطة بهذا العنوان درسها الدكتور نزوق فرج نزوق واثبت انها كتاب الايجاز والاعجاز نفسه^(٣٤) فاین هذا كله معاً ذكره محقق لطائف الظرفاء ؟

١٣ - اللطف واللطائف قال المحقق (منه نسخة في دار الكتب المصرية وطبع سنة ١٢٧٥ هـ وطبع في بغداد ١٢٨٣ هـ) والذي اظنه ان الامر اختلط عليه فالكتاب الذي طبع بمصر سنة ١٢٧٥ هـ وفي بغداد سنة ١٢٨٣ هـ هو الطرائف واللطائف فضلاً عن طبعات اخرى كما ذكر محققا التوفيق للتلفيق وكما ذكرت في قائمتي^(٣٥) اما كتاب اللطف واللطائف فقد ذكره محققا التوفيق للتلفيق على انه كتاب مخطوط وذكرنا مخطوطاته وذكرته انا ايضاً على انه كتاب مخطوط في قائمتي في كتاب الثعالب ناقداً واديباً^(٣٦) ولكنني اشرت في قائمتي اللاحقة انني حققته ودفعته للنشر وكانت تلك اولى طبعاته فقد طبع في الكويت في دار العروبة سنة ١٩٨٤ م ثم اعيد طبعه في بيروت في عالم الكتب سنة ١٩٩٧ م وهما طبعتان سابقتان على صدور كتاب لطائف الظرفاء سنة ١٩٩٩ م ولكن المحقق لم يتنبه على هذا كله .

١٤ - من غاب عنه المطرب قال المحقق (وهو من الكتب المطبوعة ببيروت ١٣٠٩ هـ طبعه محمد بن سليم اللبابيدي) وكان محققا التوفيق للتلفيق ذكرنا هذه الطبعة ولكنهما ذكرنا مسها طبعة القسطنطينية سنة ١٣٠٢ هـ ضمن مجموعة التحفة البهية وكنت قد اشرت الى الطبعتين ايضاً^(٣٧) وقد طبع الكتاب

وهو الاسم الذي تداوله القدماء والمحدثون وبهذا العنوان طبعه محمد صائق عنبر في مصر سنة ١٣٢٤ هـ وليس باسم احسن ما سمع .

١٨ - المبهج قال المحقق (طبع بمطبعة النجاح بمصر ١٩٠٤ م) وهذا نص ما ورد في التلغيف للتلفيق وكنت ذكرت عند حديثي عن الكتاب ان منتخبات منه طبعت في القسطنطينية سنة ١٣٠٢ هـ ضمن (اربع رسائل)^(١٧) .

١٩ - احاسن كلام النبي والصحابه والتابعين وملوك الجاهلية وملوك الاسلام والوزراء والكتّاب والبلغاء والحكماء قال المحقق (طبع بعضه في ليدن) والحقيقة ان الذين نسبوا هذا الكتاب للثعالبي هم جرجي زيدان ومحققا لطائف المعارف ومحقق شاهنامه ثعالبي^(١٨) وكنت قد درست نسبة الكتاب وقلت (وقد اختصر الامام فخر الدين محمد بن عمر الرازي المتوفى سنة ٦٠٦ هـ كتاب الايجاز والاعجاز وسمى المختصر) احاسن كلام النبي والصحابه والتابعين وملوك الجاهلية وملوك الاسلام وقد طبع مختصر الرازي هذا في لندن سنة ١٨٤٤ م مع ترجمة لاتينية للمسيو فالتون^(١٩) .

٢٠ - كتاب الشكوى والعتاب قال المحقق (نسخة خطية في دار الكتب المصرية) ولم يزد على ذلك شيئاً والحقيقة ان اول من نسب كتاباً بهذا العنوان الى الثعالبي هو جرجي زيدان الذي اشار الى نسخة دار الكتب المصرية من دون ان يذكر رقمها ، وذكره الاستاذ هلال ناجي في مقدمة تحقيقه الانيس في غرر التجنيس وذكر مخطوطة القاهرة ثان ٣ / ١٣٦^(٢٠) وكنت تناولت الكتاب الذي اطلعت على مخطوطته التي صورتها من دار الكتب المصرية عن المخطوطة (١٦٧٣ ادب) فرجحت انه ليس للثعالبي بأدلة داخلية موثقة^(٢١) .

٢١ - ما جرى بين المتنبّي وسيف الدولة لم يزد المحقق على قوله (مطبوع) كلمة واحدة . ولم يذكر احد من القدماء والمحدثين هذا الاسم سوى انني ذكرته في قائمتي فقلت (ذكر انورد فنديك انه طبع في ليبسك سنة ١٨٤٧ م^(٢٢) وكان بوسع محقق لطائف الظرفاء ان يذكر ذلك مشيراً الى مصدره ولكن يبدو انه ظل يتجنب الإشارة الى (الثعالبي ناقدًا واديبًا) لعله عجزت عن ادراكها .

٢٢ - الفرائد والقلائد قال المحقق (طبع بمصر ١٣٢٨) والحقيقة ان عدداً من القدماء نسبوا كتاباً بهذا الاسم الى الثعالبي ذكرتهم في كتابي الثعالبي ناقدًا واديبًا ثم ذكرت اماكن وجود مخطوطات الكتاب ثم قلت (وقد طبع الكتاب بعنوان (الفرائد والقلائد) منسوباً الى الثعالبي على هامش نثر النظم في القاهرة سنة ١٣٠١ هـ وطبع منفرداً بعنوان (الامثال) منسوباً الى الثعالبي في القاهرة سنة ١٣٢٧ هـ وطبع بعنوان (احاسن المحاسن) منسوباً الى علي بن الحسين بن الحسن الرخجي في

مجموعة (خمس رسائل) بالقسطنطينية سنة ١٣٠١ هـ) ثم تابعت مادة الكتاب بالتدقيق والمقارنة وعرضت ثلاثة وعشرين قولاً وردت في الفرائد والقلائد في طبعاته المختلفة التي ذكرتها وجدها باعيانها مما رواه الثعالبي في سحر البلاغة بعد قوله (ما اخرج من كلام ابي الحسين محمد بن الحسين الاهوازي في كتابه الفرائد والقلائد) فكان ذلك دليلاً قاطعاً على ان كل الطبقات المذكورة هي ليست للثعالبي^(٢٣) وعلى هذا الذي خرجت به بنى الاستاذ هلال ناجي رفضه نسبة الكتاب للثعالبي في مقدمة الانيس في غرر التجنيس ومقدمة التوفيق للتلفيق ، وقال أن المطبوع للاهوازي وان القدماء ذكروا كتاباً بهذا الاسم للثعالبي ولكنه غير هذا المطبوع^(٢٤) .

٢٣ - المؤنس الوحيد هكذا سماه المحقق وكتب بازائه (طبع منه مختارات وكمبرج الثالث ١٢٨٧) وكنت تناولت الكتاب بالدراسة في قائمتي في الثعالبي ناقدًا واديبًا فذكرت ان ابن خلكان وطاش كبري زادة وحاجي خليفة ذكروا كتاباً بهذا الاسم للثعالبي وان كتاباً طبع بهذا العنوان (مؤنس الوحيد ونزهة المستفيد) في فيينا سنة ١٨٢٩ م بتحقيق غوستاف فليغل وان محرر مادة ثعالبي في دائرة المعارف الاسلامية اشار الى ان هذا المطبوع ما هو الاقطعة من محاضرات الراغب الاصبهاني ثم ذكرت انني قارنت بين مؤنس الوحيد فوجدت ان مادته هي المادة المودعة في محاضرات الراغب في (باب القضاء) تبدأ بالحد الثاني وتنتهي بالحد الخامس^(٢٥) وبهذا اكتمل الاستاذ هلال ناجي بذكر مخطوطة كمبرج الثالث ١٢٨٧ في مقدمة الانيس في غرر التجنيس وذكرها في مقدمة التوفيق للتلفيق مشيراً بعدها الى ان طبعة غوستاف فلوغل قطعة من محاضرات الادباء للراغب الاصبهاني^(٢٦) .

٢٤ - لياب الادب قال المحقق (برلين OCT واسعد افندي ٢٨٧٩ ونسخة في مكتبة الآثار العامة بغداد وجامعة استانبول ١٩٠٠ م) وهذا كلام منقول نصاً من التوفيق للتلفيق عدا عن ان الرقم الاخير لمخطوطة جامعة استانبول كان في التوفيق للتلفيق (٦٩٠٠)^(٢٧) فجعله محقق لطائف الظرفاء تاريخاً ميلادياً . وكنت ذكرت في قائمتي عنوان (لياب الادب) واشرت الى ان في مكتبة الدراسات العليا بكلية الادب بجامعة بغداد مخطوطة بهذا العنوان تاكدت بعد دراستها انها منتخبات من كتاب سحر البلاغة وان الدكتور قاسم السامرائي اشار الى مخطوطة بهذا العنوان نقلًا عن بروكلمان ثم ذكرت عنواناً اخر هو (لياب الادب) ذكرت مخطوطته في مكتبة السليمانية المرقمة (٢٨٧٩) واعربت عن شكّي في ان تكون هي نفسها (لياب الادب) لتقارب العنوانين^(٢٨) ولكن محقق لطائف الظرفاء اعرض عن هذا كله ونقل ما ورد في التوفيق للتلفيق نصاً .

٢٥ - الظرائف واللطائف قال المحقق (دمج ابو نصر المقدسي

هذا الكتاب مع كتاب البواقيت والمواقيت وسمى المجموع للطائف والظرائف وبالعنوان الأخير طبع بمصر سنة ١٣٠٧ و طبع ببغداد ١٢٨٢ هـ) وهذا كلام منقول نصاً عن التوفيق للتلفيق عدا عن ان محقق التوفيق للتلفيق ذكر طبعيتين مصريتين أخريين هما طبعة سنة ١٢٩٦ هـ و ١٣٠٧ هـ^(٥٢) وكنت قد ذكرت هذه الطبعت كلها ويتسلسلها التاريخي في حديثي عن الكتاب^(٥٣) .

٢٦ - الادب ، ادب الملوك ، الامثال والنظائر ، الافعال ، الانوار في آيات النبي ، ترجمة الكاتب في ادب صاحبها ، خصائص البلدان ، زاد سفر الملوك ، سجع المنشور ، سر البلاغة ، ملح البراعة ، سحر البيان ، نقل المحقق أسماء هذه الكتب بهذا التسلسل وكتب بازاء كل منها مواضع وجود مخطوطاتها وارقامها ناقلاً ذلك كله بتسلسله نقلاً حرفياً من التوفيق للتلفيق^(٥٤) عدا انه اسقط اسم (التوفيق للتلفيق) من التسلسل وقدم واخر في الاسماء الثلاثة الاخيرة .

٢٧ - العشرة المختارة ، قراصة الذهب ووردين الادب ، محاسن الادب ، معرفة الرتب فيما ورد من كلام العرب ، مواسم العمر ، نتائج المذاكرة ، نزهة الالباب وعمدة الكتاب ، تفضيل الشعر . نقل المحقق أسماء هذه الكتب والمعلومات المتعلقة بمخطوطاتها نقلاً حرفياً من التوفيق للتلفيق ولكنه اختارها من مجموعة متسلسلة اخذ منها وترك فبين هذه الاسماء يرد في التوفيق للتلفيق (غير البلاغة ودرر الفصاحة - الفلمان - لباب الادب اللطيف واللطائف - مكارم الاخلاق - المذهب من اختيار ديوان أبي الطيب - مؤنس الوحيد)^(٥٥) وواضح ان هذه الاسماء كلها مما ذكره محقق لطائف الظرفاء في مواضع سابقة ونقل معلوماته من التوفيق للتلفيق حرفياً عدا كتاب (المذهب من اختيار ديوان أبي الطيب) وبهذا نأكد اني انه لم يزد على نقل أسماء الكتب المطبوعة والمخطوطة من قائمة محقق التوفيق للتلفيق بتسلسلها حيناً وتقديم وتقديم حيناً آخر .

اما الكتب المفقودة للثعالبى فقد نقل محقق لطائف الظرفاء قائمة محقق التوفيق للتلفيق كما هي ونقل ما دونها بازاء اسم كل كتاب نقلاً حرفياً ولم يسقط الا اسم كتاب (الفرائد والقلائد) الذي كان قد ذكره ضمن الكتب المطبوعة وعده محققا التوفيق للتلفيق مفقوداً وذكر بازائه ان المطبوع بهذا العنوان ليس للثعالبى^(٥٦) اما أسماء سائر الكتب المفقودة والمعلومات المدونة بازائها فهي نقل حرفي لا يسلم من ذلك حتى الخطأ الطباعي . والذي لا بد من تسجيله بعد هذه الجولة في قائمة محقق لطائف الظرفاء ان هذه القائمة منقولة نقلاً شبه حرفي من قائمة محقق التوفيق للتلفيق وبهذا فانها خلت من الاحالات والهوامش فضلاً عن انها خلت من اية معلومات عن الكتب التي ذكرتها تشير الى مادتها او منهجها لا سيما الكتب المطبوعة والمخطوطة (وذلك ما حفلت به قوائم المحدثين) فضلاً عن ان قائمة محقق لطائف الظرفاء ذكرت بعض طبعت عدد من الكتب واغفلت ذكر

طبعت اخرى وانها ربما ذكرت عنواناً مستقلاً هو اسم اخر لكتاب ورد ذكره انفاً كذكرها (شمس الادب) وهو اسم اخر لكتاب فقه اللغة وذكرها (النهاية في الكناية) وهو اسم اخر للكناية والتعريض وذكرها (المتشابه) وهو اسم اخر لاجناس التجنيس ، ووقعها في خطأ ذكر معلومات عن كتاب هي معلومات عن كتاب اخر كالخط الذي حدث في المعلومات عن كتابي اللطف واللطائف والظرائف واللطائف وتحريفها أسماء بعض الكتب كذكر احسن ماسمع وصوابه احسن ما سمعت وذكرها المؤنس الوحيد وصوابه مؤنس الوحيد ونسبتها كتاباً للثعالبى اثبتت دراسات سابقة انها ليست له مثل كتاب (احسن كلام النبي) .

ما قيمة قائمة لطائف الظرفاء بعد هذا المدد من القوائم التي اجهد اصحابها انفسهم وتابعوا المصنوع والمخطوط في مضائه وتابعوا أسماء المفقود في المصادر حتى خرجوا بقوائمهم لا سيما الدكتور عبد الفتاح محمد انخلو في مقدمة تحقيقه اكتاب التمثيل والمحاضرة والاستاذان ابراهيم الابياري وحسن كامل الصيرفي في مقدمة تحقيقهما لكتاب لطائف المعارف ، ثم تبقى القائمة التي ادرجتها في كتابي الثعالبى ناقداً واديباً التي قال فيها الاستاذ هلال ناجي (وتعد قائمة الدكتور محمود عبد الله الجادر التي اثبتتها في كتابه (الثعالبى ناقداً واديباً) وتضم خمسة وتسعين كتاباً اوفى القوائم واشملها وأدقها واكملها وقد انصارت على غيرها بدراسة عدد ضخم من مصنفات الثعالبى او المنسوبة له - مخطوطة ومطبوعة - قصد التوصل الى صحة نسبتها هذا بالإضافة لعملية مسح واسع لفهارس المخطوطات العربية من دور الكتب عبر العالم وليس هنا مجال حصر النتائج الرائعة التي توصل اليها الباحث من خلال دراسته الرائعة لآثار الثعالبى)^(٥٧) وتلك هي القائمة التي انتفع بها الاستاذ هلال ناجي في مقدمته لكتابي الانيس في غير التجنيس والتوفيق للتلفيق بعد ان عمل على بعض معلوماتها و اضاف اليها ما وقع اليه من أسماء ومعلومات فكانت القائمتان منطلقاً لي لتقديم قائمتي الجديدة في كتابي دراسات توثيقية وتحقيقية في مصادر التراث وهي قائمة قامت اصلاً على قائمة كتابي (الثعالبى ناقداً واديباً) وانتفعت كثيراً بقائمتي الاستاذ هلال ناجي ولم تنس بعدها الا قائمة محقق لطائف الظرفاء الذي اعتمد على النقل المجرد من قائمة التوفيق للتلفيق معرضاً عما استجد بعدها وعما كان قبلها وكان نقلاً مضطرباً اساء الى قائمة التوفيق للتلفيق نفسها . والسؤال الذي نرى ان نسأله اخيراً هو ما قيمة اصدار قائمة جديدة للثعالبى ان لم تتضمن شيئاً يضاف او تعديلاً لوهم او تحقيقاً لما وقع فيه شك ؟ ان قائمة محقق لطائف الظرفاء لا قيمة علمية لها مطاقاً بل انها قد تسبب الى صاحبها لكثرة ما وقع فيها من اوسام واخطاء ولو انه اكتفى بالاشارة الى قائمة التوفيق للتلفيق او اية قائمة اخرى لا غنى

نفسه عن مطالعين ذكرناها ومطاعين لم نذكرها ولاحتفظ بهذه الصفحات العشر التي سودها بكلام لا قيمة له .

بقي ان نتناول المبحث الآخر من الفصل الاول وعنوانه (وصف النسخ المخطوطة) .

قال المحقق في بداية حديثه عن النسخ واصفاً كتاب لطائف الظرفاء (هذا الكتاب الذي لم ينشر بصورة علمية دقيقة) وهذا كلام موهم يحتمل ان يكون الكتاب مما لم ينشر قط ويحتمل ان يكون الكتاب قد نشر ولكن بصورة غير علمية . فان رجحنا الاحتمال الاول فالمحقق على وهم لان الكتاب قد نشر كما سبقت الإشارة الى ذلك نشرتين . وان رجحنا الاحتمال الثاني فالمحقق مقصر لانه لم يذكر النشرات غير العلمية ولم يوضح لم تكن (علمية) . اما المخطوطات فقد ذكر المحقق ثلاث مخطوطات اولها مخطوطة مكتبة لايدن ذات الرقم ١٠٤٢ وهي المخطوطة التي صور جزءاً منها الدكتور قاسم السامرائي وقد وصفها المحقق وصفاً دقيقاً ينبىء عن اطلاعه عليها ، ولكنه قال في حديثه عنها (وهناك ثلاثة عناوين لهذه المخطوطة الاول هو (لطائف الصحابة والتابعين) وهذا العنوان لا نقره لانه يحمل عنوان الباب الاول في ثبت المحتويات وفي مطلع موضوع الكتاب وهذا الوجه تأثر به جرجي زيدان في كتابه تاريخ اداب اللغة العربية حين اشار الى طبع هذا الكتاب وفق عنوان الباب الاول من الكتاب (١١) ويؤخذ على هذا الكلام العجيب امور هي :

١ - لم يذكر المحقق العناوين الثلاثة المدونة على غلاف المخطوطة التي درج صورة غلافها في الصفحة ٧٠ من كتابه وفي الصورة تظهر العناوين الثلاثة (كتاب لطائف الصحابة لابي منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل الثعالبي النيسابوري وفيه احاسن كلام النبي ﷺ والصحابة والتابعين وملوك الجاهلية وملوك الاسلام والوزراء والبلغاء والحكماء والعلماء وفيه الاجوبة المسكتة تاليف ابي اسحق ابراهيم بن ابي عون الكاتب) فالغالب على الظن ان المخطوطة هي مجموع خطي فيه ثلاثة كتب هي التي تحمل العناوين المذكورة .

٢ - ان جرجي زيدان لم يذكر اسم (لطائف الصحابة والتابعين ...) ولكنه ذكر (احاسن كلام النبي والصحابة والتابعين ...) وهو الكتاب الذي سبقت الإشارة الى انه مختصر الايجاز والاعجاز للامام فخر الدين الرازي .

٣ - ان تشابه عنوان فصل من الكتاب مع اسم كتاب اخر امر متوقع في كتب الثعالبي حتى ان عنوان (لطائف الظرفاء) نفسه هو عنوان الباب الرابع من كتاب (خاص الخاص) فلا قيمة لما ذكره محقق لطائف الظرفاء من تطابق عنوان الباب الاول من الكتاب مع عنوان كتاب اخر .

والمخطوطة الثانية التي ذكرها المحقق هي مخطوطة عن مخطوطة باريس المرقمة ٤٢٠١ وهي مخطوطة لم يصفها

ولم يذكر عدد اوراقها ولكنه قال انها تطابق نسخة لايدن ثم لم يذكر شيئاً اخر سوى انها لا تحمل عنواناً وتبقى مخطوطة معهد شعوب اسيا التي وصفها ولم يذكر رقمها ولكنه ذكر انها المخطوطة الوحيدة التي تحمل عنوان (لطائف الظرفاء) والحقيقة انني لم اطلع على المخطوطة ولم اكن اطلعت عليها حين كتبت كتابي (الثعالبي ناقد ادبي) ولكني كنت قد قرأت عنها ما كتب في فهرس المخطوطات العربية بمعهد شعوب اسيا وقرأت في الفهرس ملاحظة واضعه التي قال فيها ان لطائف الظرفاء هو نفسه اللطف واللطائف ومن هذا الخلط رجحت الظن بان (لطائف الظرفاء) الموجود في المعهد قد يكون فعلاً منقزاً من خاص الخاص . وقد ثبت لي خطأ هذا الظن عندما حققت كتاب اللطف واللطائف واطلعت على تحقيق د . قاسم السامرائي ود . عمر الاسعد لكتاب لطائف الظرفاء ولكن محقق لطائف الظرفاء امسك بعبارتي في الثعالبي ناقد ادبي وقال عنها في معرض ذكره لعبارات من مقدمة لطائف الظرفاء (وهذا يفند الظن والوهم الذي وقع فيه مؤلف كتاب الثعالبي ناقد ادبي) وانا اعترف هنا ان ما سجلته في الثعالبي ناقد ادبي كان ظناً خاطئاً فبهني عليه تحقيقي لكتاب اللطف واللطائف وتحقيق د . قاسم السامرائي قسماً من لطائف الظرفاء فلمست ارد قول محقق لطائف الظرفاء ولكنني اتخذ عبارته هذه دليلاً على اطلاعه على قائمتي لكتب الثعالبي التي وصفها الاستاذ هلال ناجي بما سبق ان ذكرته فلم لم يجد فيها محقق لطائف الظرفاء ما يعذر به هذه الاخطاء الغريبة التي وقع فيها في قائمته المنقولة نقلاً وانما وجد فيها ما يريد به عليها فقط ؟

بقي ان اتحدث عن الفصل الثاني العجيب من فصول مقدمة محقق لطائف الظرفاء والذي جعل عنوانه (تسمية الكتاب واهميته النقدية) . ففي هذا الفصل تناول المحقق كلمات العنوان كلمة كلمة فكتب عن كلمة (لطائف) دلالتها المعجمية معتمداً على اللسان والتعريفات ومحيط المحيط وهذا امر لا بأس به ثم تناول كلمة (الظرفاء) فصال وجال فتناول دلالتها المعجمية ثم راح يكتب بحوثاً عن الظرفاء ووصافهم فكتب صفحة واربعة اسطر عن صفاتهم العامة ثم نصف صفحة بعنوان (ومن صفاتهم في الاماكن العامة) ثم نصف صفحة في (ادابهم في الحمام) ثم نصف صفحة في (ادابهم في الطريق) ثم ثلاث صفحات في (مكملات مظهرهم) وهذا شأن عجيب فما علاقة هذا كله بمن ذكرهم الثعالبي من (الظرفاء) في كتابه من اعلام السلف كابي بكر الصديق وعمر وعثمان والحسين والحسن ابني علي رضوان الله عليهم جميعاً فضلاً عن سواهم من الصحابة والتابعين والملوك والوزراء ممن اورد لهم الثعالبي نصوصاً في كتابه ؟ ثم من اين اتى المحقق بهذه الصفات وهو لم يشير الى مصدر واحد في هوامش مباحثه الغريبة هذه ؟

وتبقى كلمتا (طبقات) و (الفضلاء) اللتان لم تسلما من هذا النهج في التفسير الاستطرادي الذي لا علاقة له بمادة الكتاب .

اما الفصل الثالث فقد جعل المحقق عنوانه (اهمية الكتاب العلمية) وجعل المبحث الاول فيه بعنوان (ثقافته في الكتاب) وكان ينبغي ان يكون (ثقافة المؤلف - او الثعالبي - في الكتاب) اما مادة المبحث فهي خليط غريب من الحديث عن اطلاع الثعالبي على كتب التراجم وقدرته على الاختيار ثم الحديث عن ثقافة المجتمع العربي الاسلامي ثم سرد احداث من سيرة الثعالبي ورحلاته ثم انتقال مفاجيء الى موقف الاسلام من مسألة طلب العلم والثقافة ثم سرد لاهم الكتب الادبية التي تعزى لكبار الكتاب ضمن كتب الادب رتبت اسماءها ترتيباً عشوائياً سقط فيه التسلسل التاريخي او الموضوعي او اي تسلسل منطقي ثم حديث مضطرب متداخل ساغلب بحسن الظن فاقول ان اضطرابه قد يكون من نتائج اضطراب الطباعة .

والذي اقف عنده هنا هو السؤال الاتي : ما القيمة الثقافية التي تسمح للثعالبي من تأليفه كتاباً في اختيار نصوص يسندها الى اصحابها ويوزعها على فصول بحسب مواضع اصحابها السياسية او الاجتماعية او المهنية مع ان هذه النصوص مما يدور باعيانه في عشرات من كتبه الاخرى التي استقى مادتها اصلاً من كتابه بقيمة الدهر ؟ ان القيمة كل القيمة في المنهج الذي يتخذه الثعالبي في كل كتاب فيعيد ذكر النصوص لينتفع بها في هذا الكتاب بوجه وفي ذلك الكتاب بوجه اخر اما هذا الحديث الطويل عن ثقافة المجتمع العربي وحث الاسلام على العلم والثقافة فمما لا علاقة له بالكتاب ولا مادة الكتاب ولا صاحب الكتاب .

اما مبحث الجوانب التاريخية فيقوم على امر غريب وهو ملاحظة محقق لطائف الظرفاء ان الثعالبي روى اقوال الصحابة رضوان الله عليهم والسلوك والوزراء ... الخ بتسلسلهم التاريخي وكان المنطقي ان يشير المحقق الى ان نهج الثعالبي في عرض مختاراته قائم على التسلسل التاريخي ولكنه شاء ان يفيض في الحديث عن العلاقة بين النصوص والواقع التاريخي وما يتضمنه من تطور حضاري وثقافي واجتماعي واثار ذلك كله في النصوص المختارة مع ان المطلع على النص المحقق سيبقي عاجزاً عن الفوز بآية علاقة بين النصوص والواقع التاريخي فالثعالبي لم يكن في كتابه هذا ولا في كتبه الادبية الاخرى التي من هذا النمط معنياً بالربط بين النص وخلفيته التاريخية بقدر ما كان معنياً بالربط بين النص وموقع قائله السياسي او الاجتماعي او الثقافي واثار ذلك الموقع في نصه الذي يختاره له متعمداً ان يكون نصاً متضمناً ذلك الاثر اما التسلسل التاريخي لاصحاب النصوص فهو امر كان شائعاً وما يزال في تناول مثل هذا العرض للنصوص سواء عنى المؤلف بالخلفية التاريخية ام لم يعن بها والثعالبي ممن

لم يعنوا بذلك فكتابه هذا وسائر كتبه التي من نمطه لم تربط قط بين النص وخلفيته التاريخية ولو بمعبارة واحدة ، كل ما في الامر ان تسلسل اسماء اصحاب النصوص قائم على ازمانهم وتسلسلهم في الذكر قائم على تسلسلهم في الزمان فهو منطلق تأليفي وليس منطلقاً منهجياً كما حاول المحقق ان يصوره . ومما قلته في مبحث الجوانب التاريخية يمكن ان يقال في مبحث الظواهر الاجتماعية الذي حاول المحقق فيه ان يمنح الثعالبي تصوراً اجتماعياً يرفد النص الادبي فالثعالبي لم يعلل ولم يحلل وانما وزع ابواب كتابه على طبقات اجتماعية اختار فيها نصوصاً تعكس الانتماء الاجتماعي للقاتل وذلك منهج تأليفي جرى عليه الثعالبي في عدد من كتبه منها اللطاف واللطائف الذي قسمه ايضاً على الطبقات الاجتماعية والذي يبدو صغوراً لهذا الكتاب في اطاره التأليفي .

ولا اريد ان استطرد فاعيد الكلام ولكنني حين اقف عند مبحث (اهميته الادبية) و (اهميته النقدية) واحاول ان اجمع يدي على حضيصة ما اجدني اطالع كلاماً مهوماً لا يقوم على استقراء واستنباط قليل لهذا الكتاب الذي هو محض جمع لا قوال ادبية او اقوال طريفة (لا علاقة لها ولا لاصحابها بالادب) وتنسيقها وتوزيعها على ابواب بحسب انتماء اصحابها ، ليس له اي عمق ادبي او نقدي فمن الناحية الادبية تبقى قيمته محصورة في رواية اشعار شعراء القرن الرابع اما اقوال من سبقهم واشعارهم فقد وثقتها مصادر نقل عنها الثعالبي واما من الناحية النقدية فان لفظة (طبقات) التي جعلها المحقق محور نظريته النقدية للثعالبي فانها لا تمثل دلالة نقدية في هذا الكتاب لانها جاءت بمعنى (الشرائع) وليس بمعنى الطليقة الفنية من الشعراء او الكتاب (فالطبقات) التي وزع عليها الثعالبي مادة كتابه هي طبقات (الصحابة واتباعهم - والملوك المتقدمين - ملوك الاسلام - الوزراء والكبراء - البلغاء والادباء - القضاة والعلماء - الاطباء والفلاسفة - الجواري والنساء الحسنات - المغنين والمطربين - الظرفاء من كل طبقة وفن - الشعراء) وهذه شرائع لا يقع تقسيمها تحت اي معيار نقدي من معايير التوزيع الطبقي وان وردت كلمة (طبقات) في عنوان الكتاب .

يبقى اخيراً حديث المحقق عن مقدمة الكتاب التي اقتبس منها الكثير وتحدث عن صياغتها شكلاً ومضموناً تلك هي اهم ملامح دراسة محقق لطائف الظرفاء وهي دراسة كان بوسعها ان يستغني عن اكثرها فقد افسد ما كتبه غيره عندما جرى غيره وافسد على نفسه ما انفرد به عندما منح الكتاب أفكاراً لو بعث الثعالبي من قبره لاستغرب ان يقال فيه ، ثم اسماعيلي هذا الذي كتبه ... الخ الاخراج الطباعي والاختفاء اللغوي والنحوي والاملائية التي لا تنبئ عن تدقيق ولا عناية اما النص المحقق فسأترك الحديث عنه لمبحث اخر ان شاء الله .

الهوامش والمصادر.

٣٩٢.

- (٢١) ينظر التوفيق للتلفيق ٢٨ دراسات توثيقية وتحقيقية . ٤١٢ .
- (٢٢) التوفيق للتلفيق ٣١ .
- (٢٣) دراسات توثيقية وتحقيقية ٤١٩ - ٤٢٠ .
- (٢٤) ينظر التوفيق للتلفيق ٢٨ دراسات توثيقية وتحقيقية . ٤٢٧ .
- (٣٥) الثعالبى ناقداً وأديباً ١٣٧ .
- (٣٦) التوفيق للتلفيق ٢٩ وينظر دراسات توثيقية وتحقيقية ٤٢٨ .
- (٣٧) ينظر التوفيق للتلفيق ٣٠ دراسات توثيقية وتحقيقية ٤٠٢ .
- (٣٨) ينظر التوفيق للتلفيق ٣٥ دراسات توثيقية وتحقيقية ٤٠٣ .
- (٣٩) التمثيل والمحاضرة للثعالبى عبد الفتاح محمد الحلو مصر ١٩٦٥ م ، ١٤ .
- (٤٠) الانيس في غرر التجنيس ٣٧٦ .
- (٤١) التوفيق للتلفيق ٢٩ .
- (٤٢) دراسات توثيقية وتحقيقية ٤٣٠ .
- (٤٣) تاريخ اداب اللغة العربية ٥٩٨ / ٢ لطائف المصايف ٢٠ شاهنامه ثعالبى أ .
- (٤٤) الثعالبى ناقداً وأديباً ١٢٣ وينظر دراسات توثيقية وتحقيقية ٣٩٢ .
- (٤٤ أ) تاريخ اداب اللغة العربية ٥٩٨ / ٢ والانيس في غرر التجنيس ٢٩٠ .
- (٤٥ أ) ينظر الثعالبى ناقداً وأديباً ١٦١ - ١٦٢ ودراسات توثيقية وتحقيقية ٤١٥ .
- (٤٦) ينظر الثعالبى ناقداً وأديباً ١٤٦ ودراسات توثيقية وتحقيقية ٤٣٠ .
- (٤٧) ينظر الثعالبى ناقداً وأديباً ١٦٤ وينظر ايضاً دراسات توثيقية وتحقيقية ٤٢٠ .
- (٤٨) الانيس في غرر التجنيس ٣٧٦ التوفيق للتلفيق ٣٤ .
- (٤٩) الثعالبى ناقداً وأديباً ١٦٢ - ١٦٣ وينظر دراسات توثيقية وتحقيقية ٤٣٩ .
- (٥٠) ينظر الانيس في غرر التجنيس ٣٩١ والتوفيق للتلفيق ٢٢ .
- (٥١) ينظر التوفيق للتلفيق ٣١ .
- (٥٢) ينظر دراسات توثيقية وتحقيقية ٤٢٦ .
- (٥٣) ينظر التوفيق للتلفيق ٢٨ .
- (٥٤) ينظر الثعالبى ناقداً وأديباً ١٠١ - ١٠٢ .
- (٥٥) ينظر التوفيق للتلفيق ٣٠ - ٣١ .
- (٥٦) ينظر التوفيق للتلفيق ٣١ - ٣٢ .
- (٥٧) تنظر القائمة في التوفيق للتلفيق ٣٢ - ٣٥ .
- (٥٨) الانيس في غرر التجنيس ٢٨١ .
- (٥٩) لطائف الظرفاء ٣٠ . (٦٠) لطائف الظرفاء ٣١ .

- (١) المقدمة ٩ .
- (٢) التوفيق للتلفيق تحقيق هلال ناجي والدكتور زهير زاهد ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ١٩٨٥ م ص ٢٨ .
- (٣) ينظر مثلاً دائرة معارف البستاني مطبعة المصايف بيروت ١٨٨٢ م ، تاريخ اداب اللغة العربية ، جرجي زيدان مكتبة الحياة بيروت ١٩٦٧ م كنوز الاجداد ، محمد كرد علي ، مطبعة الترقى دمشق ١٩٥٠ م .
- (٤) الثعالبى ناقداً وأديباً ٢٢ .
- (٥) نثر النظم للثعالبى دمشق ١٣٠١ م ١٦ .
- (٦) وفيات الاعيان تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد مطبعة النهضة مصر ١٩٤٨ م .
- (٧) التوفيق للتلفيق للثعالبى تحقيق هلال ناجي والدكتور زهير زاهد بغداد ١٩٨٥ م ص ٣ .
- (٨) مقدمة المحقق ١٥ .
- (٩) مقدمة المحقق ١٦ .
- (١٠) التوفيق للتلفيق ١٠ .
- (١١) ينظر عرض هذه القوائم ومواضعها من الطبقات التي رجعت اليها في كتابي الثعالبى ناقداً وأديباً ٦٦ - ٧٠ .
- (١٢) الثعالبى ناقداً وأديباً ٧٠ - ١٦٨ .
- (١٣) الانيس في غرر التجنيس للثعالبى تحقيق هلال ناجي - مجلة المجمع العلمي العراقي ج ١ مج ٢٣ ، ١٩٨٢ م ، ٢٨٥ - ٣٩٤ .
- (١٤) التوفيق للتلفيق ٢٧ - ٣٥ .
- (١٥) دراسات توثيقية وتحقيقية في مصادر التراث - مطابع دار الحكمة - الموصل ١٩٩٠ م .
- (١٦) التوفيق للتلفيق ٢٨ .
- (١٧) دراسات توثيقية وتحقيقية في مصادر التراث ٤٢٣ .
- (١٨) التوفيق للتلفيق ٢٧ .
- (١٩) ينظر التوفيق للتلفيق ٢٨ .
- (٢٠) التوفيق للتلفيق ٢٩ .
- (٢١) دراسات توثيقية وتحقيقية ٤٢٩ .
- (٢٢) ينظر التوفيق للتلفيق ٣١ .
- (٢٣) دراسات توثيقية وتحقيقية في مصادر التراث ٤٣٤ .
- (٢٤) التوفيق للتلفيق ٢٧ - ٢٨ .
- (٢٥) دراسات توثيقية وتحقيقية في مصادر التراث ٤٠٧ .
- (٢٦) م . ن ٤١٥ .
- (٢٧) التوفيق للتلفيق ٢٨ .
- (٢٨) دراسات توثيقية وتحقيقية في مصادر التراث ٤٢٥ .
- (٢٩) التوفيق للتلفيق ٢٧ .
- (٣٠) دراسات توثيقية وتحقيقية في مصادر التراث ٣٩١ -

البيضاء : حياته

ديوانه

رسائله ، قصصه

جميع وتحقيق
الاستاذ هلال ناجي

عرض وتقديم
سعد الحداد

تأتي أهمية دراسة الشاعر في (حياته وآثاره) لها من صور ناطقة صورت وأزحت لحقيقة مهمة من تاريخ الأمة في أوج انقائها ، أيام حكم سيف الدولة الحمداني ، الذي كانت مواقفه وأخلاقه وفروسيته مدعاة لانضمام عدد من أهل الأدب واللغة وعدد من شعراء الأمة البارزين التي يلازمه في حلب ، أمثال ابن جني وابن خالويه والمتنبي والذامي والسمري الرقاء والزاهي والفاشيء الأصغر وغيرهم ، وكان البيضاء الذي التحق بخدمة سيف الدولة وهو دون سن العشرين حريصاً على دواء الحلة بيزنها بتسجيل وفائعه سيف الدولة ومآثره وبطلاته وأباً على وفاة سيف الدولة (٣٥٦ هـ) . الذي كان يجزل العبد - به - فاقه في فاضل الشباب والرياش وملك العبيد والخلمان . « وقل الشاعر ومياً تلك الصلة مرثاه وتلقب عليه أهدى الناس »

وكانت صلاته بين أقرانه من الأديان والشعراء صلات متعافى المودة والسلام وقد جعلته في مقام من المكائد ، وشعره حافل يسكن عشق تلك الصلوات ، خاصة مع الذامي وأبي فراس والخالدين والمصابي ، تتوجها صلاته بالمتنبي حيث يقول البيضاء « كان أبو المتنبي ياتس بي ويشكر من سيف الدولة ويأمنني على غيبته له ، وكانت الحال تبيد ويريد عاهرة دون باقي الشعراء » ، إلا أن الأمور أدت إلى عدم الاستقرار ، مما جعلت الشاعر يلوذ بأمر الموصل (عدة الدولة أبي تغلب ، بن ناصر الدولة ٣٦٩ هـ) . وكان شاعراً أيضاً ، نكروته وأقام بحضوره مدة . إن إتهاراً لة الحمدانيين في الموصل جعل الشاعر يستقر ببغداد نهائياً عائداً صلات مودة مع أركان الحركة الأدبية كابي أسحاق الصابي ويحيى بن محمد الأزدي الموصلي والمحسن بن علي التنوخي وسواهم ، بيد أن المحنة التي تعرضت لها بغداد على يد الفيارين عام (٣٩٧ هـ) قد كوت البيضاء بنارها ، ففر عبيده ، وأودت شابه ، وبعث فروشه ، وبات يشكو العسر وعانى محنة اقتصادية خانقة ، حتى استقادت بمعيد الجيوش . ثم لا يظفر بخبر عنه حتى وفاته عام (٣٩٨ هـ) .

لقد أسيع كثير من الكتابات القديمة والمحدثين تعولاً على أبي الفرج المخرومي ، فقد وصفه النصابي في البيئمة ٢٥٧/ ١ بقوله « نجس الأفاق ، وشمامة الشام والعراق وظرف الطارف وينوع

عن دار سالم الكتب للطباعة والنشر في بيروت صدر كتاب (البيضاء عبد الواحد بن نصر المخرومي ٣٩٨ هـ) بتحقيق الاستاذ هلال ناجي (١٩٩٨ م) في (١٩٤) صفحة والكتاب الذي بين أيدينا أول كتاب متكامل عن الشاعر العربي (البيضاء) . إذ استطاع مدققه أن يلم شتات ما تناثر من تراث الشاعر من (شعر ورسائل وقصص) .

فقد نشر في عام ١٩٨٣ م في المجلد الرابع والثلاثين من مجلة المجمع العلمي العراقي فصلين احتويا (حياة البيضاء وشعره) ، ثم استدرج المحقق على نفسه في الجزء الأول من كتاب (المستدرج على صناع الشواوين) الصادر ببغداد عام ١٩٩٢ م بإضافة (١٩) قطعة شعرية ضمت (٥٣) بيتاً ، ثم أتم استدرجه في محاولة جديدة شملت جميع آثار الشاعر . ليس الشرح حسب ، بل استدرج مجموع شعره المنشور سلفاً به (٧٥) بيتاً .

وشاعرنا هو البيضاء أبو الفرج عبد الواحد بن نصر بن محمد ابن عبد الله بن عمر بن الحارث بن عبد الله ابن عبد العزيز بن المطلب بن عبد الله بن المطلب بن الخطيب بن الحارث بن حميد بن عمر بن مخرم الخنطبي المخرومي النصيب (نسبة إلى نصيبين) التي وصفها المحقق وصفاً رائعاً وجسلاً في الصفحة السابقة من الكتاب .

والشاعر عربي صليبي ، أما سبب تقيبه بالبيضاء ، فقول للأدب فيه ، وقيل لعصاحته ، وقيل لفصاحته وثقافته في لسانه . أما مولده فلم تحفظ المصادر تاريخاً له ، إلا أن المحقق افترض أن مولده بين عامي (٣٤٣ - ٣١٥ هـ) اعتماداً على قصة أوردها النصابي في بيئمة الدهر ١ / ٥٧ مفادها « ناخر البيضاء بدمشق من سيف الدولة مكرها ، وقد مار عنها في بعض وقائعها ، ثم لما كان من أمر شاعرنا في دير الزمان إشارة إلى أن مدته آنذاك عشرون سنة » . وافترضه أن ذلك كان في السنوات الأولى من حكم سيف الدولة (٣٣٣ - ٣٣٥ هـ) . وهذا يكون المحقق أول من حدد تقريباً عام ولادة الشاعر ، أما وفاته فقد كانت في شعبان سنة ثمان وتسعين وثلاثمائة للهجرة .

البيغاء في نوازعه الوجدانية ، وتعكس صورة من ذوقه وتفصيل حياته وصلاته . وهي عنده أشبه بقصيدة غزل .

وقد طغى الوصف على رسائله ، أما أبرز سميات رسائله فيمكن إجمالها بـ :-

أ - إنه كان شاعراً ، ولذلك وشح ورضع رسائله بشعره .

ب - إنه التزم السجع الذي أوجد لونا من الإيقاع النغمي والموسيقي ، ولتوفير هذا الإيقاع النغمي ، كان يلجأ إلى المحسنات البديعية .

ج - إنه في رسائله كان يتجذب الألفاظ الحوشية المستغربة مجسداً روح عصره .

د - إنه كان يعتمد في رسائله على تفريع المعاني وتكرار المعنى الواحد بصيغ متعددة إبرازاً للفكرة وجلاء لها .

هـ - إن رسائله الاخوانية امتازت بصق الحوافظ والأحاسيس والبراعة في التصوير والتخييل فهي أشبه بالقصيدة المثنوية . و - إنسمت بسى رسائله بتدريته على تحسين القبيح كالتهدئة في عزل أو تهنة من ولدت له أنثى أو من زوجت أمه .

٢ - كتاب في القصص : وهو كتاب مفقود الا أن الأستاذ المحقق تمكن من جمع (١٢) قصة ، كانت في (الفرج بعد الشدة) (٩) قصص وفي (نشوار المحاضرة) (قصتان) وفي (يتيمة الدهر) (قصة واحدة) . وهي مذقولة عن كتاب البيغاء المفقود . وقد احتل كتاب القصص الصفحات من (١٣٣ - ١٦٥) من الكتاب .

لقد كانت محاولة الجمع والتحقيق للشعر في الكتاب كما أسلفنا بعد استدراكين خلاصتها شملت (١٤٢) مقطوعة شعرية مرقمة ، بلغت أبياتها (٧٤٠) بيتاً ، عمد فيها المحقق إلى التفرج العلمي وبيان اختلاف الروايات الواردة فيها ، وتفسير المفردات والأصطلاحات التي تحتاج إلى إيضاح أو تعليق وذلك بالاعتماد على المصادر والمراجع العلمية التي قاربت عن (٧٠) كتاباً وبضمنها عدد من المخطوطات النادرة التي نسخها خزائنه ، وقد رتبها وفق الحروف الهجائية ومن أهم المخطوطات (سباج الفكر ومناهج العبر) للوطواط الكتبي و (السحر والشعر) للسان الدين بن الخطيب و (روح الروح) لمؤلف مجهول و (المناقب والمآل) للخوارزمي ، وكلها مخطوطات مصورة في خزنة الأستاذ هلال ناجي .

وشتم الكتاب بفهارس فنية صنعها الأخ المفسر حسن عربيي الخالدي بنفت تسعة فهارس شملت (الاعلام ، الأماكن والمواضع ، الحيوانات ، الأزهار والثمار والأشجار ، الأحجار والمعادن ، الأمم والقبائل والجماعات ، الأنواء ، المصطلحات الحربية ، الأشعار) .

وقد طبعت هذه الفهارس عدا فهرس الأشعار على عمودين في الصفحة الواحدة . ولابد من القول إن هذا العمل يستحق الثناء والتقدير لمافيه من كشف كبير متكامل عن آثار لم يبسن لأحد من قبل جمعها أو نشرها كاملة في كتاب مستقل . كذلك يعد هذا المنجز المصدر الأول عن الشاعر العربي البيغاء .

البلغاء واحد أفراد النثر في النظم والنثر ، له كلام بل مدام بل نظام من الباقوت بل حب الغمام ، فنثره مستوف أقسام العذوبة وشروط الملاوة والسهولة ، ونظمه كأنه روضة منورة تجمع طيباً ومظلاً حسناً . . . ووصفه الخطيب البغدادي في تاريخه ١١ / ١١ بأنه « كان شاعراً مجوداً ، وكاتباً مترسلاً . ملجج الألفاظ ، جيد المعاني ، حسن القول في المديح والغزل والتشبيه والأوصاف وغير ذلك » . ومما وصفه به ابن الجوزي في المنتظم ٢٤١ / ٧ قوله « كان أدبياً فاضلاً وكاتباً مترسلاً وشاعراً مجيداً لطيفاً » . ويتفق مع هذا الوصف ، وصف ابن تغري بردي في النجوم الزاهرة ٢١٩ / ٤ بقوله « كان شاعراً مجيداً وكاتباً مترسلاً جيد المعاني من القول في المدائح » .

ولا يعد وصف المحدثين أمثال الدكتور عمر فروخ في (تاريخ الأدب العربي ٦١٣ / ٢) أو الدكتور زكي مبارك في كتابه (النثر الفني في القرن الرابع ٢٧٥ / ٢) أن يكون وصفاً تكرراً لما أجماه الأقدمون في أقوالهم المتقدمة وغيرها . أما تحقيق الأستاذ هلال ناجي ، فيبدأ بمقدمة وصفية مهمة للمدينة العربية (نصيبين) عهد الشاعر ومسرح طفولته . ثم متابعة لمسيرة حياة الشاعر من المهد إلى اللحد ، نالها آثاره التي أجملها الأستاذ المحقق بـ :- (ديوان شعره وكتاب رسائله وكتاب في القصص) .

١ - ديوان شعره : وهو ديوان مفقود ، ذكره ابن النديم في (الفهرست) بقوله « شعره ثلاثمائة ورقة » . وصاحبه الأستاذ المحقق في جمع ونشر شعره هي الأولى في هذا العصر ، وكما يقول « وهي محاولة تحن إلى من يستدرك عليها فبئرنا » . وبنظرة سريعة إلى أغراض شعره نجد أن الغرض الأوفر نسبياً في ديوانه هو (الوصف) ، فقد غلب على سائر أغراضه الأخرى . وهذا « مايتصل بمذهبه في النثر أشد اتصال » . وإذا ماعلينا أن شعر البيغاء مما كان يُغنى به أرباب غبار الاستغهام من صفاء شعره وسلاسته ، فشعره وجداني غير متكلف ، متين السواكيب ، ومزج بجمالية ، حية ، ناضجة في بعضها .

٢ - كتاب رسائله : وقد أشار إليها ابن النديم بدون أن يحدد عدد أوراقها ، إلا أن التسالبي حفظ عدداً منها في اليتيمة ، وأعل القلقة شندي في (صبح الأعشى) أثرى العظام التي أحتجنت عدداً كبيراً من رسائله ، وقد تمكن الأستاذ المحقق من جمع (٧٥) رسالة ، كانت تخريجاتها على الآتي : من (يتيمة الدهر) (١٠) رسائل ، ومن (صبح الأعشى) (٦٣) رسالة ومن (الفرج بعد الشدة) (١) رسالة واحدة ومثلها من (نشوار المحاضرة) .

استغرقت الرسائل انصفحات من (٩١ - ١٣٢) سبقتها صفحاتتان أوجز فيهما المحقق المميزات الفنية لها ، حيث تصنف رسائل البيغاء إلى صنفين (اخوانية وديوانية) ، فالديوانية كالرسالة التي حررها عن أبي تغلب بن ناسر الدولة الحمداني جواباً للكتاب الوارد عليه من الخليفة الطائع أو المطيع ، وغيرها . أما رسائله الاخوانية ، فمن حيث الموضوعات كانت تمثل

اخبار التراث العربي

اعداد : حسن عريبي الخالدي

١- الكتب والرسائل الجامعية :

السعيد نصر، ط ١، القاهرة، المؤلف ١٤١٩ - ١٩٩٩ .

١٦٩ ص ١
* كتاب الابانة والتفهيم عن معنى بسم الله الرحمن الرحيم -
للزجاج ابي اسحاق ابراهيم بن السري بن سهل (ت ٣١١ هـ)
تح : محمد السيد علي بلاسي ، ط ١ ، الزقازيق ، المحقق ،
١٤٢٠ - ١٩٩٩ ، ١٣٧ ص .
* الابل والخيول في التراث - عبد السلام بدر الدين محمد ، ط ١ ،
بليبس « الشرقية » مطابع الطاووس الذهبي ، ١٤١٩ -
١٩٩٩ ، ٢٦٧ ص .
* ابن قدامة المقدسي ومنهجه في نقد الفرق - سليمان الخطيب ،
الميناء جامعة الميناء كلية الدراسات العربية ، ١٤١٨ -
١٩٩٨ ، ٥٨ ص .
* اتحاف الاعزة في تاريخ غزة - للشيخ عثمان الطباع الغزي
(١٨٨٢ - ١٩٥٠) انتهى من تحقيقه عبد اللطيف زكي ابو
هاشم ويتناول الكتاب تاريخ غزة منذ ما قبل التاريخ حتى اواخر
العصر العثماني وبداية الانتداب البريطاني .
* الاحرف النافية العاملة عمل ليس دراسة نحوية قرآنية -
محمود محمد عبد المولى خميس ط ١ ، القاهرة ، مطبعة الامانة ،
١٤١٧ - ١٩٩٧ ، ١٩١ ص .
* احوال الفاء ومعانيها في كلام العرب - السيد عبد العظيم

السعيد نصر، ط ١، القاهرة، المؤلف ١٤١٩ - ١٩٩٩ .
* ارشاد الفحول الى تحقيق الحق من علم الاصول - للشركاني
ابي عبد الله محمد بن علي بن محمد الخولاني الصنعاني
(١١٧٣ - ١٢٥٠ / ١٧٦٠ - ١٨٣٤ م) تحقيق وتعليق
شعبان محمد اسماعيل ، ط ١ ، القاهرة ، دار السلام للطباعة
والنشر والتوزيع والترجمة ، ١٤١٨ - ١٩٩٨ ، مج ٢ .
* الاستشراق في العلوم الانسانية والاجتماعية ندوة اقامتها كلية
العلوم الانسانية والادب - اجتماعية في جامعة الامارات العربية
المتحدة على مدى يومي ١٩ - ٢٠ اكتوبر ١٤١٨ - ١٩٩٨
والقيت فيها بحوث عدة .
* استشهاد ابن هشام بالحديث الشريف في المغني : دراسة
وتحقيق - تأليف : حسن عبد العزيز حسن ابو العيين ، ط ١ ، كفر
الشيخ ... ١٤١٩ - ١٩٩٩ ، ٢٢٥ ص .
* اسرار التعبير بالمظهر في موضع المضموني القرآن الكريم -
احمد ابراهيم حسن محمد ط ١ ، الزقازيق ، المكتبة العلمية ،
١٤١٩ - ١٩٩٩ ، ١٨٨ ص .
* اسماء الافعال في القرآن الكريم : دراسة نحوية قرآنية - جاد
مخولف جاد ، ط ١ ، المؤلف ، ١٤١٩ - ١٩٩٩ ، ٥٥ ص .
* اصول النحو العربي في ضوء مذهب ابن مضاء القرطبي - بكري

دار الشؤون الثقافية العامة وزارة الثقافة والاعلام ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠ م ، ٣٣٤ ص .

• البناء الفني للمشروعات - عثمان عبد الحميد جلعوط بخيت الراوي رسالة ماجستير باشراف الاستاذ الدكتور مصعب حسون الراوي كلية التربية ، جامعة الانبار ، ص ١٧٩ .

• البيان في الفقه الشافعي - للعمداني اليمني ابي الخير يحيى بن سالم بن سعيد بن عبد الله (ت ٥٥٨ هـ) دراسة وتحقيق كتاب النضمان الى اخر كتاب الوكالة منه - دراسة وتحقيق جمال مهدي محمود الاكشة رسالة ماجستير ، كلية الشريعة والقانون بجامعة الازهر باشراف محمد حلمي عيسى ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م .

• تاريخ الاسلام ووفيات المشاهير والاعلام - للذهبي شمس الدين ابي عبد الله محمد بن احمد (٦٧٣ - ٧٤٨ هـ / ١٢٤٧ - ١٢٤٨ م) انجزه . عمر عبد السلام تدمري تحقيقه بتمامه وهو يبدأ من السنة الاولى للهجرة النبوية المظهرة وينتهي بحوادث ووفيات ٧٠٠ هـ ووقع الكتاب في ١ - ٥٢ مج صدر منها حتى الآن ١ - ٥٠ مج عن دار الكتاب العربي في بيروت وسيصدر المطبوعان الاخيران وهما ٥١ - ٥٢ مج عن الدار نفسها فانمجلد ٥١ قيد الطباعة والمجلد ٥٢ في مرحلة الفهرسة عام ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ .

• التأويل عند غلاة الفرق - سليمان الخطيب ، المنيا (مصر) المؤلف ، ١٤١٩ - ١٩٩٩ ، ١٠٤ ص .

• التراث والنهضة محاضرات الموسم الثقافي لدائرة التراث العربي الاسلامي لفرع التاريخ والحضارة في المجمع العلمي العراقي ١٩٩٧ - ١٩٩٨ ، ط ١ ، بغداد ، منشورات المجمع العلمي العراقي ، ١٤١٩ - ١٩٩٩ ، ٢٥٤ ص .

• التشبيه دراسة في تطور المصطلح - ابراهيم عبد الحميد السيد طلب ، ط ١ ، القاهرة ، المؤلف ١٤١٩ - ١٩٩٩ ، ٢٣٤ ص .

• التشبيه المحذوف الاداة والوجه وموقف البلاغيين منه - محمد عبد المنعم علي متولي ط ١ ، القاهرة المؤلف ١٤١٩ - ١٩٩٩ ، ٣١ ص .

• التعريض تحقيق معناه - علاقته بكل من الحقيقة والمجاز - محمد عبد المنعم علي متولي - ط ١ ، القاهرة ، المؤلف ، ١٤١٩ - ١٩٩٩ ، ٣٠ ص .

• تفسير سورة سبأ - ليحيى بن سلام بن ابي ثعلبة البصري المفسر (١٢٤ - ٢٠٠ هـ / ٧٤٢ - ٨١٥ م) تحقيق وتعليق محمد محمد السيد عوض ، القاهرة ، دم ، دن : ١٤١٩ - ١٩٩٩ ، ١٠٧ ص .

• تكريم ذكرى المحقق الثبت المرحوم د . محمد الطناحي : اقام معهد المخطوطات العربية في القاهرة يوم ٢٥ مايو ١٩٩٩ نفوة

عبد الكريم ، ط ١ ، القاهرة ، دار الكتاب الحديث ١٤١٩ - ١٩٩٩ ، ١٩٩ ص .

• الاعلام الممنوعة من الصرف في القرآن الكريم : دراسة لغوية نحوية وصرفية - البسيوني عطية عبد الكريم ، اسبوط ، مطبعة الهلال ، ١٤١٩ - ١٩٩٩ ، ١٨٠ ص .

• الفاظ حضارية - وضع لجنة اللغة العربية (في المجمع العلمي العراقي) تحرير : وداد محمد فاضل مراجعة د . احمد مطلوب ، ط ١ ، بغداد ، منشورات المجمع العلمي العراقي ١٤١٩ - ١٩٩٨ ، ٣٥ ص .

• ان المصدرية الناصبة للمضارع بين الاظهار والاضمار في ضوء القرآن الكريم - ابراهيم السيد ابراهيم بدوي ، ط ١ ، الزقازيق ، المؤلف ١٤١٩ - ١٩٩٩ ، ٣٠٧ ص .

• انساب الاشراف - للبلاذري احمد بن يحيى بن جابر البغدادي المؤرخ (... - ٢٧٩ / ... - ٢٨٩٢) تواصل جمعية المستشرقين الالمان نشره في سلسلة (النشرات الاسلامية) وسيتم نشره في سبعة اقسام مؤلفة من عشرة اجزاء ، وقد اناطت الجمعية بصفوة من خيرة المحققين الافاضل اخراجه .

• النموذج في علم العربية - للزمخشري محمد بن عمر (٤٦٧ - ٥٢٨ هـ / ١٠٧٥ - ١١٤٤) دراسة وتحقيق السيد عبد العظيم السيد نصر ، المؤلف ١٤١٨ - ١٩٩٨ ، ١٦٨ ص .

• اوائل المطبوعات العربية في الامريكتين ١٨٨٦ - ١٩٢٠ - لفوزي تادرس الامين الاول للمجموعة العربية والاسلامية في مكتبة الكونكرس ط ١ ، ابو ظبي (دولة الامارات العربية المتحدة) المجمع الثقافي ، مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث ، ١٤٢٠ - ١٩٩٩ ، ٣٠٠ ص واشتمل على ثلاثة اقسام الكتب والجزائد والمجلات .

• اوراق من كتاب نقد النثر والمنزلة الثالثة من كتاب الخراج وصناعة الكتابة - لقدامة بن جعفر بن قدامة الكاتب (... - ٣٣٧ هـ / ... - ٩٤٨ م) تح : حسن عباس ، ط ١ طنطا ، دار الحضارة للطباعة والنشر ١٤١٩ - ١٩٩٩ ، ٩٩ ص .

• « اي » واستعمالاتها في القرآن الكريم دراسة نحوية تطبيقية - اعداد : بشيري عبد المعطي امين ، ط ١ ، اسبوط ، مطبعة دار الهلال ، ١٤١٨ - ١٩٩٨ .

• بغداد الجنة العامرة - معرب من اوليا جلبي (١٥٠٨ - ١٠٦٥) « سيا حثامة سي » وقاموس الاعلام لشمس الدين سامي (١٢٦٦ - ١٣٢٢ هـ) ترجمة وتعليق : محمد جميل البروزياني ، ط ١ ، بغداد ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ، ١٤١٩ - ١٩٩٨ ، ١٣٠ ص ويقع النص الاول ص ١ - ١١٤ من الكتاب ويقع النص الثاني ص ١١٥ - ١٢٥ منه .

• بغداد في العشرينات - عباس بغدادي ، بغداد ، طباعة ونشر

* الجملة العربية تأليفها واقسامها - د. فاضل صالح السامرائي ، ط ١ ، بغداد ، منشورات المجمع العلمي العراقي ، ١٤١٩ - ١٩٩٩ ، ٢٥٩ ص .

* ديوان ابن شكيل الاندلسي - ابي العباس احمد بن شكيل (٥٧٨ - ٦٠٨ هـ) تقديم وتحقيق : حياة قارة ، ط ١ ، ابو ظبي (دولة الامارات العربية المتحدة) المجمع الثقافي ، ١٤١٩ - ١٩٩٩ ، ١٠٢ ص ، السلسلة الاندلسية (١) .

* الذخيرة البرهانية - لابن مازة برهان الدين محمد بن احمد بن عبد العزيز بن عميرين - مازة البخاري ٥٥١١ - ٦١٦ هـ / ١١٥٦ - ١٢١٩ م) دراسة وتحقيق كتاب منه رسالة ماجستير عبد العزيز عبد الرحيم باشراف د . يس شاذلي شاذلي كلية الشريعة والقانون جامعة الازهر واشتملت الرسالة على قسمين (الدراسة والنص) ١٤٢٠ - ١٩٩٩ .

* رب المشددة استعمالاتها واحكامها النحوية - سيد الدغم محمد علي عبد الحافظ ، ط ١ ، القاهرة المؤلف ١٤١٧ - ١٩٩٧ ، ٦٧ ص .

* رثاء غير الانسان في الشعر العباسي - تأليف د . عبد الله عبد الرحيم السوداني ، ط ١ ، ابو ظبي (دولة الامارات العربية) ، المجمع الثقافي ، ١٤٢٠ - ١٩٩٩ ، ٣٧٧ ص .
* الرسالة الذيرة في الالفاظ المكفرة - ليدر الرشيد ، تحقيق ودراسة : هالة ابراهيم عبد الرحمن رسالة ماجستير قدمت الى كلية الدراسات الاسلامية والعربية للبنات ، جامعة الازهر باشراف د . عبد السلام محمد عبدة . ١٤٢٠ - ١٩٩٩ .

* سعد الدين التغاوي وجهوده اللغوية والنحوية - فايق خليل خليل رسالة ماجستير باشراف الاستاذ الدكتور نعمة رحيم العزاوي كلية التربية جامعة بغداد ١٩٩٩ .

* سوق الجديد - مائة مضيئة من الجانب الغربي ببغداد - تأليف انور عبد الحميد الناصري ط ١ ، بغداد ، طباعة ونشر دار الشؤون الثقافية العامة ، وزارة الثقافة والاعلام ، ١٤٢٠ - ٢٠٠٠ ، ج ١ - ق ٣ ، ٣١١ ص .

وقد صدر القسم الثاني من الجزء الاول عن دار الشؤون الثقافية العامة (ناق عزبية) ايضاً عام ١٤١٧ - ١٩٩٧ ووقع في ٢٣٧ ص .

كما صدر القسم الاول من الجزء الاول عام ١٤١١ - ١٩٩٠ بتقديم الشيخ جلال الحنفي ومن منشورات مكتبة التحرير في بغداد وطبع مطبعة الرابية ووقع في ٤٦٥ ص .

* سياسة الخليفة الناصر لدين الله الدافعية : ٥٧٥ - ٦٢٢ هـ / ١١٧٩ - ١٢٢٥ م) تأليف د . احلام حسن مصطفى النقيب ، ط ١ ، بغداد ، طباعة ونشر دار الشؤون الثقافية العامة وزارة الثقافة والاعلام ، ١٤١٩ - ١٩٩٩ ، ١٣٢ ص (سلسلة رسائل جامعية) . اصل الكتاب رسالة ماجستير في

علمية تكريماً له بعنوان (الطناحي عاشق التراث) شارك فيها اعضاء مجمع اللغة العربية في القاهرة واساتذة الجامعات المصرية وصفوة من المثقفين فضلاً عن اسرة الفقيه وطائفة من تلامذته ومحبيه وعارفي فضله .

* تلطيف المزاج من شعر ابي الحجاج لابي عبد الله الحسين بن احمد بن محمد بن جعفر النيلي الحلبي البغدادي (ت ٣٩١ هـ) وهي مجموعة ابن نباتة (ت ٧٦٨ هـ) وتحقيق د . نجم عبد الله مصطفى (المانيا) والاصل المخطوط للكتاب مما لم يحقق ولم ينشر من قبل واشتمل على ٥٢٥ ص احتجن النص الشعري منه ١٢٥ صفحة والباقي للشرح اللغوية والادبية والتاريخية والفهارس الفنية للنص الشعري .

* تنوير المقالة في حل الفاظ الرسالة - للامام التتائي شمس الدين ابي عبد الله محمد بن ابراهيم المصري المانكي (... - ٩٢٧ هـ / ... - ١٤٣٤ م) دراسة وتحقيق من اول باب صلاة السفر الى اول باب الجهاد رسالة ماجستير محسن طه عبد العزيز باشراف د . عبد العزيز محمد عزام ، كلية الشريعة والقانون ، جامعة الازهر ، ١٤٢٠ - ١٩٩٩ .

* تهذيب الاحكام - لابن الفراء البغوي ابي محمد الحسين بن مسعود بن محمد الشافعي الفقيه (... - ٥١٦ هـ / ... - ١١٢٢) تحقيق ودراسة كتاب الاقرار والعارية والغصب والشفعة رسالة ماجستير عبد الرحمن احمد الرفاعي باشراف د . سعد الدين سعد هلال كلية الشريعة والقانون ، جامعة الازهر ، ١٤٢٠ - ١٩٩٩ .

* تهذيب الاحكام - لابن الفراء البغوي تحقيق ودراسة من اول باب الذكاح الى اخر نكاح خرائر اهل الكتاب واماء المسلمين رسالة ماجستير في الفقه المقارن باشراف د . محمد العكازي ، كلية الشريعة والقانون جامعة الازهر ، ١٤٢٠ - ١٩٩٩ .

* الثقافة السريانية وعلاقتها بالعربية ندوة هيئة اللغة السريانية في المجمع العلمي العراقي لتسنتين ١٩٩٧ - ١٩٩٨ . ط ١ ، بغداد ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ، ١٤١٩ - ١٩٩٩ ، ٣٢٦ ص واشتمل الكتاب على طائفة من البحوث الرصينة باقلام الاساتذة منصور المخلصي وعلي الجابري ويوسف قوزي وبشير متي وينيامين حداد وخالد اسماعيل علي ويوسف حبي .

* ثورات العلويين في العصر العباسي الاول - مصطفى السيد عبد العال رزق ، القاهرة المؤلف ، ١٤٢٠ - ١٩٩٩ ، ٧٦ ص .
* جمع الجمع في اللغة العربية : دلالاته وانواعه - عبد الباسط محمد الطاهر محمد ، القاهرة ، المؤلف ، ١٤٢٠ - ١٩٩٩ ، ٢٥ ص .

* جملة الشرط عند النحاة والاصوليين العرب في ضوء نظرية النحو السالمي لتشومسكي تأليف : مازن الزعر ، ط ١ ، القاهرة ، الشركة المصرية للنشر ، لوتجمان ١٤٢٠ - ١٩٩٩ ، ٩٨ ص .

التاريخ الاسلامي بأشرف الأستاذ الفاضل د. حمدان عبد المجيد الكبيسي قدمت الى كلية الاداب (جامعة بغداد) عام ١٤٠٨ - ١٩٨٨ .

* الشريف المسؤول علي من سبب الرسول (ﷺ) للمبكي تقي الدين أبي الحسن علي بن عبد الكافي بن علي المصري (٦٨٣ - ٧٥٦ هـ / ١٢٨٤ - ١٣٥٥ م) يعمل ايام احمد الفرج (من الاردن) في تحقيقه معتمداً على خمس نسخ .. وسيصدر قريباً عن دار الرازي للطباعة والنشر والنوزيع في عمان (الاردن) .

* شرح الشريف الجرجاني على المواقف للابجي عضد الدين . عبد الرحمن بن احمد بن عبد الغفار (٧٠٨ - ٧٥١ هـ / ١٣٠٨ - ١٣٥٥ م) تحقيق ودراسة المرصدين الفاضل والسادس من الموقف الاول من الكتاب رسالة الماجستير لسيام محمد نصر مفازي كلية الدراسات الاسلامية والعربية بجامعة الأزهر .

* الشعر العربي في ظل الامارة الزيدية ٤٠٣ - ٥٤٥ هـ . للأستاذ عبد الله عبد الرحيم السوداني رسالة دكتوراه بأشرف د . زوق فروع زوق نوقشت في تاريخ ٧ / ٢ / ٢٠٠٠ ومنح عنها الشهادة بتقدير امتياز عن كلية التربية الجامعة المستنصرية . * الضوفي البغدادي وآراءه البلاغية والنقدية - امينة سليم . ط ١ ، القاهرة : مكتبة وهبة ١٤١٩ - ١٩٩٩ ، ٢٤٠ ص اصل الكتاب رسالة دكتوراه بمرتبة الشرف الاولى .

* ظاهرة الالتحاق المصرفي دراسة في الاسناد والتوكيد بالتون - محمد عبد الرحمن محمد ط ١ ، الميناء (مصر) شركة الامانة للطباعة والنشر ١٤١٩ - ١٩٩٩ ، ٢١٦ ص .

* عالم الاسلام وقائع المؤسسين الثقافيين لدائرة التراث العربي والاسلامي في المجمع العلمي العراقي ١٤١٩ - ١٤٢٠ / ١٩٩٨ - ١٩٩٩ ، ط ١ ، بغداد ، منشورات المجمع العلمي العراقي ١٤١٩ - ١٩٩٩ ، ١٦١ ص .

* كتاب العروض - لابي الحسن علي بن عيسى الريمي (٣٢٨ - ٤٢٠ هـ / ٩٤٠ - ١٠٢٩ م) تح : محمد ابو الفضل بدران ، ط ١ ، جاسمة بون ، ١٤٢٠ - ١٩٩٩ ، ٨٣ ص ، اعتمد المحقق على نسخة وحيدة محفوظة في جامعة توينجن (ألمانيا) . * المسجد المنيوك والنجور المحكوك في طبقات الخلفاء والملوك - للملك الاشرف الغساني عماد الدين ابي العباس اسماعيل بن العباس بن علي الرسولي (٧٦١ - ٨٠٢ هـ / ١٢٥٩ - ١٤٠٠ م) الحقبسة ٣٣٤ - ٥٧٥ هـ / ٩٤٥ - ١١٨٠ م) من خلافة الصطيع الى خلافة المستضيء) دراسة وتحقيق كاظم عامر زغير السوداني رسالة ماجستير قدمت الى مجلس معهد التاريخ العربي والتراث العلمي للدراسات العليا وهي جزء من متطلبات نيل درجة الماجستير في

الوثائق والمخطوطات بأشرف الاستاذة الفاضلة نبيلة عبد المنعم داود ، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م . ٤٥٥ ص .

* الفصل والوصل في القرآن الكريم دراسة في الاسلوب - منير سلطان ، ط ٢ ، الاسكندرية منشأة المعارف ، ١٤١٧ - ١٩٩٧ . ٢٣٤ ص .

* وصول في الشعر - تأليف د . احمد مطلوب ، ط ١ ، بغداد ، منشورات المجمع العلمي العراقي ١٤٢٠ - ١٩٩٩ ، ٢٧٢ ص .

* فضائل مصر واختيارها وخواصها - لابن زولاق ابي محمد الحسن بن ابراهيم بن الحسين الليثي المصري (٣٠٦ - ٣٨٧ هـ / ٩١٩ - ١٩٩٧ م) ١٤١٩ - ١٩٩٩ ، ١٤٥ ص .

* فصل العرب والتبني على علومها - لابن قتيبة ابي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة السديسوري (٢١٢ - ٢٧٦ هـ / ٨٢٨ - ٨٨٩ م) تح د . وليد محمد خالص ، ط ١ ، ابو ظبي (دولة الامارات العربية المتحدة ، المجمع الثقافي ، ١٤٢٠ - ١٩٩٩ ، ٢٦٨ ص وينشر لأول مرة وقد اعتمد المحقق على نسخة وحيدة في دار الكتب المصرية .

* فن فهرسة المخطوطات مدخل وقضايا - تنسيق وتحرير د . فيصل الحقيان ، ط ١ ، القاهرة ، معهد المخطوطات العربية ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم . ١٤٢٠ - ١٩٩٩ ، ٢٣٠ ص ، وقد اشتمل على بحوث الندوة التي اقامها معهد المخطوطات على مدى يومي ٢٧ - ٢٨ سبتمبر ١٩٩٨ وقد شارك فيها حشد كبير من الخبراء والاساتذة والمتخصصين بقضايا التراث العربي بعامة والمخطوطات العربية بخاصة .

* الفهارس المفصلة للاشباه والنظائر - للسيوطي صبعة عبد الله احمد نيهان ، ط ١ ، القاهرة ، معهد المخطوطات العربية ، ١٤١٨ - ١٩٩٨ ، ٧١٨ ص سلسلة (كشافات تراثية - ٢) وشملت فهرس مسائل العربية النحو والصرف واللغة والمصطلحات والادوات . فهرس تحليلي لكل جزء منفرداً ، الايات القرآنية الكريمة ، الاحاديث النبوية الشريفة الامثال الشعر وغير ذلك من الفهارس .

* الفهرس المختصر للمخطوطات العربية الاسلامية في دار الكتب الوطنية - اعداد بسام محمد بارود ، ط ١ ، ابو ظبي (دولة الامارات العربية المتحدة) قسم المخطوطات ومصوراتها بدار الكتب الوطنية ، ١ - ٢ ج ، ٤٦٦ ص + ٥٤٥ ص راجع الجزء الاول د . عبد الحميد الرفاعي .

* فهرس مخطوطات بلدية الاسكندرية - اعداد وتقديم د . يوسف زيدان ، ط ١ ، القاهرة الهيئة العامة لمكتبة الاسكندرية : ١٤١٩ - ١٩٩٩ ، مج ٣ (التاريخ وملحقاته) .

* فهرس المخطوطات المصورة (اللغة) ، اعده : عصام محمد

السنطوي ، ط ١ ، القاهرة ، معهد المخطوطات العربية ١٤٢٠ - ١٩٩٩ ، القسم الثاني ، ٢٩٠ ص وقد تضمن وصفاً لنحو ٢٠٠ مخطوطة .

• القول المرتضا في احكام القضاء على مذهب الامام مالك بن انس - لبدر الدين بن عبد الرحمن البندلي المالكي (... - ١٠١٠ هـ / حياً / ... ١٦٠١ م) دراسة وتحقيق صديق عبد الفتاح صديق محمد رسالة ماجستير في السياسة الشرعية ، كلية الشريعة ، جامعة الازهر ، باشراف : د . سعد محمد حسن ابو عبدة ١٤٢٠ - ١٩٩٩ .

• كاد واخواتها في القرآن الكريم : دراسة نحوية وتصريفية - تأليف : جمال احمد ابو زيد حسانين ، ط ١ ، اسبوط ، مطبعة دار الهلال ، ١٤١٨ - ١٩٩٨ ، ٩٧ ص .

• كاشف صانعي البديع وبيان مشكله المنيع - للسراج الفزوني الهندي سراج الدين ابي حفص عمر بن اسحاق بن احمد الحنفي (٧١٤ - ٧٧٣ هـ / ١٣١٤ - ١٣٧٢ م) الادلة المتفق عليها الكتاب ، السنة ، الاجماع ، القياس منه دراسة وتحقيق : محمد بكر اسماعيل رسالة دكتوراه في اصول الفقه باشراف د . محمد محمد عبد اللطيف جمال الدين ، كلية الشريعة والقانون ، جامعة الازهر ١٤٢٠ - ١٩٩٩ .

• الكافي في الافصاح عن مسائل كتاب الايضاح - لابن ابي الربيع السبتي الاندلسي الاشبيلي ابي الحسين عبيد الله بن احمد بن عبيد الله العثماني الاموي (٥٩٩ - ٦٨٨ هـ / ١٢٠٣ - ١٢٨٩ م) دراسة وتحقيق فيصل الحفيان رسالة دكتوراه بمرتبة الشرف الاولى من كلية اللغة العربية جامعة الازهر وجاءت الرسالة في قسمين الاول للدراسة والثاني للنص المحقق ١٤٢٠ - ١٩٩٩ .

• كفاية النبيه شرح التنبيه - لابن الرفعة : زعم الدين ابي العباس احمد بن محمد بن مرتفع الانصاري المصري (٦٤٥ - ٧١٠ هـ / ١٢٤٧ - ١٣١٠ م) دراسة وتحقيق (زكاة الفطر وقسم الصدقات وصدقة التطوع منه) من قبل السيد احمد عبد الله رسالة ماجستير كلية الشريعة والقانون ، جامعة الازهر باشراف : د . علي حسين كراد ، جاءت الرسالة في ٥٨٥ ص احتجنت الدراسة منها ٢٨ صفحة ١٤٢٠ - ١٩٩٩ .

• كلا في اللغة العربية ودراساتها في القرآن الكريم عرض وتحليل ومناقشة محمد احمد عبد الوهاب محمد المليجي ، ط ١ ، القاهرة ، المؤلف ١٤١٩ - ١٩٩٩ ، ١١٥ ص .

• لغة الضاد ، ط ١ ، بغداد ، دائرة علوم اللغة العربية في المجمع العلمي العراقي ، منشورات المجمع العلمي العراقي ١٤٢٠ - ١٩٩٩ ، ج ٢ ، ٢٢٧ ص .

• كتاب الماء - لابي محمد عبد الله بن محمد الازدي (ت ٤٥٦ هـ) تح د . هادي حسن حمودي ط ١ ، سلطنة

مسقط وعمان ، وزارة التراث القومي والثقافة ، ١٤٢٠ - ١٩٩٩ ، ١ - ٣ مج والكتاب معجم يجمع بين الطب والعربية ويضم الامراض والعلل والادواء وما يجب ان يتأتى لها من العلاجات والادوية وقد رتب في المواد أبتيثا بدأ بالهمزة فالباء فالتاء ويعد اول معجم طبي لغوي في التاريخ .

• مادة البقاء في اصلاح فساد الهواء والتحرز من ضرر الاوباء - لمحمد احمد التميمي المقدسي (القرن الرابع الهجري) دراسة وتحقيق المهندس يحيى شعار وهو كتاب فريد في باب اذ يكشف عن اهتمام العلماء العرب المسلمين بموضوع تلوث البيئة . وقد فاز محققه بجائزة معهد المخطوطات العربية في دورته الثانية ١٩٩٧ - ١٩٩٨ .

• المجتمع الاندلسي في حوض نهر الابر في العهد الاسلامي من ٩٥ - ٥١٢ هـ / ٧١٤ - ١١١٨) تأليف : محمد رضا عبد العال محمد ، ط ١ ، الجيزة ، عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية ١٤١٩ - ١٩٩٩ ، ٥٠ ص .

• المجتمع في مصر الاسلامية من الفتح العربي الى العصر الفاطمي - هويدا عبد العظيم رمضان تقديم عبد العظيم رمضان ، ط ١ ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٤١٩ - ١٩٩٩ ، ٣٥٥ ص .

• مرآة الزمان في تاريخ الاعيان - الحقبة (٢١٨ - ٢٥٣ هـ / ٨٢٣ - ٨٦٧ م) لسبط ابن الجوزي شمس الدين ابي الصغفر يوسف بن عبد الرحمن قزاوغلي بن عبد الله البغدادي المؤرخ (٥٨١ - ٦٥٤ هـ / ١١٨٥ - ١٢٥٦) دراسة وتحقيق علي جبار مجيد الجنابي رسالة تقدم بها الى مجلس معهد التاريخ العربي والتراث العلمي وهي جزء من متطلبات نيل درجة الماجستير في التاريخ العربي الاسلامي باشراف : د . جنان عبد الجليل الهموندي ، ١٤٢٠ - ١٩٩٩ ، ١٨٥ ص + ١ ص (ملخص الرسالة) بالانكليزية .

• مسائل الابدال والاعلال بين القياس والسمع من خلال الصحاح للجوهري دراسة تحليلية محققة - تأليف يس ابراهيم عفيفي ابو زيد ، القاهرة ، المؤلف ١٤١٩ - ١٩٩٩ ، ٥٣٧ ص .

• مصطلحات علمية في الانتاج الحيواني انكليزي العربي ، ط ١ ، بغداد ، منشورات المجمع العلمي العراقي ١٤٢٠ - ١٩٩٩ ، ٥١ ص .

• مصطلحات علمية في الانواء الجوية انكليزي - عربي ، ط ١ ، بغداد ، منشورات المجمع العلمي العراقي ١٤٢٠ - ١٩٩٩ ، ٤٠ ص .

• مصطلحات علمية في الفيزياء والفلك انكليزي - عربي ، ط ١ ، بغداد ، منشورات المجمع العلمي العراقي ١٤٢٠ - ١٩٩٩ ، ١٨ ص .

• مصطلحات علمية في الكيمياء العضوية انكليزي - عربي ، ط ١ ، بغداد ، منشورات المجمع العلمي العراقي ، ١٤٢٠ - ١٩٩٩ ، ٢٤ ص .

• مصطلحات علمية منتوجات الالبان ، ط ١ - بغداد ، منشورات المجمع العلمي العراقي ١٤٢٠ - ١٩٩٩ ، ٥٩ ص .

• معجزات النبي (ﷺ) كتاب الدلائل - لابن كثير عماد الدين ابي النداء اسماعيل بن عمر بن كثير (٧٠٠ - ٧٧٤ هـ / ١٣٠١ - ١٣٧٣ م) دراسة وتحقيق محمد عبد العزيز الهلاوي طبعة جديدة منقحة ، القاهرة ، مكتبة القرآن للطبع والنشر والتوزيع ، ١٤٢٠ - ١٩٩٩ ، ٣٢٠ ص .

• الموسم الثقافي لمجمع اللغة العربية الاردني (عمان) ١٤٢٠ - ١٩٩٩ ، ط ١ ، عمان ، منشورات مجمع اللغة العربية الاردني ، ١٤٢٠ - ١٩٩٩ ، ٢٠٣ ص ، اشتمل الكتاب على بحوث باقلام باحثين افاضل منهم د . محمود فهمي حجازي ود . عبد الجليل عبد المهدي ود . محمود السيد ود . احمد مطلوب وخصت تقويم خطط اقسام اللغة العربية في الجامعات المصرية والاردنية والعراقية والسورية اكاديميا وعمليا بالدراسة والبحث .

• المغرب في القرآن الكريم دراسة تاصيلية لغوية تحليلية في ضوء الساميات - رجب عثمان محمد ، القاهرة ، دار النهضة العربية ، ١٤٢٠ - ١٩٩٩ ، ٢٣٢ ص .

• النحو البصري في معاني القرآن للفراء - عاطف محمد عبد المجيد ابو سعيد ، ط ١ ، القاهرة ، المؤلف ١٤١٩ - ١٩٩٩ .

• ندوة الاصل المشترك للغات العراقية القديمة دائرة التراث العربي والاسلامي فرع اللغات القديمة في المجمع العلمي العراقي ، ط ١ ، بغداد ، منشورات المجمع العلمي العراقي ، ١٤١٩ - ١٩٩٩ ، ١٦١ ص .

• ندوة تاريخ الطباعة العربية حتى نهاية القرن التاسع عشر . ويشتمل الكتاب على بحوث الندوة التي اقامها مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث بدبي (دولة الامارات العربية المتحدة) في اكتوبر ١٤١٥ - ١٩٩٥ وقد خصت البحوث الطباعة في اورية وتركيا وبلاد الشام وشبه القارة الهندية والامريكيتين والمغرب وايران وشبه الجزيرة العربية ... ومصر ، وقد نشرت بحوث الندوة عام ١٤٢٠ - ١٩٩٩ في جملة منشورات مركز جمعة الماجد .

• نهاية الوصول في دراسة الاصول - للصفى الهندي صفى الدين ابي عبد الله محمد بن عبد الرحيم بن محمد الارموي الشافعي (٦٤٤ - ٧١٥ هـ / ١٢٤٦ - ١٣١٥ م) تحقيق ودراسة الباب الرابع عشر والباب الخامس عشر (القياس والاعتراضات) رسالة دكتوراه نسرين محمود محمد المرسى باشراف د . محمد رشاد مهنا ، كلية الدراسات الاسلامية والعربية للبنات جامعة

الازهر . ١٤٢٠ - ١٩٩٩ .

• نيل الامل في ذيل الدول (نول الاسلام للذهبي) لعبد الباسط بن خليل بن شاهين الظاهري (ت ٩٢٠ هـ تقريباً) انجز د . عمر عبد السلام تدمري تحقيق الجزأين الاول والثاني منه وهما قيد الطباعة وقد جرى تصحيحهما ويعمل الان في تحقيق الجزء الثالث سيدفع به الى المطبعة قريباً ليبدأ في تحقيق الجزء الثالث وسيتم الكتاب في ١ - ٦ ج وسيصدر عن المكتبة العصرية في صيدا ويتناول الكتاب حوادث ووفيات ٧٤٤ - ٨٩٦ هـ وهو ذيل على نول الاسلام للذهبي الذي ينتهي بحوادث ووفيات ٧٤٤ هـ .

٢ - مجلات :

(١) وقائع ندوة العمارة العربية الاسلامية سمات الماضي وتطبيقات الحاضر دائرة التراث العربي والاسلامي في المجمع العلمي العراقي ، ط ١ ، بغداد ، المجمع العلمي العراقي ، ١٤١٩ - ١٩٩٩ ، ٢٧٧ ص .

(٢) وقائع ندوة كتب الانساب مصدراً لكتابة التاريخ التي اقامتها دائرة التراث العربي والاسلامي في جامعة الموصل ١٤١٩ - ١٩٩٨ ، ط ١ ، بغداد ، منشورات المجمع العلمي العراقي ١٤٢٠ - ٢٠٠٠ ، ٢٣١ ص . وقد اشتمل الكتاب على بحوث لصفوة من الباحثين العراقيين منهم د . هاشم يحيى الملاح ود . نجمان ياسين ود . عبد الواحد ذنون طه ورياض هاشم النعيمي وغيرهم .

(٣) وقائع ندوة الذخيل التي عقدتها دائرة العلوم الصرفة والتطبيقية في المجمع العلمي العراقي ١٤١٨ - ١٩٩٧ ، ط ١ ، بغداد ، منشورات المجمع العلمي العراقي ، ١٤٢٠ - ١٩٩٩ ، ٧٨ ص .

٣ - ندوات :

• افاق الثقافة والتراث مجلة فصلية ثقافية تراثية تصدر عن مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث العربي ، (دبي) ع ٢٤ ، س ٦ (١٤١٩ - ١٩٩٩) ٣٤ - ٥٤ ابن الهيثم وكتابه شكوك كتاب اقليدس في الاصول وشرح معانيه - د . عمار الطالبى ٥٥ - ٦٥ التقاليد الجامعية في التراث الاسلامي - د . محمد مجيد السعيد ٦٦ - ٧٧ والفكر المقاصدي عند فقهاء القيروان الى منتصف القرن الخامس الهجري - عز الدين زغبية ٨٩ - ٩٩ كتاب الاشياء والنظائر - للسيوطي دراسة في منهجه التنظيمي والقاء الضوء على مصادره النحوية - د . عبد الله نيهان ١٢٣ - ١٢٨ الكنز في قراءات العشرة - للواسطي تاج الدين ابي محمد عبد الله بن عبد المؤمن الواسطي (٦٧١ - ٧٤٠ هـ) د . حاتم صالح الضامن ١٣٩ - ١٥١ ، كتاب التنبيه على الاوهام الواقعة في المستندين الصحيحين لابي علي الحسين بن محمد بن احمد الفسائي الجبائي (ت ٤٩٨ هـ) د . محمد ابو الفضل .